العقيدة الإسلامية

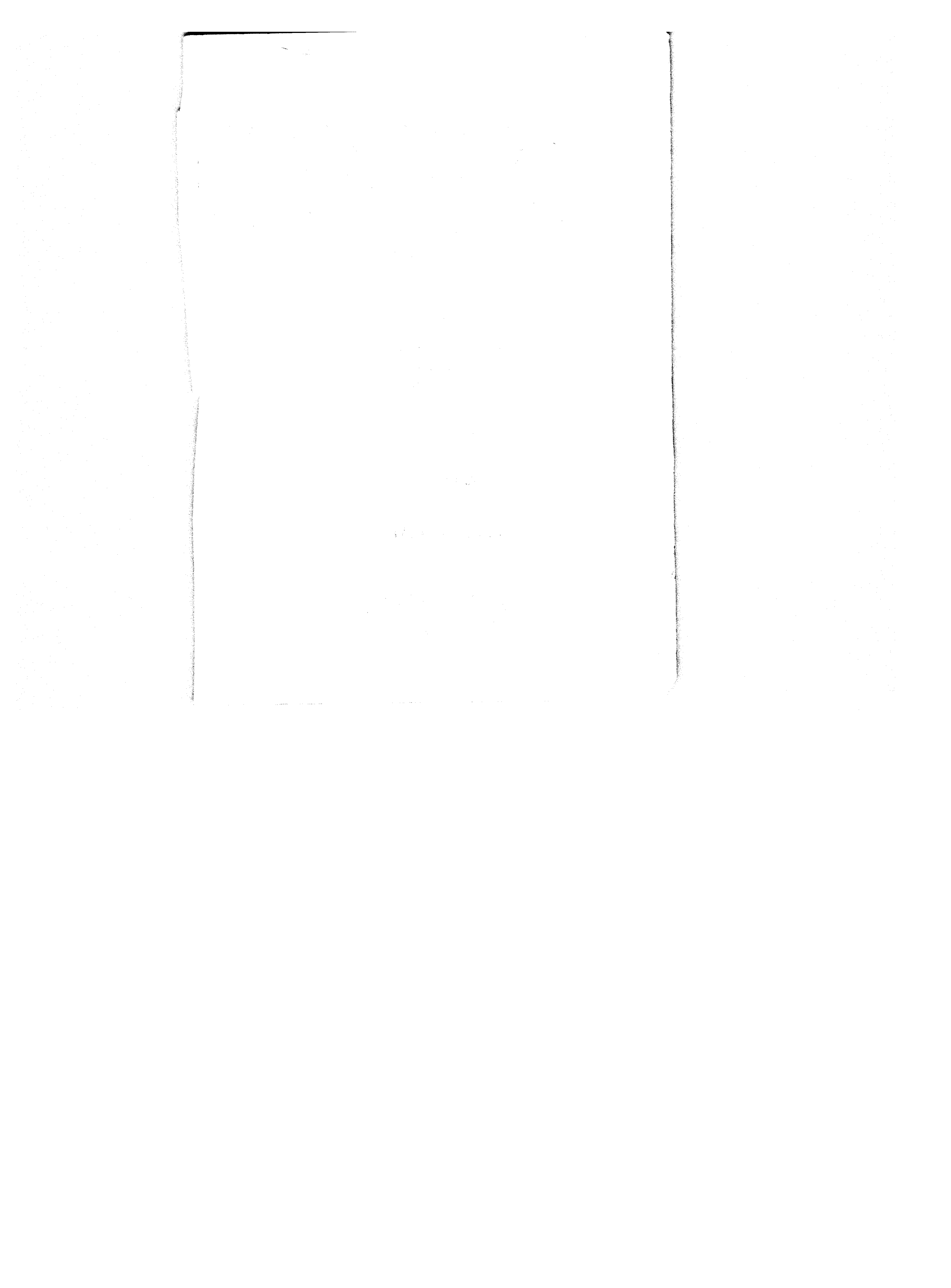
وصلتها بالعالم والإنسان والحياة

تاليف
دكتور
ابراهيم عبد الشافي ابراهيم
مدرس العقيدة والفلسفة بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة
جامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

مطبعة الحسين الإسلامية
٢٥ حارة المدرسة - خلف الجامع الأزهر
تليفون ٥١٠٦٧٢٤





مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، وخاتم النبيين ، سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه ، ومن إهتدى بهديه ، واقتفى أثره ، وترسم خطاه إلى يوم الدين .

وبعد

فإن العقيدة هى أهم شىء فى حياة الإنسان ، لأنها المرتكز الأساسى الذى يوجه مسيرته فى هذه الحياة ، وهى أيضا ميزان أخلاقه وسلوكه وتصرفاته ، فإذا صلحت العقيدة صلح سلوك الإنسان واستقام ، وإذا فسدت العقيدة فسد واعوج ، ومن هنا فقد كانت الدعوة إلى تمكين العقيدة وصلاحها هى أول شىء قام به الرسول — ﷺ — لتكون بذلك حجر الزاوية فى بناء الفرد المسلم ، بل إن العقيدة كانت هى أول شىء قام به رسل الله جميعا ، وتحملوا من أجله الآلام والصعاب لأن العقيدة الصحيحة إذا هيمنت على الإنسان أثمرت الفضائل ، وأخذت بيد صاحبها لى السمو والارتقاء المادى والروحى معا .

إن صاحب العقيدة الحقه لا يعتريه شك فى يوم من الأيام ، ولا تعتريه وسوسة أو ظن أو قلق أو اضطراب ، ليحدث ما يحدث فى هذا العالم من اضطراب أو اختلال فى الأخلاق والسلوك فلن يضيره

هـذا فى شىء لأنه آوى إلى ركن شـديد وحصن حصين ٠

ونظرا لما يحدث لهذه العقيدة من هزات عنيفة من جراء طغيان رنين المادة على قلب الإنسان من جهة ، ومن طفرات العلوم الكونية من جهة ، ناهيك بعد ذلك بموجات التشكيك والإلحاد التى تظهر فى كل وقت وحين ، والكتابات الاستشراقية التى تصب السم فى الدسم ٠٠٠

كل هذا وغيره دفعنى أن أحرر هذا الكتاب تحت عنوان « العقيدة الإسلامية وصلتها بالعالم والإنسان والحياة » مبينا فيه معنى العقيدة وحاجة الإنسان إليها وخصائصها وأركانها ٠

ثم بينت بعد ذلك صلة العقيدة بالعالم من حيث حدوثه وتغيره وفنائه وعناية الله به ، وبيان الإبداع الموجود فيه ، وهو إبداع مدبر حكيم ، وليس كما يزعم الملاحدة أن هذا الإبداع ناتج عن الطبيعة العمياء ، أو الصدفة التى يزعمونها ، الخالية عن الإرادة والعلم والتدبير والحكمة « كبرت كلمة تخرج من أفواههم أن يقولون إلا كذبا » ثم كان الكلام بعد ذلك عن صلة العقيدة الإسلامية بالإنسان ، من حيث مكانته فى الوجود ومكانته من الله ، وأهمية عقله وفكره ٠٠٠٠

ثم كان الحديث عن تمزق نظرية النشوء والإرتقاء ، التى يتشدق بها كثير من الماديين ، واليوم توجه معاول الهدم إلى صلب هذه النظرية من علماء الغرب أنفسهم ٠

وفى النهاية كان الحديث عن هذه الحياة ، والحق الذى لا شك فيه أن العقيدة الإسلامية هى التى حلت لغز الحياة ، وفسرت

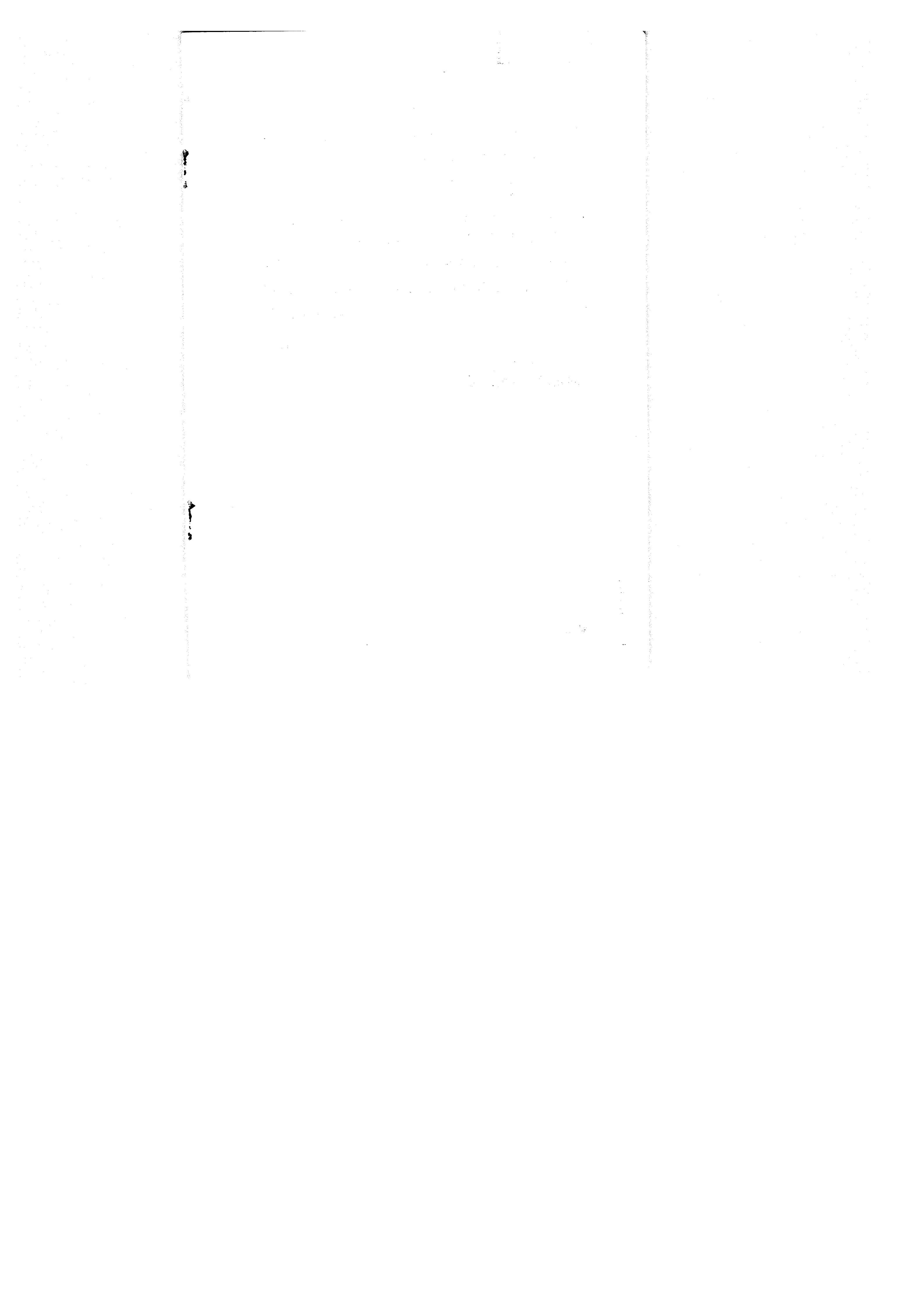
حياة الإنسان وموته ، وأجابت عن كل الأسئلة التى حارت فيها البشرية : من أن ؟ وإلى أين ؟ ولم ؟ وماذا بعد هذه الحياة .... كل هذه الأسئلة أجابت عنها الدراسة التى قمنا بها فى هذا الكتاب .

ولا أدعى أننى قد وفيت كل بحث من هذه البحوث حقه ، ولكن حسبى أننى قد اجتهدت فى إبراز بعض القضايا التى وفقنى الله فيها ، فإن كان التوفيق قد حالفنى فالفضل لله وحده ، وإن كانت الأخرى فعذرى أننى بشر أخطىء وأصيب « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »

القاهرة فى ١٩٩٥/٢/١

دكتور

إبراهيم عبد الشافى إبراهيم



الفصل الأول

العقيـــدة الإســـلامية

تعريفهـــا وخصـــائصها

ما هى العقيـــدة ؟

العقيدة هى مجموعة من القضايا الحــق البدهية المسلمة بالعقــل ، والسمع ، والفطرة ، يعقــد عليها الإنسان قلبــه ، ويثنى عليها صــدره جازما بصحتها ، قاطعا بوجــودها وثبوتها ، لا يرى خــلافها أنه يصــح أو يكون أبدا .

وذلك كاعتقــاد الإنسان بوجــود الخالــق — سبحانه وتعالى — وعلمه به ، وقــدرته عليه ولقائه به بعــد موته ، ومجازاته إياه على عمــله الاختيارى وعلمــه غير الاضــطرارى ، وكاعتقــاده بغنى ربه — تعالى — وافتقاره إليه فى كل شئونه حتى فى أنفاســه التى يرددها ، فبالله — تعالى حياته ، وعليه وحــده توكله واعتماده ، إذ هــو محط رجائه إذ طمع ،ومأمن خوفه إذا خاف،بحبه يحب،وببغضه يبغض،هــو مولاه لا مولى غيره ، ومعبوده لا معبود لــه ســواه ، لا يرى ربوبيــة غيره ، ولا يعتقــد الوهيــة سواه(١) .

العقيــدة عهــد :

العقيدة عهــد معقود وموثق يربط المسلم بخالقــه ، إنه رباط قوى متين ، لا تنــال منه شــده ولا توهنه أزمة من الأزمات .

أن صاحب العقيدة يعيش فى الدنيــا ولا تعيش فيه ، ويأخــذ منها ولا تأخــذ منه ، وهــو بهــذه العقيدة أكبر من كل الأحــداث التى تدور

---

(١) عقيدة المؤمن ص ١٨ أبو بكر جابر الجزائرى — ط دار إحياء الكتب العــربية — القــاهرة .

حـوله ، للحق يعيش ومن اجله يضحى ، وفى سبيل الله ــ وحـده ــ يجاهـد ، وصاحب العقيـدة يدرك ابعـاد هـذا الدين ، ويؤمن ان الإسـلام مبـدأ وعزة وعبادة وقيادة وتشريع ، وهـو نظام اجتماعى ، ونظـام اقتصـادى ٠٠٠

والعقيدة فى الإسـلام تقوم على أسـاس من الحرية والعقـل ، فلا مجـال للجـبر والاكراه ، ولا مكان للعقـائد الناشئة عن التقليـد الأعمى ، وهـذا هـو ما يرشدنا إليه القرآن الكريم « **لا إكراه فى الدين قـد تبين الرشـد فى الغى** »(٢) ، « **وقـل الحـق من ربكم فمن شـاء فليؤمن ومن شـاء فليكفر** »(٣) ويخاطب رسوله ﷺ قائلا « **افانت تكره النـاس حتى يكونوا مؤمنين** »(٤) ٠

كما أن بنـاء العقيدة فى الإسـلام يجعل السبيل إلى المعرفة الحقـة بالله ــ تعالى ــ وكمالاته ، إنمـا هو التفكر فى خلق السموات والأرض ، والنظر والتدبر فى آيات الله المنبثة فى الـكون ، وتلك هى الحقيقة التى نلمسها فى النصوص القرآنية التى تعرض على المخاطبين العقلاء نظـام الكون والحيـاة ، وما يشتمل عليه من إبداع واتقـان ٠ ومن ذلك قـوله تعالى : « **إن فى خلق السموات والارض واختلاف الليـل والنهار والفـلك التى تجرى فى البحر بمـا ينفـع الناس وما أنزل الله من السماء ماء فاحيـا به الأرض بعـد موتها وبث فيهـا من كل دابه وتصريف الرياح**

---

(٢) سـورة البقـرة الآية ٢٥٦ ٠
(٣) سـورة الكهـف الآية ٢٩ ٠
(٤) سـورة يونس الآية ٩٩ ٠

والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقـــوم يعقلون »(٥) **« ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جـــدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن النـــاس والدواب والأنعـــام مختلف ألوانها كذلك إنمـــا يخشى الله من عباده العلماء »**(٦) ٠

ومن هنا فقـــد أمر الله ـــ سبحانه ـــ بالعلم بالتوحيد فقال **« فاعلم أنه لا إلـــه إلا الله »**(٧) وطالب بالبرهان وجعله آية الصـــدق فقال **« قل هاتوا برهانكم إن كنم صـــادقين »**(٨) **« قل هـــذه سبيلى أدعـــو إلى على بصيرة أنا ومن اتبعنى »**(٩) فالإيمـــان المطلوب فى القرآن الكريم : معرفة حقيقية تملك العقـــل بالبرهان والنفس بالإذعان ، معرفة تطمئن لهـــا القلوب ، وتحيا بهـــا النفوس ، وتخنس معها الوساوس وتبعـــد بهـــا عن النفس الهواجس ، فلا تبطر صاحبها النعمة ، ولا تؤيسه النقمة **« الذين آمنـــوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب »**(١٠) **« لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحـــوا بمـــا آتاكم »**(١١) ٠

---

(٥) ســـورة البقـــرة الآية ١٦٤ ٠

(٦) ســـورة فاطـــر الآية ٢٨ ٠

(٧) ســـورة محمـــد الآية ١٩ ٠

(٨) ســـورة البقـــرة الآية ١١١ ٠

(٩) ســـورة يوســـف الآية ١٠٨ ٠

(١٠) ســـورة الرعـــد الآية ٢٨ ٠

(١١) ســـورة الحـــديد الآية ٢٣ وينظـــر : العقيدة فى ضـــوء القرآن الكريم ص ١٠ ، ١١ د٠ صـــلاح عبـــد العـــليم ط مكتبة الأزهر ١٤٠٢ هـ ـــ ١٩٨٢ م ٠

الخصـــائص العـــامة للعقيـــدة الإســـلامية

١ ـــ عقيـــدة التوحيـــد :

العقيدة الإســـلامية تتميز بأنها عقيدة التوحيد ، فالله جـــل جـــلاله هـــو الواحـــد الأحـــد ، الفـــرد الصمـــد ، المنزه عن التشبيه والتجسيد والحلول ، وهـــو الأول فليس قبله شيء ، الآخر فليس بعـــده شيء ، هـــو رب الكـــون ومدبره ، دون أن يستطيع العقـــل البشرى أن يدرك كنهه ، أو أن يتصـــوره على أى صـــورة ، لأنه سبحانه « ليس كمثـــله شيء وهـــو السميع البصير » ودعـــوة الإسلام إلى التوحيد ، هى دعـــوة الأديان السابقة لأن الدين (بحقيقته الموضـــوعية) واحـــد ، والديان واحـــد ، ولم يكن غريبـــا أن يمضى الرســـول — ﷺ — من حياته النبوية ثلاثة عشر عاما فى مكة يدعـــو إلى توحيد ويقتلع جـــذور الوثنية التى خالطت فطرة الله فأفسدتها(١٢) ٠

والتوحيد هـــو القضية الكبرى فى الكون كلـــه ، والخطـــأ أو الظلم فيها أشـــد من أى خطـــأ آخر ، وأدهى من أى ظلم آخر **« إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمـــن يشاء »**(١٣) ٠

إن محـــور هـــذه القضـــية الكبرى هـــو الإيمـــان بالله الواحـــد الأحـــد ، الإيمـــان بإلـــه لا شريك لـــه ٠

إن الإيمـــان بإلـــه واحـــد لهـــذا الكون كلـــه هـــو محور منهاج

---

(١٢) دراســـات فى علم العقيـــدة الإســـلامية ص ٤١٣ أحمد على المـــلا ط ١ ـــ دمشق ١٤٠٦ هـ ـــ ١٩٨٦ م ٠

(١٣) ســـورة النســـاء الآية ١١٦ ٠

الله ــ قرآنا وسنة ــ وكتاب الله وسنة رســوله ــ ﷺ ــ يعرضان قضــية التوحيد على أساس أنها هى الحقيقة الكبرى فى هــذا الكون والقضــية الأولى للإنسان ، ومن هنــا فقــد بين القرآن الكريم أن الانحراف عن التوحيد من أخطر الأمور ، فمــن الناس من يغلبه هــواه فى مصــلحة أو شــهوة أو مال أو غير ذلك ثم ينمــو الهــوى حتى يتخــذه صاحبه إلهــا يعبده من دون الله ، وذلك باتباعــه وطاعته والخضوع لــه ، وهــذا فى حقيقته يصادم التوحيد الخالص لله رب العالمين ، يقــول الله ــ تعــالى ــ « **أرأيت من اتخــذ إلهــه هــواه أفأنت تكــون عليــه وكيــلا** »(١٤) .

« **أفرأيت من اتخــذ إلهــه هــواه وأضله الله على علم وختم على سمــعه وقلبــه وجعــل على بصره غشــاوة فمن يهــديه من بعــد الله أفــلا تذكــرون** »(١٥) .

إذن فعندما يصــبح الهــوى هــو الإلــه فقــد ثبت الضلال ، وقد يتخــذ بعض النــاس إلهــا من البشر يعبده من دون الله ، فقــد يتخــذ زعيما أو قريبــا أو صــاحبا ، فيزين لــه الشيطان عبــادة هــؤلاء حتى يتبعوهم ، فيحلوا لهم ويحرموا عليهم ، ويقبــلون منهم هــذا التحليــل والتحريم المخالف لشرع الله « **ومن النــاس من يتخــذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنــوا أشــد حبا لله ولــو يرى الذين ظلمــوا إذ يرون العــذاب أن القــوة لله جميعا وأن الله شــديد العــذاب . إذ**

(١٤) ســورة الفرقــان الآية ٤٣ .
(١٥) ســورة الجاثيــة ٢٣ .

تبرأ الـذين اتبعـوا من الذين اتبعـوا وراوا العـذاب وتقطعت بهـم الأسـباب • وقال الذين اتبعـوا لـو أن لنـاكرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهـم الله اعمـالهم حسرات عليهـم وما هم بخـارجين من النـار »(١٦) •

تصـور جلى معجز لحال هـؤلاء الذين جعلوا من الناس إلهـه ، فاحبـوهم كحب الله ، كما تصور الآيات ايضا حالهم يوم القيـامة ، يوم ينكشف عجز هـؤلاء وهـوانهم ، يظهر الحق ، ويظهر أن القـوة لله جميعا ، تصـوير ترتعـد منه فرائص الإنسان ، بعـد أن يتقطع الرجاء ، وتسد المنافـذ ، وهـذه صورة اخرى يسوقها القرآن فى شـأن اليهود والنصارى **« اتخـذوا احبـارهم ورهبـانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا إلا ليعبدوا إلهـا واحـدا لا إلـه إلا هـو سبحانه عمـا يشركـون »(١٧) •**

ذلك أن اليهود والنصارى اتخـذوا احبـارهم ورهبـانهم إلهـة من دون الله ، فعبدوهم حتى صار الأحبـار والرهبان يصنعون التشريع على غير ما انزل الله •

حكى الطبرى أن عـدى بن حاتم قال : جئت رسـول الله — ﷺ — وفى عنقى صليب ذهب فقال : « يا عـدى اطـرح هـذا الصليب من عنقك » فسمعته يقرأ **« اتخـذوا احبارهم ورهبانهم أبابا من دون الله »**

---

(١٦) سـورة البقـرة الآية ١٦٥ — ١٦٧ •
(١٧) سـورة التـوبة الآية ٣١ •

فقلت : « يا رسـول الله وكيف ولم نعبدهم ؟ » فقـال « أليس تستحلون ما أحلوا وتحرمون ما حرموا » قلت : نعم قال : « فـذاك »(١٨) .

لقـد جاء الإسـلام بعقيدة التوحيد صريحة ، مبرأة من كل شائبة ، ومن هنـا تحـدى القرآن الكريم القـائلين بتعـدد الآلهـة ، وطالبهم بالبرهان على صحـة ما يدعون **« سيقول الذين أشركـوا لـو شـاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبـلهم حتى ذاقـوا بأسنا قـل هـل عنـدكم من علم فتخرجـوه لنـا إن تتبعـون إلا الظـن وإن أنتم إلا تخرصون »**(١٩) .

وفى نفس الوقت يقـدم القرآن الدليـل على وحـدانية الله — تعالى — وتنزهـه عن الشريك فيقول جـل شأنه **« أم اتخـذوا آلهة من الأرض هم ينشرون . لـو كان فيهما آلهـة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عمـا يصفون »**(٢٠) **« ما اتخـذ الله من ولـد وما كان معـه من إلـه إذن لذهب كل إلـه بمـا خلق ولعـلا بعضهم على بعض سبحان الله عمـا يصفون »**(٢١) .

---

(١٨) رواه الترمذى ، وانظر : التوحيد وواقعنا المعاصر ص ٣٩ د.عدنان رضـا النحـوى ط ٢ دار النحـوى للنشر والتوزيع — الرياض ١٤١٣ هـ — ١٩٩٣ م .

(١٩) سـورة الأنعـام الآية ١٤٨ .

(٢٠) سـورة المؤمنـون الآية ٩١ .

(٢١) سـورة المؤمنـون الآية وانظـر دراسـات فى علم العقيـدة الإسـلامية ص ٤١٥ .

عقيـدة الفطـرة :

العقيدة الإسـلامية هى عقيدة الفطرة ، وليست من تلقـين الآباء كما فى الأديان الأخرى كاليهـودية والنصرانية وغيرها ، قال تعـالى : **« فاقم وجهـك للدين حنيفا فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون »** (٢٢) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنـه قال : قال رسـول الله — ﷺ — « ما من مولـود إلا يولـد على الفطـرة فأبواه يهـودانه أو ينصرانه أو يمجسـانه » (٢٣) .

وليست هنـاك عقيدة أجابة على كل التساؤلات الإنسانية غير العقيدة الإسلامية ، ولذلك لـو تركت الفطرة الإنسانية دون مؤثر خارجى لانتهت إلى الإسـلام نفسه ، تقـول الفطرة والعقل : إن النـاس لم يخلقـوا من غير شىء ، ولم يخلقـوا أنفسهم ، ولم يخلقـوا من حولهم ، ويقول القرآن الكريم **« أم خلقـوا من غير شىء أم هم الخالقـون »** (٢٤) كذلك تقـول الفطرة والعقل : لابد — إذن — من خالق لهـذا الإنسان العجيب ولذلك الكون المتسع ، ويقـول القرآن الكريم **« ذلـكم الله ربكم خالق كل شىء لا إلـه إلا هـو فانى تؤفكـون . كذلك يؤفـك الذين كانوا بآيات الله يجحـدون . الله الذى جعـل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم**

(٢٢) سـورة الروم الآية ٣٠ .

(٢٣) البخـارى ومسـلم .

(٢٤) سـورة الطـور الآية ٣٥ .

فاحسن صوركم ورزقكم من الطيبــات ذلــكم الله ربكم فتبــارك الله رب العــالمين »(٢٥) ٠

وإذا كانت الفطرة والعقــل تقــولان : إن هــذا الخالق الحكيم لابد وأن يكون وراء تنظيمه لهــذا الكون واستخلاف الإنسان فيه حكمة وغاية ، فإن القرآن الكريم يقول « **وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين ٠ ما خلقناهما إلا بالحــق ولكن أكثرهم لا يعلمون** »(٢٦) والحــق الذى به خلقــت الســموات والأرض هــو ما يستشفه العقــل وتحس به الفطرة وتشعر به — وإن كان شــعورا غامضــا — أن لهــذا الإنســان رســالة فى هــذا الوجود ، وان وراء هــذه الحياة حياة أخرى هى الغاية وإليها المنتهى ، يجازى فيهــا المحسن على إحسانه والمسىء على إســاءته قال تعالى : « **وما خلقنــا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فــويل للذين كفروا من النــار ٠ أم نجعــل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار** »(٢٧) تشعر الفطرة أيضا أن لهــذا الخالق العظيم حقــا على العبــاد : أن يعرف فلا تجحــد ، ويشكر فلا يكفر ، ويطــاع فلا يعصى ، وهــو المتفرد بالعبادة وحــده وينادى النــاس لاميعا « **يأيهــا الناس اعبــدوا ربكم الذى خلقــكم والذين من قبلكم لعــلكم تتقون ٠** الذى جعل لــكم الأرض

(٢٥) ســورة غافــر الآية ٦٢ — ٦٤ ٠

(٢٦) ســورة الدخــان الآية ٣٨ ، ٣٩ ٠

(٢٧) ســورة صــ الآية ٢٧ ، ٢٨ وينظر كتــاب الإيمــان والحيــاة ص ٢٩٥ وما بعــدها د٠ يوسف القرضاوى — مكتبة وهبــة ط ٩ ١٤١٠ هـ — ١٩٩٠ م ٠

فراشـــا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقـــا لـــكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمـــون »(٢٨) .

عقيـــدة الثبـــات :

العقيدة الإســـلامية عقيـــدة ثابتـــة لا تقبـــل الزيادة أو النقص ، ولا تقبـــل التحريف أو التبديل ، لأنها من لـــدن حكيم حميد ، وليست من وضع البشر ، ذلك أن قوانين البشر تتغير بتغير الأزمان والأماكن ، أما القـــوانين الالهية فهى صالحـــة للناس فى كل زمان ومكان ، من هنا كانت العقيدة الإســـلامية وضـــع إلهى لا دخـــل فيها لحاكم من الحكام ، ولا مجمـــع من المجامـــع ، ولا مؤتمر من المؤتمرات الدينية ، وكل إضافة فيها أو تحـــوير مردود على صاحبه ، ومن هنـــا يستنكر القرآن الكريم على هـــؤلاء المشرعين فى الدين ما لم يأذن به الله فيقول الله جل ثناؤه :

« ام لهم شركـــاء شرعـــوا لهم مـــن الـــدين ما لم يأذن بـــه الله »(٢٩)

وبنـــاء على ذلك : فكل البـــدع والخرافات والأساطير التى اشيعت بين عامة المسلمين أو دست فى كتبهم باطلة مردوده لا يقرها الإســـلام ، وفى نفس الوقت لا تؤخـــذ على الإســـلام(٣٠) .

وثبـــات العقيدة وعـــدم تغيرها ناتج عن أنها منزلة من عند الله ، وقـــد انقطع الوحى بالتحاق الرســـول — ﷺ — بالرفيق الأعلى ، وتبقى النصـــوص ثابتة إلى يوم الدين ، لا تنسخ ولا تبدل ، والإنسان يتحرك

---

(٢٨) ســـورة البقـــرة الآية ٢١ ، ٢٢ .

(٢٩) ســـورة الشـــورى الآية ٢١ .

(٣٠) الإيمـــان والحيـــاة ص ٤٤ .

ويتطور وينمو ، ولكن داخــل إطار هــذه العقيدة الثابتة ، ذلك الإطار الذى يتسع لحركة الإنسان ونموه ، غير انه أحيانا يخرج الإنسان من ذلك الإطار فيصبح كالنجم الذى يترك مساره ،ويسير إلى نهايته التى تؤدى إلى إصطدامه بكواكب أخرى فيتحطم ، وقــد يتحطم معه غيره(٣١) ٠

ومن هنــا كــان لابد من شىء ثابت يرجــع النــاس إليــه حتى يطمئنوا ويستريحوا ويكون لديهم المقيــاس الذى يعرفون به كل شىء ، وثبــات العقيدة أيضــا يجعل النــاس أصــلا يرجعون إليــه حاكمهم ومحكومهم على السواء ، وثبــات العقيدة الربانية يجعــل النــاس تحت ظــل القــانون الإلهى ، فليس هنــاك أحــد فــوق القانون أو تحت القــــانون ٠

والله سبحانه لا يسأل عمــا يفعل ، أما الخليفة والأمير والحــاكم فكلهم جميعا خلق الله — ســبحانه — ويعبدون الله بتنفيذ ذلك القــانون الربانى ، لأنهم ما داموا من خلــق الله فهم عبيــد الله ، وليسوا آلهــة لا يســألون(٣٢) ٠

عقيــدة البرهــان :

العقيدة الإســلامية لا تكتفى فى تقرير القضــايا بمجــرد الإلزام والاعتقــاد الأعمى من غير دليــل أو برهان كما هــو موجود فى بعض العقــائد الأخرى « اعتقــد وانت اعمى » أو « آمن ثم اعلم » أو « أغمض

---

(٣١) العقيدة وأثرها فى بنــاء الجيل د٠ عبد الله عزام ص ٨٩ ٠ دار الإسراء للنشر والتــوزيع — عمــان ٠

(٣٢) المرجــع الســابق ص ٩٥ ٠

عينيك ثم اتبعنى » العقيدة الإسلامية ليست كذلك ، وإنما يقول كتابها فى وضوح وصراحة « **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين** »(٣٣) ·

« جاء القرآن فنهج بالدين منهجا لم يكن عليه ما سبقه من الكتب المقدسة ، منهجا يمكن لأهل الزمان الذى أنزل فيه ولمن يأتى بعدهم أن يقوموا عليه ·

فلم يقصر الاستدلال على نبوة النبى — ﷺ — بما عهد الاستدلال به على النبوات السابقة ، بل جعل الدليل فى حال النبى مع نزول الكتاب عليه فى شأن من البلاغة تعجز البلغاء عن محاكاته فيه ، ولو فى مثل أقصر سورة منه ·

وقص علينا من صفات الله ما أذن الله لنا أو ما أوجب علينا أن نعلم ، لكن : لم يطلب التسليم لمجرد أنه جاء بحكايته ، ولكنه أقام الدعوى وبرهن ، وحكى مذهب المخالفين ، وكر عليها بالحجة ، وخاطب العقل ، واستنهض الفكر ، وعرض نظام الأكوان وما فيها ليصل بذلك إلى اليقين بصحة ما إدعاه ودعا إليه »(٣٤) ·

وحين نستعرض القرآن الكريم نجده قد أتى وفيه من أنواع البراهين والأدلة وطرق المناظرات والالزامات ما لا يوجد مثله فى أى كتاب آخر سماوى أو غير سماوى ، فليست هناك قضية فى العقيدة يتعرض لها الكتاب الكريم إلا ويورد عليها من الأدلة ما يجعلها فى رؤية العقل مثل أجلى البدهيات والمقررات ، وما من نحله باطلة يتعرض

---

(٣٣) سورة البقرة الآية ١١١ ·

(٣٤) رسالة التوحيد ص ٢٤ للشيخ محمد عبده ط دار الهلال ·

لهـــا القرآن إلا ويورد عليها من الالزامات والمناقضات ما يجعلها فى حكم الممتنعات وما من ســـبيل من ســـبل إثبات المدعى إلا وقـــد سبق إليـــه القرآن وقرره ، ووضع لـــه الأسس السليمة ٠

ولـــو أتى الإنسان بجميع ما أنتجتـــه عقـــول المفـــكرين من أنواع الحجج والبراهين ، ثم قارنها بهـــا جاء فى القرآن الكريم لوجـــدها ـــ مـــع كثرة ما فيها الوهم والغلط ـــ لا يمكن ـــ إطلاقا ـــ أن توزن بحجج القرآن فى حسن الايراد وفصاحة البيان(٣٥) ٠

وطريقة القرآن فى إثبـــات العقيدة تقوم على دعائم ثلاث :

١ ـــ عرض المعتقـــدات الباطـــلة ٠

٢ ـــ ابطـــال هـــذه المعتقدات بالحجـــة ٠

٣ ـــ إثبـــات العقيدة الحقـــة بالبرهان ٠

فمثلا حين يتحـــدث القرآن الكريم عن شأن المشركين الذين ينسبون الولـــد إلى الله ـــ تعالى ـــ « **وجعلوا لـــه من عبـــاده جزءا إن الإنسان لكفـــور مبين ٠ أم اتخـــذ ممـــا يخلق بنـــات وأصـــفاكم بالبنين ، وإذا بشر أحـــدهم بمـــا ضرب للرحمن مثلا ظـــل وجهه مسودا وهـــو كظيم ٠ أو من ينشأ فى الحليـــة وهـــو فى الخصام غير مبين ، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شـــهادتهم ويسألون ٠ وقالوا لـــو شـــاء الرحمـــن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هـــم إلا يخرصـــون** »(٣٦) ٠

---

(٣٥) مذكرة فى مناهج البحث ص ٣ د٠ محمد خليـــل هراس نقـــلا عن العقيدة فى ضـــوء القرآن الكريم د٠ صلاح عبد العليم ص ١٤ ٠

(٣٦) ســـورة الزخـــرف الآية ١٥ ـــ ٢٠ ٠

وأيضـا قـوله تعالى « **وقالـوا اتخـذ الرحمن ولـدا ، سبحانه بل عبـاد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعلمون . يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى هم من خشيته مشفقون** »(٣٧) .

فنلاحظ أن الآيات الكريمة تعرض هـذه الدعاوى الباطلة التى تنسب الولد إلى الله تعالى ، ثم تنقض هـذه الدعـوى وتبطلها ، حيث تقرر أن المـلائكة خلق من مخلوقاته — تعالى — ونسبتهم إلى الله هى نسبة المخلوق إلى الخالق ، وليست نسبة الولـد إلى الوالـد — كما يتصـور المشركون — ومن ثم فهم عبـاد مكرمون ، وشأنهم الطاعـة المطلقة لله ، هم أيضا لا يشفعون إلا لمـن ارتضى .

ثم تقرر الآيات بعـد ذلك أن الرب الخالق هـو الأولى بأن ينزه عن الأمور الناقصـة فيكم ، فكيف تجعلون لـه ما تكرهون أن يكون لكم ، وتستحيون من إضافته لأنفسهم مـع أنه واقـع لا محالة(٣٨) .

ويبلغ القرآن الكريم الذروة فى الاقنـاع فى شأن عيسى — عليـه السلام — مبينا للقـوم الذين ضـلوا فى شأنه أنه بشر شأنه شأن سـائر البشر يأكل ويشرب ، ويقـذف الفضلات من جسمه ، فكيف — حينئذ — تنفى عنـه صفته الإنسانية ، أو يزعم لـه صفات فوقها .

« **ما المسيح ابن مريم إلا رسـول قـد خلت من قبله الرسـل وأمه صـديقه كانا يأكلان الطعـام** »(٣٩) .

---

(٣٧) سـورة الأنبيـاء ٢٦ — ٢٨ .
(٣٨) موافقة صحيح المنقـول لصريح المعقول ص ١ — ١٧ لابن تيمية
(٣٩) سـورة المـائدة الآية ٧٥ .
نقـلا عن : العقيدة فى ضـوء القرآن ص ١٥ .

وهــو أيضــا عبد يخضع لله ويعنو وجهــه لربه الأعلى ، ويذل في ســاحته ويسبح في صمت وإقرار هــذا التقرير الخطير :

« قــل فمن يملك من الله شــيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعــا »(٤٠) .

وعيسى — عليــه السلام — هــو وأمه يعرفان حــق المعرفة أنهمــا عبدان فقيران لله ، ومن هنــا : فإنهما يوم القيــامة يقران بذلك وينكران من عــالى فيهمــا .

« وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخــذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقــول ما ليس لي بحــق إن كنت قلته فقــد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيــوب . ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبــدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شــهيدا ما دمت فيهم فلمــا توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شــهيد »(٤١) .

والواقــع الذي يعــلو به صوت البديهــة : أنه من المستحيل جعل عيسى — عليــه السلام — الهــا يفعل ما يشاء ، يخلق ويرزق ، ويحيي ويميت ، ويدبر شئون العباد ، ذلك أنه عبد ضــعيف ، وبعــد ممــاته شأنه شأن أي إنسان يواري في التراب .

وممــا لا شك فيه أن الذين ألهــو عيسى يدركون ذلك جيدا ، ومن ثم فإنهم يلتمسون لــه القــوة — التي تجعل منه إلهــا — من طبيعة

---

(٤٠) ســورة المــائدة الآية ١٧ .
(٤١) ســورة المــائدة ١١٦ — ١١٨ .

اخرى غير طبيعته كإنسان ، وذلك بالتحايل على إيجاد نسبة بينه وبين الله — سبحانه — الا وهى نسبة البنوة ، وكانه ولى عهـد ، تعالى الله عن ذلك علـوا كبيرا .

وزين لهم هـذا التخبط أن عيسى ولـد من أم فقط ، والحـق أن النسبة بين الله وبين خلقـه كافـة هى نسبة الموجـد المتفضل بالإيجـاد المختار فيـه أتم اختيار على عالم لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعـا ولا موتا ولا حيـاة ولا نشورا ، والله — سـبحانه — قـد يجعل بعض مخلوقاته ارضا وبعضها سماء، وبعضها ترابا، وبعضها ذهبا، بعضها نباتا، وبعضها حيوانا ، بعضها إنسا وبعضها جنـا ...

اى سخف هـذا الذى يجعـل بعض الخلق شركاء فى الألوهية ، لانه منح بعض خلقـه فضل احترام ؟

وكيف يتصـور فى بديع السموات والارض أن يكون والـدا لتـلك الأجسـاد التى ذراها ، وما عيسى — عليـه السلام — فى جانب هـذا الملـكوت الضـخم ؟

إن شان الالوهية أعظم واعـز مما يهـرف به أولئـك الجهـلة من ولادة وبنوة واتصـال وانسال **« لو أراد الله أن يتخـذ ولـدا لاصطفى ممـا يخلق ما يشاء سبحانه هـو الله الواحـد القهار »** (٤٢) .

وفى مجال إثبـات النبـوة يحكى لنـا القرآن الكريم شـبهة من

---

(٤٢) سـورة الزمـر الآية ٤ ويراجـع : عقيدة المسلم للشيخ محمـد الغزالى ص ٦٢ ط ٢ دار الدعـوة ١٩٨٩ .

الشبهات التى اثارها الكفار على الرسالة ، ثم يبطل هذه الشبهة ، ويثبت النبوة بالبرهان العقلى .

يقول سبحانه « **وقالوا لولا أنزل عليه الملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون** »(٤٣) .

ذلك أن المشركين قد اقترحوا أن ينزل الرسول ملك من السماء ويكون له مؤيدا يرونه أمامهم فرد الله عليهم بانه لو انزل ملكا كما اقترحوا ، لكان هذا الامر فيه اهلاكهم ، ثم لا ينظرون ولا يمهلون ليؤمنوا ، بل يأخذهم العذاب عاجلا ، كما مضت به سنة الله فيمن كان قبلهم فسنة الله فى أقوام الرسل الذين قامت عليهم الحجة أنهم كانوا يقترحون الآيات ثم يعطيهم الله إياها ثم لا يؤمنوا ، فينزل عليهم عذاب الاستئصال والهلاك ، والذى تتولى تنفيذه الملائكة والله - سبحانه - لا يريد أن يستاصل هذه الامة التى بعث فيها نبى الرحمة ، فالرحمة تنافى هذا العذاب العام « **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** »(٤٤)

اما بالنسبة لجعل الرسول ملكا - كما يقترح هؤلاء الكفار - فيرد عليهم القرآن بانه لو جعل الرسول ملكا لجعل متمثلا فى صورة بشر ، وذلك حتى يتمكنوا من رؤيته وسماع كلامه الذى يبلغه عن الله - تعالى .

---

(٤٣) سورة الأنعام الآية ٨ ، ٩ .
(٤٤) سورة الأنبياء الآية ١٠٧ ويراجع العقيدة فى ضوء القرآن الكريم ص ١٦ .

هـــذا وقـــد زعم الكفار ان الرســـول — ﷺ — يستمد القرآن الذى يتلوه من شخص معين ، فيرد عليهم القرآن فى قـــوة : « **لســـان الـــذى يلحـــدون إليه اعجمى وهـــذا لسان عربى مبين** »(٤٥) ٠

أما فى مجـــال عقيدة البعث ففى القرآن أمثلة كثيرة منها قـــوله تعالى : « **وضرب لنـــا مثلا ونسى خلقـــه قال من يحيى العظـــام وهى رميم ٠قـــل يحييها الذى انشاها اول مرة وهـــو بكل خلق عليم ٠ الذى جعل لـــكم من الشجر الاخضر نارا فإذا انتم منه توقـــدون ٠ او ليس الذى خلق السموات والارض بقـــادر على أن يخلق مثلهم بلى وهـــو الخلاق العليم ٠ إنمـــا أمره إذا اراد شـــيئا أن يقول لـــه كن فيكون** »(٤٦) ٠

فقـــد فندت الآيات الكريمة شبهة أولئـــك الذين ينكرون البعث ، الذين استبعدوا عـــودة الحياة إلى الأجسام البالية ، وذلك للتضاد بين الحى الحار الرطب وبين العظام التى رمت وبليت وهى باردة يابسة فيجىء الرد على هـــذه الشبهة بإثبات البعث بالبرهان فى الأدلة الكونية المرئيـــة والمتعاقبـــة « **قـــل يحييها الذى انشاها أول مرة وهـــو بكل خلق عليم ٠ الذى جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فإذا انتم منه توقـــدن ٠٠٠ الآيات** » اى قـــل لهم أيها الرســـول الكريم إن الله — ســـبحانه — الذى أوجـــد الأجساد من عـــدم دون أن تكون شيئا مذكورا ، هـــو القادر على إحيائها ، ومن قـــدر على إيجاد الشىء من العـــدم قادر — من باب أولى — على

---

(٤٥) ســـورة النحـــل الآية ١٠٣ ٠
(٤٦) ســـورة يس الآية ٧٩ — ٨٢ ٠

إعادته بعــد هلاكه وهــو سبحانه — عليم بكل شىء فى هــذا الوجود ، ولا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، ســواء أكان هــذا الشىء صغيرا أم كبيرا ، مجموعا أم متفرقا ، ثم قل : لهؤلاء المنكرين للبعث — يحيى الله — تعالى — الأجسام البالية — الذى انشأها أول مرة ، والذى جعــل لــكم — بفضله ، ورحمته وقــدرته — من الشجر الأخضر نارا ، فإذا أنتم توقــدون من هــذا الشجر الأخضر نارا ، فمن قــدر على إحــداث النــار من هــذا الشجر الأخضر — مع ما فيه من المــائية المضادة كان قادرا على إعادة الأجسام بعــد فنائها .

ثم أضاف الحــق — سبحانه — إلى توبيخهم على جهلهم وكفرهم توبيخا آخر فقال « **او ليس الذى خلق السموات والأرض بقــادر على أن يخلق مثلهم** » اى أن من قــدر على خلق السموات والأرض — وهى فى غاية العظم — قــادر من باب أولى على إعادة خلــق البشر مرة أخرى « **إنمــا أمره إذا أراد شــيئا أن يقول لــه كن فيكون** »(٤٧) .

وهكذا نجــد أن العقيــدة الإســلامية تقــوم فى قضــاياها على البراهين والحجج الدامغــه ، والأدلة القــوية ، التى لا يســع الخصم إزاءها إلا أن يسلم عن قناعــة وإيمــان سواء كان ذلك فى عقيدة الألوهية أو فى موضــوع النبوة ، وا البعث .

الوســـــطيه :

من خصائص العقيدة الإســلامية أنها عقيدة وســط لا إفراط فيهــا

---

(٤٧) راجــع التفسير الوسيط ص ٦٨ — ٧١ د . محمد السيد طنطــاوى ط ٣ ١٩٨٥ .

ولا تفريط(٤٨) ، فهى وسـط بين أولئـك الذين ينـكرون كل ما وراء الطبيعة ، الذى لا يؤمنون إلا بالمحسوسات وبين الذين يثبتون لهذا العالم آلهـة شتى ، بل يحلون روح الآلـه فى المـلوك والحـكام ، بل فى بعض الحيوانات والنباتات مثل الأبقـار والأشجار وغيرها ، لقـد رفضت العقيدة الإسـلامية الإنكار الملحـد ، ورفضت أيضـا التعـدد الجاهل ، وأثبتت للعالم الها واحـدا لا شريك لـه « **قـل لمن الأرض ومن فيهـا إن كنتم تعلمون — سيقولون لله قـل أفلا تذكرون ٠ قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ٠ سيقولون لله قـل أفلا تتقون ٠ قـل من بيده ملـكوت كل شىء وهـو يجـير ولا يجـار عليـه إن كنتم تعلمـون ٠ سيقولون لله قـل فأنى تسحرون** »(٤٩) ٠

والعقيدة الإسـلامية عقيدة وسـط فى الصفات الآلهية فليس فيهـا غلو فى التجريد ، والذى يجعل صفات الإلـه مجرد سلوب لا تعطى معنى — كما فعلت الفلسفة اليونانية — فكل ما وصفت به الإلـه أنه ليس بكذا وليس بكذا دون أن تقـول ما صـفات هـذا الإلـه الإيجابية وما أثرها فى العـالم ؟

أيضـا خلت العقيـدة الإسـلامية من الأباطيـل التى وقعت فيهـا اليهودية ، التى جعلت الخالق — سبحانه — كأحـد المخلوقين ينـام

---

(٤٨) الفرق بين الإفراط والتفـريط : أن الإفراط يستعمل فى تجـاوز الحـد من جانب الزيادة والكمال ، والتفريط يستعمل فى تجاوز الحـد من جانب النقصان والتقصير ٠ انظر التعريفات للشريف الجرجانى ص ٢٦ ط الحلبى ٠

(٤٩) سـورة المؤمنـون الآية ٨٤ — ٨٩ ٠

ويتعب ويقسو ويتحيز ويستريح ويلتقى ببعض الأنبياء فيصارعه فلا يتمكن الرب من الإفـلات — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وعلى سبيل المثال ما جاء فى سفر الخروج « وسمع آدم وحواء صوت الرب ماشيا فى الجنة ، ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر فى الأرض .. فحزن الرب أنه عمل الإنسان فى الأرض وتأسف فى قلبه ، فقال الرب : أمحوا عن وجه الأرض الإنسان الذى خلقته .. لأنى حزنت أنى عملتهم(٥٠) .

ولو ذهبنا نستعرض أسفار العهد القديم لوجدنا أوصافا للإله يخجل منها الإنسان ، كان يمضى ثلاثة أرباع الليل يزأر كالأسد ينادى على خراب بيته وإحراق الهيكل(٥١) .

لكن العقيدة الإسلامية تقرر فى صراحة ووضوح تنزيه الله — إجمالا — عن مشابهة المخلوقات وذلك فى قوله تعالى « **ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** »(٥٢) وهو سبحانه « **لم يكن له كفوا أحد** »(٥٣) والله — جل جلاله — يقدم نفسه لعباده فيقول جل ثناؤه « **الله لا إله إلا هو الحى القيوم . لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه يعلم**

---

(٥٠) سفر الخروج ٢٢ .

(٥١) فى علم الكلام ص ٢٨ د. أحمد محمود صبحى دار الثقافة الجامعية — اسكندرية ١٩٧٨ .

(٥٢) سورة الشورى الآية ١١ .

(٥٣) سورة الإخلاص الآية ٤ .

ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحطيون بشىء من علمـــه إلا بمـــا شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم »(٥٤) .

والعقيدة فى الإســـلام وسط بين التسليم الأبله الذى يأخـــذ العقائد الموروثة عن الآبـــاء وبين الذين يريدون أن يعرفـــوا كنـــه كل شىء حتى الألوهية ، وهم بعـــد لم يعرفـــوا كنـــه أنفسهم التى بين جنـــوبهم ، ولا ماهية حيـــاتهم وموتهم ، بل ولا يعرفـــون كنـــه شىء من القـــوى الكونية المحيطة بهم ، فكيف يطمـــع العقـــل بعـــد ذلك فى معرفة كنـــه الألوهية ، وهـــل يعرف المتناهى اللامتناهى ، وهـــل يعرف المحـــدود حقيقة اللامحـــدود ، وهـــل يعرف النسبى كنـــه المطلق ؟

ثم هى مـــع هـــذا تفتـــح باب النظر والتأمل فى الـــكون « **قـــل انظروا ماذا فى السموات والأرض »(٥٥) « وفى الأرض آيات للمؤمنين وفى أنفسكم أفـــلا تبصرون »(٥٦) « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شىء »(٥٧) « إن فى خلـــق السموات والأرض لآيات لأولى الألبـــاب . الذين يذكرون الله قيـــاما وقعودا وعلى جنـــوبهم يتفـــكرون فى خلـــق السموات والأرض ربنـــا ما خلقت هـــذا باطـــلا ســـبحانك »(٥٨) .**

---

(٥٤) ســـورة البقـــرة الآية ٢٥٥ .
(٥٥) ســـورة يونس الآية ١٠١ .
(٥٦) ســـورة الـــذاريات الآية ٢٠ ، ٢١ .
(٥٧) ســـورة الأعـــراف الآية ١٨٥ .
(٥٨) ســـورة آل عمـــران الآية ١٩٠ ، ١٩١ .

والعقيدة الإســلامية وسط أيضا فى علاقتهــا بالعقــائد الأخرى ، فلا تذوب فى غيرها ، بل تدعوا فى ثبات فى قوة استمساك « **فتوكل على الله انك على الحــق المبين** »(٥٩) « **فاستمسك بالذى أوحى إليــك انك على صراط مستقيم** »(٦٠) ومع هــذا كلــه لا تعصب منهــا ضــدغيرها « **الله ربنــا وربكم لنــا اعمالنــا ولكم أعمالكم** »(٦١) « **لى عملــى ولكم عملكم انتم برئيون ممــا اعمــل وأنا برىء ممــا تعمــلون** »(٦٢) وهى تهيب باتباعها ان يدعــوا إليها بالحسنى « **ومن أحسن قــولا ممن دعــا إلى الله** »(٦٣) ولا إكراه فيها على اعتناقها « **لا إكراه فى الدين قد تبين الرشــد من الغى** »(٦٤) ٠

كما ان العقيدة الإســلامية لا تقبــل التهاون ممــن يقفون فى سبيل دعــوتها ويحاربونها ويضعون فى سبيلها العراقيــل وإن كان من أقرب الناس « **لا تجــد قــوما يؤمنون بالله واليــوم الآخــر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم** »(٦٥) ٠

وهى عقيدة وســط بين الذين يتساهلون فى إثبــات العقائد فيقبلون الظنــون والشكوك والأوهام وهــذا معين لا ينضب لقبــول الأســاطير والخرافات — وبين أولئــك الذين يقبلون فى العقيدة أى خــواطر تمــر

---

(٥٩) ســورة النمــل الآية ٧٩ ٠
(٦٠) ســورة الزخــرف الآية ٤٣ ٠
(٦١) ســورة الشــورى الآية ١٥ ٠
(٦٢) ســورة يونس الآية ٤١ ٠
(٦٣) ســورة فصــلت الآية ٣٣ ٠
(٦٤) ســورة البقــرة الآية ٢٥٦ ٠
(٦٥) ســورة المجــادلة الآية ٢٢ ٠

بالذهن ثم تختفى ، أوهاجس يهجس فى النفس ثم يزول ، من هنـا كان رفض العقيدة الإسلامية للظن فى أصول العقيدة واضحا « **وما يتبـع أكثرهم إلا ظنـا إن الظـن لا يغنى من الحـق شيئا** »(٦٦) « **وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغنى من الحق شيئا** »(٦٧) والأنبياء فى العقيدة الإسـلامية بشر أصفياء ، علم الله — تعالى — طيب معـادنهم وحسن استعدادهم فأنزل وحيـه عليهم « **الله أعلم حيث يجعل رسـالته** »(٦٨) .

والله — جل ثناؤه — جعـل الوسيطة لهـذه الأمة لحكمة يعلمها ، ذلك أن هـذه الأمة هى آخر الأمم ، وهـذه الرسالة هى خاتمة الرسالات ورسـولها خاتم الرسـل ، فقـد يجوز فى رسالة مرحليـة محـدودة الزمن والإطار أن تعـالج بعض القضايا ، فإذا أدت الدعـوة المرحليـة ذلك الـدور ، وحـدث الغـلو ، كـان لابد مـن العـودة إلى الحـد الوسط ، فتعتدل كفتـا الميزان ، وهـذا ما يجعـل رسـالة الإسـلام رسـالة عالميـة خالـدة .

ومن معانى الوسطية التى وصفت بهـا الأمة الإسـلامية شهادتها على البشرية كلها ، وهـذا يعنى العـدل الذى هـو ضرورة لقبـول شهادة الشاهد ، فما لم يكن عـدلا ، فإن شـهادته مرفوضـة ، والشاهد العـدل والحاكم العـدل هـو المرضى بين الناس .

---

(٦٦) سـورة يونس الآية ٣٦ .
(٦٧) سـورة النجم الآية ٢٨ .
(٦٨) سـورة الأنعـام الآية ١٢٤ الإيمـان والحياة ص ٤٩ بتصرف .

والعقيـــدة الإســـلامية عقيـــدة وســـط فى مسالة الإرادة الإنسانية (قضية الجبر والاختيار) القضية التى شغلت العقـــل الإنسانى وكانت مثارا للجـــدل والتنازع ، ومن هنـــا جاءت عقيدة الإســـلام مطابقـــة للفطرة السليمة والواقـــع المشاهد ، فالإنسان فى دائرة أعماله الاختيارية حـــر مسئول عن نفسه وعمـــله ، لـــه أن يفعـــل وأن يترك كما تشـــهد بذلك النصوص « **فمن شـــا فليؤمن ومن شـــاء فليكفر** »(٦٩) « **إن هـــذه تذكرة فمن شـــاء اتخـــذ إلى ربه ســـبيلا** »(٧٠) « **من عمـــل صـــالحا فلنفسه ومن أســـاء فعليها** »(٧١) إلى غير ذلك من الآيات التى تقـــرر حرية الإنسان ومسئوليته عن عمـــله .

والقرآن الكريم ينعى على أولئـــك الذين يلقـــون بشركهم وأوزارهم على كاهـــل القـــدر « **ســـيقول الذين أشركوا لـــو شـــاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقـــوا بأسنا قـــل هـــل عندكم من علم فتخرجـــوه لنـــا إن تتبعون إلا الظـــن وإن أنتم إلا تخرصون** »(٧٢) « **وقالوا لـــو شـــاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم لا يخرصون . أم آتيناهم كتابا من قبـــله فهم به مستمسكون** »(٧٣) « **وإذا قيـــل لهم انفقوا مـــا رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا انطعم من لـــو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا فى ضـــلال**

(٦٩) ســـورة الكهـــف الآية ٢٩ .
(٧٠) ســـورة المـــزمل الآية ١٩ .
(٧١) ســـورة الجاثيـــة الآية ٧ .
(٧٢) ســـورة الأنعـــام الآية ١٤٨ .
(٧٣) ســـورة الزخرف الآية ٢٠ ، ٢١ .

مبين »(٧٤) ومع هـذا فالإنسان ليس كامل الاختيار أو مطلق الإرادة يفعل كل ما يشاء ، لأنه لـو كان كذلك لكان إلهـا ، ولن يستطيع أحـد أن ينكر المحدودية للبشر مهما بلغ من الانتصار للحرية الإنسانية ، حتى أولئـك المـاديون الجـدليون قيـدوه بوسائل الانتـاج ، وظـواهر الاقتصاد ، فنزلوا بالإنسان إلى أحـط مستوى من الجبرية حين جعـلوه عبدا خاضعا لمظاهر المـادة ، لا سيدا مهيمنا عليهـا ، ومن هنـا فإن الحقيقة المتفق عليها يقررها الإسـلام فى صـورة اكرم للإنسان ، فهـو حر مختـار فى دائرة ما رسم الله للوجـود من سنن ، يجريها بعلمـه وحكمته ومشيئته على الكون كله ، ومنها الإنسان ، إنه حر لأن الله أراد له الحرية ، ويشـاء ، لأن الله قـدر لـه ذلك **« وما تشـاؤن إلا أن يشـاء الله »**(٧٥) ٠

وبجانب الحرية الإنسانية يقـرر القـرآن جانب الإرادة الإلهيـة النافـذة **« ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا »**(٧٦) **« قـل كل من عند الله »**(٧٧) **« ولا تقـولن لشىء إنى فاعـل ذلك غـدا إلا أن يشـاء الله »**(٧٨) ٠

والإنسان الـذى يعتز بفعـل الخـير ، ويعترف فى نفس الوقت بمسئوليته فى فعـل الشر يجـد ما يرضى شـعوره بذاته ، ويتفق مـع

(٧٤) سـورة يس الآية ٤٧ ٠
(٧٥) سـورة الإنسـان الآية ٣٠ ٠
(٧٦) سـورة يونس الآية ٩٩ ٠
(٧٧) سـورة النساء الآية ٧٨ ٠
(٧٨) سـورة الكهـف الآية ٢٣ ، ٢٤ ٠

العدالة التى يتصورها « **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها** »(٧٩) ، أما المسرف على نفسه فجد ـ إذا تاب ـ ما يبدد يأسه ويطمئنه على مصيره « **قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم** »(٨٠) .

الشمول :

تتميز العقيدة الإسلامية بأنها عقيدة شاملة ، لأنها تفسر كل القضايا الكبرى فى هذا الكون ، والتى شغلت الفكر الإنسانى ، ولا زالت تشغله ، وتطلب الإجابة الحاسمة التى تخرج الإنسان من الضياع والتمزق والحيرة ، وتأخذ بيده إلى بر الأمان ، وتنتشله من متاهات الفلسفات المتضاربة فى آرائها .

وإذا كانت بعض العقائد تهتم بقضية الإنسان فقط دون قضية الألوهية أو بقضية الألوهية دون قضية النبوة ، أو بقضية النبوة دون قضية المعاد ، فإن العقيدة الإسلامية قد اشتملت على هذا كله .

والعقيدة الإسلامية لا تعتمد على الوجدان او الشعور وحده ، كما ترى بعض المذاهب الاشراقية ، وكما هو شأن المسيحية التى ترفض تدخل العقل فى العقيدة رفضا باتا .

والعقيدة الإسلامية لا تعتمد على العقل وحده ، كما هو شأن

---

(٧٩) سورة فصلت الآية ٤٦ .

(٨٠) سورة الزمر الآية ٥٢ ، ويراجع : تعقيبات د. محمد عبد الهادى أبو ريدة على كتاب تاريخ الفلسفة فى الإسلام لديبور ص ٦٩ وكتاب الإيمان والحياة ص ٥٢ .

كثير من الفلسفات البشرية التى تتخذ العقل وسيلتها الفذة فى معرفة الله وحل ألغاز الوجود ، ولكنها تعتمد على الفكر والشعور معا ، أو العقل والقلب جميعا .

والعقيدة الإسلامية لا تقبل التجزئة ، فلابد أن تؤخذ بكل محتوياتها دون إنكار أو حتى شك فى أى جزء منها فالإنسان المسلم يجب أن يسلم قيادة كله لله ، ويؤمن بكل ما جاء به ، فلا يجوز أن يقول الإنسان أنا مؤمن بما جاء فى القرآن من شعائر وعبادات ، ولا أؤمن بما جاء فى شأن الأخلاق والآداب ، أو يقول : آخذ جانب العبادات والأخلاق ولا آخذ جانب التشريع ، أو آخذ منه ذلك كله ولا أصدقه فيما يرويه من أحداث .

فالإسلام يؤخذ على أنه كل مترابط كل جزء فيه لا يؤدى وظيفة إلا مع غيره ، ولذلك ينكر القرآن الكريم على بنى إسرائيل إيمانهم ببعض الكتاب وكفرهم بالبعض الآخر يقول سبحانه « **أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزى فى الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** »(٨١) وانكر عليهم أيضا إيمانهم ببعض الرسل دون بعض فقال سبحانه « **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا**

---

(٨١) سورة البقرة الآية ٨٥ .

بين ذلك سبيلا • أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا»(٨٢) •

* * *

(٨٢) سورة النساء الآية ١٥٠ ، ١٥١ ، ويراجع : الخصائص العامة للإسلام ص ١١٣ — ١٢٥ د. يوسف القرضاوى — مؤسسة الرسالة ط ٧ ١٩٨٩ •

الفصل الثاني

حاجة الإنسان إلى العقيدة

حاجــة الإنســان إلى العقيــدة

الإنسان هــو ذلك الكائن المــكرم ، خلقه الله خلقا مباشرا عن طريق ابى البشرية آدم — عليــه السلام — فنفخ فيــه من روحه وعلمــه الأسماء كلها ، وأسجد لــه المــلائكة ، وخلق فى أحسن تقــويم .

حرم دمه وماله وعرضــه إلا بالحــق ، وارســل إليــه الرســل وانزل عليــه الكتب ، فهيأه بذلك للكمــال ، واعــده لسعادة الحــال والمــآل .

وقــد أخبرنا الله — سبحانه — فى محكم التنزيل عن هــذه النشأة للإنسان فقال جــل شانه :

« ولقــد خلقنــا الإنسان من ســلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقــة فخلقنا العلقــة مضغة فخلقنــا المضغة عظــاما فكسونا العظام لحمــا ثم انشاناه خلقــا آخر فتبارك الله احسن الخالقــين »(١) .

وإذا كان الله — سبحانه — هــو الخالق لهــذا الإنسان ، فمــا احــوج الإنسان أن يتعرف على خالقــه ورازقــه .

فمن من البشر من لم يفكر فى هــذا الكون ؟ كيــف نشأ ، وكــيف يسير ، من الذى أوجــده ؟ هــل وجــد بذاته ؟ أم بقــدرة قادر ؟ ومن هــذا القــادر ؟ وما هى صفاته ؟ وما صلته بهــذا الكون ؟

---

(١) ســورة المؤمنــون الآية ١١ — ١٤ ويراجــع : دراسات علمية فى المسائل العقــدية ص ١٣ د . آمنــه نصير ط ٢ ١٩٨٩ .

وهـــذا الإنسان أهـــو مركب من جسد وروح ؟ وإن كان الأمر كذلك فمـــا هى هـــذه الروح القائمـــة بجسم الإنسان ؟ هـــل هى خالـــدة أم فانية ؟ وإذا كانت خالـــدة فكيف يبعث الإنسان مرة أخرى ؟ كيف يحاسب ؟ وما مصـــيره ؟

وهـــذه الدنيـــا إلى أين ؟ هـــل لهـــا نهاية أم أنهـــا ممتدة إلى مالا نهـــاية ؟

وهـــذه الحياة التى نحياها ما مقيـــاس الخير والشر وفيها ، والحق والباطـــل ... الخ »(٢) .

إن هـــذه الأسئلة وغيرها تفرض نفسها على كل إنسان يشعر بالحاجة الشديدة ، والرغبة الملحـــة فى أن يحـــدد موقفه منها وذلك لكى يضـــع نهاية للقلق النفسى الذى يعتريه ، والحيرة الفكرية التى يعيشها ، ليعيش فى أمن وطمأنينة ، ويحـــدد مهمته ومصيره .

إن الإنسان لم يخلق عبثا فى الحياة ، وإنمـــا جاء لمهمـــة ورسالة كلفـــه الله بهـــا ، ومن هنا : كان من الواجب على الإنسان العاقـــل أن يجنـــد نفسه للمهمـــة التى خلق من أجلها ، فالحيـــاة تمضى وعقـــارب الزمن لا تتوقف يقـــول الإمام الغزالى :

« اعلم أن صرف الهمـــة إلى ما ليس بمهم ، وتضييع الزمان بمـــا عنه بد هـــو غاية الضلال ، ونهاية الخسران ، ســـواء أكان المنصرف إليه بالهمـــة من العلوم أو من الأعمـــال ، فنعـــوذ بالله من علم لا ينفع .

---

(٢) عقيدتنا ص ١٠ د. محمد ربيـــع الجوهرى ـــ دار الطباعة المحمدية ط ١ ١٩٨٥ .

وأهم الأمور لكافـة الخلق نيـل السعادة الأبدية واجتناب الشقاوة الدائمـة ، وقـد ورد الأنبياء ، وأخبروا الخلق بأن لله — تعالى — على عباده حقوقا ووظائف فى افعـالهم وأقـوالهم وعقـائدهم ، وأن من لم ينطق بالصـدق لسانه ، ولم ينطـو على الحـق ضميره ، ولم تتزين بالعـدل جوارحه ، فمصيره إلى النـار ، وعاقبته للبوار .

ثم لم يقتصروا على مجرد الأخبـار ، بل استشهدوا على صـدقهم بأمور غريبة ، وأفعـال عجيبة خارقـة للعادات ، خارجـة عن مقـدور البشر ... فالحزم ترك التوانى وفى الكشف عن حقيقة هـذا الأمر .

فإن أهم المهمات أن تبحث عن قـوله — أى الرسـول — الذي قضى الذهن فى بادىء الأمر وسـابق النظر بإمكانه أهـو محال فى نفسه على التحقيق ، أو هـو حـق لا شك فيه ؟

فمن قـوله : إن لـكم ربا كلفكم حقـوقا ، وهـو يعاقبكم على تركها ، ويثيبكم على فعلها ، وقـد بعثنى رسـولا إليـكم لأبين لـكم ، فليزمنا لا محالـة ان نعرف أن لنـا ربا أم لا ؟ وإن كان فهـل يمكن أن يكون حيـا ، متكما بأمر وينهى ، ويكلف ، ويبعث الرسل ؟

وإذا كان متكلما ، فهـل هـو قـادر على أن يعـاقب ويثيب إذا عصيناه او أطعنـاه ؟

وإذا كان قادرا ، فهـل هـذا الشخص بعينه صادق فى قـوله : أنا الرسـول إليكم ؟ فإن اتضح لنـا ذلك لزمنا لا محالة إن كنـا عقلاء

أن نأخذ حذرنا وننظر لأنفسنا ، ونستحقر هذه الدنيا المنقرضة بالإضافة إلى الآخرة الباقية »(٣) .

ومن المعلوم أن الإنسان بعقله وإدراكه قد يمكنه معرفة الضروريات والبدهيات الفكرية ، كما يستطيع أيضا أن يضبط بعض القضايا الحسية والأمور التجريبية المرتبطة بالحواس ، لكنه يعجز عن ذلك فيما يتعلق بالأمور الغيبية ولا يستطيع أن يأتى فيها بأحكام يقينية كالتى وصل إليها فى الحقل التجريبى ، ولذلك كان الاختلاف — منذ زمن بعيد — فى الأمور الغيبية أشد من الاختلافات التى حدثت فى الأبحاث التجريبية والأمور الحسية ، ومن هنا كانت الأبحاث العقلية فيما يتعلق بالأمور الغيبية تصل إلى طرق مسدودة ونتائج خاطئة ، ذلك أن العقل الإنسانى له قدراته وطاقاته ، وهذه القدرات والطاقات محدودة فى هذا الجانب ، فلابد من مرشد يوضح للعقل ما خفى عليه ، وما لا يمكنه إدراكه ، واحتاج الناس فى كل زمان إلى ذلك المرشد المعصوم ، والمصدق من قبل الله — عز وجل — بالمعجزات وذلك المرشد هو « النبى » إلى أن وصلت البشرية إلى نضجها العقلى ، ختم الله النبوة برسالة النبى — ﷺ — برسالته الشاملة الباقية إلى يوم الدين(٤) .

---

(٣) الاقتصاد فى الاعتقاد للإمام الغزالى ص ٦ ط صبح .

(٤) راجع : أضواء على العقيدة الإسلامية وبعض المذاهب المعاصرة ص ٨ ، ٩ د . سلطان عبد الحميد . ط دار المنار .

هـل يمكن للإنسـان الاسـتغناء عن العقيـدة ؟

ممـا لا شـك فيه أن العقيـدة الدينيـة هى التى تمـلأ الجانب الوجـدانى فى الإنسان ، وهى التى تروى ظمـأه ، وتهـدى نفسـه وبالأخص العقيدة الإسـلامية ، التى شرعت للإنسان من العبادات ما يسمو بروح المسلم ، وينطلق بها إلى أسمى الدرجات .

قال تعالى : « **إنمـا المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمـانا وعلى ربهم يتوكلون . الذين يقيمـون الصـلاة وممـا رزقنـاهم ينفقـون . أولئـك هم المؤمنون حقـا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** »(٥) .

وقـال تعـالى : « **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القـلوب** »(٦) .

وقـال — ﷺ — « أرحنـا بالصـلاة يا بلال »(٧) .

ومن هنـا فإن الإنسان يجـد فى الصلاة راحـة لنفسه ، وطمأنينة فى قلبـه ، ولقـد أثبت العلمـاء أن الصلاة وقاية وشـفاء من أمراض كثيرة ، أمراضا نفسية ، وأمراضا عضوية ، « بل إن تأثيرها على الأمراض العضوية أسرع وأشـد ، أنها تحفظ ضـغط الدم ، وتنظم ضربات القلب، ويقـول الدكتور الطبيب الفرنسى « الكيس كاريل » فى كتابه « الإنسان ذلك المجهول » تحت عنـوان « الصلاة والشفاء والمعجز » .

---

(٥) سـورة الأنفـال الآية ٢ — ٤ .

(٦) سـورة الرعـد الآية ٢٨ ، وينظر : دراسات فى العقيدة الإسلامية ص ٧٦ د. عـوض الله جاد حجازى ط ١ دار الطباعة المحمدية .

(٧) رواه أحمـد وأبو داود .

« تصحب بعض أوجـه النشاط الروحى تغيرات تشريحية أو وظيفية فى الأنسجة والأعضاء على السواء ... وتلاحظ هـذه الظواهر العضوية فى أحـوال مختلفة أشـد الاختلاف من بينها حالة الصلاة ... وينبغى أن نفهم الصلاة لا على أنها مجرد ترديد آلى لبعض الصيغ والعبارات ، بل على أنها تسام صوفى يستغرق فيـه الشعور فى تأمل المبـدأ الذاتى الذى يرقى به العالم ... وحتى يشفى ويشفى من يصلى من أجله ، لابد لـه من التجرد عن الذات ، فتؤدى الصـلاة إلى ظاهرة خارقـة هى المعجزة أو الشفاء المعجز »(٨) .

وإذا كان العقـل لـه حاجاته ومتطلبـاته ، وللروح حاجاتهـا ومتطلباتها فإن للجسـم أيضـا حاجاته ومتطلبـاته ومن هنـا شرع الله — تعالى — للإنسان ما يشبع رغبـاته الجسمية ، فأمر الإنسان بالأكـل والشرب فى غير إسراف قال تعالى : « **يا بنى آدم خـذوا زينتكم عند كل مسـجد وكلـوا واشربوا ولا تسرفـوا إنه لا يحـب المسرفـين** »(٩) كما شرع لـه الكسب الحلال ، والسعى فى الأرض فقال تعالى : « **هـو الذى جعـل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقـه وإليه النشور** »(١٠) ، ومن أجـل الراحة النفسية شرع الله تعالى الزواج فقال جـل شانه « **ومن آياته أن خلق لـكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليهـا**

---

(٨) الإنسان ذلك المجهول الكيس كاريل ، نقـلا عن كتاب القرآن دواء فيـه وقاية وشفاء ص ٥٨ ، ٥٩ عبد الرازق نوفـل .

(٩) سـورة الأعـراف الآية ٣١ .

(١٠) سـورة الملك الآية ١٥ .

وجعـل بينكم مودة ورحمـه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون »(١١) ٠

ونأتى بعـد ذلك إلى السؤال الذى طرحناه : هـل يمكن للإنسان ان يستغنى عن العقيدة ؟

وللإجابة على هـذا السـؤال لابد من اسـتعراض بعض الدعاوى المـادية فحينما فتحت آفاق العلم المـادى اغتر البعض بالعقـل ، ووصل به إلى حـد الشطط ، فأصبح لا يؤمن إلا بمعطياته ونتـائج تجـاربه المـادية ورفض الدين والمعتقدات ، ولعـل ذلك راجـع إلى الأسباب الآتيـة :

١ — التحجر الذى أصاب عقـول بعض رجال الكنيسة فى العصور الوسطى وفسادهم وإنحرافاتهم ، وحجرهم على الفكر ٠

٢ — إنحسار المـد الإسـلامى بسبب إنشغال المسلمين بالدنيـا ، ناهيك بالخلافات والانقسامات الداخلية ، الأمر الذى جعـل الغرب يعمل — جاهـدا — على استعادة الأندلس من أيدى المسلمين ، وقـد كانت زاخرة بدور العلم والمكتبات فى جميع الفنـون والمعارف ٠

ومن المعلوم أن كل فعل لـه رد فعل ، فعندما انطلقت العقـول من أغـلالها ، وتحررت من سـلطان الكنيسة وهيمنتها ، واتخـذت من طرق البحث العلمى الذى وجـدوه فى الحضارة الإسـلامية التى نقلت إليهم — انفتح لهـا آفاق العالم المـادى ، وعند ذلك كان ردها عنيفا ، إذ

---

(١١) سـورة الروم الآية ٢١ ، وينظـر أيضـا دراسـات فى العقيدة الإسـلامية ص ٧٧ د٠ عـوض الله حجازى ٠

سرعان ما تنكرت للدين ، وقامت بفصل الدين عن الحياة ، ولم تجعل للدين اى قداسة وإنما هو مجرد طقوس معينة تقال فى الكنيسة ، وفى أوقات معينة ، وبدأ رواد الكنيسة فى النقصان ، وهم فى الغالب من كبار السن الذين لا عمل لهم ، أو من بعض الشبان والشابات الذين اعتبروا قضاء هذا الوقت ضياع لعطلة الأسبوع(١٢) ٠

« وهكذا نصت الحضارة عنها سمة الدين ، وقطعت كل صلة به ، فهى حضارة لا دينية لحما ودما ، هكذا كان نسبها الذى أعلنته واختارته لنفسها ، وعلى هذا فمن حقنا ونحن نقوم قيمتها ، ونختبر معدتها ان نجعل كل مالها وما عليها خالصا للعلم وحده ، وأن نضيفه إلى حسابه ، متجاوزين عن هذا القدر الذى شارك به الدين فى المرحلة الأولى من مراحل وجودها ٠

وهل كفلت هذه الحضارة لأهلها طمأنينة النفس ، وسكينة الضمير ؟

وهل افاءت على أبنائها ظلال المودة والرحمة وأنزلتهم منازل الأمن والقرار ؟

والحق أن حضارة الغرب قد اقامت ناطحات السحاب ، وأجرت مراكب الفضاء بين الكواكب ، وغمرت الأسواق بألوان الرفة والترف ، ولكنها لم تدخل على مشاعر الناس وأحاسيسهم إلا القلق والحيرة ، ولم

---

(١٢) أضواء على العقيدة الإسلامية ص ٢٠ ٠

تسكب فى قلوبهم إلا الأثرة والأنانيـــة ولم تثر فى تفكيرهم إلا دوافـــع العـــدوان والتسلط »(١٣) ٠

أن ما يطاقـــه علمـــاء المـــادة والمغترون بعقولهم من أن العـــلم بمعطياته يغنى عن العقيدة والتـــدين هى دعوى باطلة ، وإن شئت قـــل إنهـــا مغالطـــة وتضـــليل ، يدل على هـــذا قـــول الفيلسوف الأمريكى « وليم جيمس » ٠

« يرجح لدينـــا أن النـــاس سيظلون يصلون إلى آخر الزمان بالرغم ممـــا قـــد يأتى به العلم على عكس ذلك ، اللهم إلا إذا تغيرت طبيعتهم العقلية إلى حالة ليس لدينا شىء مما نعرفه يهدينا إلى توقعها »(١٤) ٠

إن النهضة العلمية المعاصرة ليست بدعا من الحضارات التى سايرت تاريخ البشرية ، ولكنها جـــذوة انقـــدحت شرارتها من الدين ، ونبتت فى أرض دينيـــة ، واستمدت حيوتهـــا ونمـــاءها من الحســـاس الدينى وحرارته ، ويكفى الإشارة هنا إلى هـــذا الرجل الذى يسمى « رائد عصر التنوير الحـــديث » وهـــو « مارتن لوثر »(١٥) ذلك الرجـــل الذى كان

---

(١٣) قضـــية الألوهية بين الفلسفة والدين ص ٢٨ عبد الكريم الخطيب ط/١٩٦٢ دار الكتاب العربى ٠

(١٤) تجـــديد التفكير الدينى ص ١١٤ محمـــد إقبال ، ترجمة عباس محمـــود العقاد ط ١٩٥٥ ٠

(١٥) مارتن لوثر كان راهبـــا ومعلما للاهوت ، وقـــد أثارت الممارسات الكنيسية — وبصفة خاصة بيع صكوك الغفران — فى نفسه استياءا أخلاقيا عارما ممـــا جعله يعلن قضاياة الخمس والتسعين الشهيرة ١٥١٧ ، والتى سجلها فى وثيقـــة علقها على باب كنيسة فتبنرج ،

من كبار رجال الكنيسة ، وكانت ثورته منصبة على الجمود والقيود التى فرضتها سلطة الكنيسة على المتدينين ، وألبستها ثوب الشريعة ، هذه الثورة كان لها أثرا عميقا فى تفكير الناس وفى تحرير عقولهم أيضا من الوصاية الكنسية ، ومن هذا المنطلق بدأوا يفكرون بأنفسهم ولأنفسهم ، وأعملت العقول طاقتها ، وظهر مكنونها ، وأخرجت خير ما أودع الله — تعالى — فيها من ملكات واستطاعت أن تبسط سلطانها على الطبيعة وأن تستخرج منها كل هذه المخترعات التى ملأت حياة الإنسانية بالازدهار ، والتى فتحت للإنسان آفاقا جديدة يرتاد منها الفضاء ، بعد أن ملأ يديه من كل ما فى الأرض .

والحقيقة أن هذه الانتصارات العلمية ما هى إلا الشعلة التى اتقدت من الشرارات الأولى التى انقدحت فى صدور أولئك المصلحين من رجال الدين ، وذلك قبل أن تبزغ شمس هذا العصر ، وعلى رأس هؤلاء « مارتن لوثر » وهذه الانتصارات العلمية التى حققها العقل الدينى المتحرر حققت نتائج لازمة لكل انتصار ، فقد انطلق هذا العقل إلى ثورة عارمة على الدين كله أصوله وفروعه — فى ذلك الوقت ، وهذه الانتصارات التى كسبها هذا العقل ، كان لها الأثر

ولم يكن فى ذهنه الدعوة إلى مذهب جديد ، إلا أن الأمر البابوى قام بطرده من الكنيسة عام ١٥٢٠ م ، وقد تدخلت العوامل السياسية — فى ذلك الوقت — إلى تقيم الكنيسة المسيحية فى أوربا إلى كاثوليكية وبروتسانتية . انظر : دراسات فى الفلسفة الحديث ص ٢١ هامش د. محمود حمدى زقزوق ط ١ ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م دار الطباعة المحمدية .

الواضــح فى كشف المغيبات التى أدخلها الكهــان على الدين ، وجعلوا من أنفسهم حفظة لهــا ، كما كان لهــذا العقل اليــد الطولى والبصمات الواضحة فى فضح التعاليم الزائفــة التى أدخلها رجال دين على الدين ، لكن هــذه الانتصارات قــد تحولت آخر الأمر إلى مغانم وقعت على أيدى العلمــاء الذين خرجوا على الدين ، وناصبوه العــداء ، ولبسوا من أجــل النكاية به شــعارات الإلحــاد الصراح ، وذلك لكى يعلنوا : أن الدين عقيم لا يلــد إلا مواتا ، وأن العلم يخرج وساوس الدين من كل صــدر .

ومن هنا : إنساق الناس فى هــذه البدع ، ولبسوا ثوب الإلحاد ، واتخــذوا من محاربة الدين نسبا ينتسبون به إلى العلم ويدخلون منــه فى زمرة العلمــاء(١٦) .

تلك صورة مصغرة للصراع بين العلم والدين ، حيث بدأ العقــل يخطــو خطوات لاهثــة وسريعة ، ولم يعفه الدين ـ فى ذلك الوقت ربمــا يلائمه ، فانتصر العلم ، وسقطت راية الدين وذهبت هيبته من النفــوس ، وخــلا مكانه من القلوب .

وتأتى الرغبــة الملحــة إلى عقيدة تقــود الإنســان وتبعث فى قلبــه الأمان ، وهنا يأتى دور الدين من جــديد ، ولن يستطيع الغرب أن يصبر طــويلا على هــذه الحياة اللادينية ، فالدورة الآن للدين(١٧) .

وباختصار شــديد نستطيع أن نقول : إن الإنسان فى هــذا العصر

---

(١٦) قضــية الألوهيــة ص ٢٦ ، ٢٧ .

(١٧) المرجــع الســابق ص ٣٢ .

الذى يزعم أنه سيطر على الطبيعة وسخرها — وهو يزهو بهذا كله — لم يستطع أن ينجو من الويلات التى جرها عليه التقدم والحضارة فضلا عن أن يضيع لها حدا ، وقد كثرت مصائب الإنسان المعاصر عن ذى قبل ، واشتد عليه الخطب ، والسبب واضح وهو أن التقدم الحديث سار فى طريق مادى بحت ، وأهمل الاتجاه الروحى وانكره تماما ، فوقع فى هذه الحيرة ، وتحطم الإنسان على صخرة القلق الدائم ، والخوف والتمزق والهبوط النفسى والخلقى أيضا ، حتى أوشك أن يفقد مع هذا كله طعم الحياة ولذة الوجود ، وانتشر فى العالم المعاصر الكذب والفحش والخيانة والغدر والنفاق والخداع والتضليل ، شعر الجميع — والعقلاء بصفة خاصة — بالحاجة الماسة إلى الدين .

بناء على ذلك : فإن الإنسان لابد له من الإيمان بالله ، ولابد له من الرجوع إلى الدين ، ذلك أن الدين ضرورة مرتبطة بحياته ولا يمكنه الاستغناء عن الإيمان بالله — تعالى — فهو — سبحانه — الذى يعطى الأمان للإنسان ويحقق له السعادة فى الدنيا الآخرة(١٨) يقول أبو بكر الجزائرى :

« دعوى إستغناء الإنسان عن العقيدة دعوى باطلة ، يكذبها الواقع ، ويبطلها تاريخ البشرية الطويل ، إذ واقع البشرية شاهد على أن الإنسان حيثما كان ، وفى أى طرف واحد ، وعلى اختلاف

(١٨) اضواء على العقيدة الإسلامية ص ٢٤ .

أحواله ، وتباين ظروفه لا يخلو من عقيدة أبدا ، وسواء كانت تلك العقيدة حقا أو باطلا ، صحيحة أو فاسدة . حتى أولئك الذين يدعون اليوم أن العلم قد أغنى عن العقيدة وعن التدين وأن الإنسان فى عصر الذرة ، وغزو الفضاء لم يصبح فى حاجة إلى الإيمان بالله — تعالى — وبالغوا فى الكفر والإنكار ، حتى قالوا : إن الإله لم يخلق الإنسان وإنما الإنسان هو الذى خلق الإله ، وهم يريدون بذلك أن الإنسان فى الظروف الصعبة التى كان يعيشها والمخاوف تنتابه من كل ما حوله من مظاهر الكون ، إذ هو يخاف المرض ويخاف الفقر ، ويخاف الرعد والبرق ، والفيضان والسيول والعواصف والزلازل ، وحتى الحيوانات — اضطر لأجل ذلك إلى الإيمان بقوة غيبية ذات قدرة لا تعجز ، وسلطان لا يغلب ولا يقهر ، سماها إلها يفزع إليه فى الشدائد ، ويتقرب إليه بالعبادات ليدفع عنه الشرور ، ويقيه من المهالك ، لهذا قالوا : إن الإنسان هو الذى خلق الإله ، وليس الإله هو الذى خلق الإنسان ، وهو قول مضحك وجهل فاضح ، وكفر صريح ، وكذب ممقوت ، ومغالطة مكشوفة وسخف عقول لا حد له .

وتحرير هذه القضية الفاسدة : هو أنهم إن كانوا يعنون بالإله الذى خلقه هو إله الوثنيين الذين اتخذوا أصناما آلهة ، نحتوها بأيديهم ، وعبدوها بأهوائهم . فنعم هذه الآلهة خلقها الإنسان وليست هى التى خلقت الإنسان ، وإما إن كانوا يعنون بالإله الذى خلق الإنسان والذى خلق السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ، وخلق الإنسان ، وكرمه فأنزل عليه كتبه ، وبعث إليه رسله ، وعرفه بنفسه ،

وبشرائعه التى بهـا يتم كماله ، وتتحقق سـعادته ، فقولهم مغالطـة وجهـل ، وسحف وكذب ، إذ الإنسان لم يخلق حتى نفسه فضلا عن أن يخلق غيره ، فكيف بالله خالق كل شيء وربه ومليكه . سبحان الله وتعالى عمـا يصـفون »(١٩) .

إن كثيرا من الملاحـدة قـد نكسوا على رؤسهم ، وأعلنوها فى صراحة أنه لا غنى عن الدين ، وطالبوا علماء النفس والاجتماع أن يضعوا لهم دينا ، وهم يريدون دينا صناعيا يهـذب النفس الإنسانية ، ويكمـل أخلاقها ، وهيهات أن ينفـع دين صناعى فى تقـويم الأخلاق ، وإصلاح النفـوس وتهـذيب المشاعر ، وتطهير الأرواح .

إن العلوم المـادية أيضا قـد بلغت الذروة من الكمال بعـد هـذا الشوط البعيد الذى قطعته فى التطـور المذهل فى كل المجـالات ، ومع هـذا فإن البشرية تعيش فى شـقاء دائـم ، والواقـع أكبر دليـل على ذلك .

لا مناص إذن من الاعتراف بالحقيقة ، والتسليم بهـا ، وهى أن الدين الحـق ضرورى للإنسان ، وذلك الدين الحـق هـو الناتج عـن الاعتقاد الحـق والصحيح ، وإن بحثت البشرية الراشـدة العاقلة عن دين إلهى صحيح ، فإنها تجـده قطعا وبدون شـك فى الإسـلام دين البشرية ، الذى تضمنه كتابه الكريم ، الذى لم ينقص منه حرف ولم يزد فيـه آخر منذ نزوله ، ولم تحرف فيه كلمـة واحـدة عن موضعها بل

---

(١٩) عقيـدة المؤمـن ص ٢٠ .

ولم تخرج فيه عبارة عن مكانها . إن هذا الدين هو الكفيل بانقاذ البشرية مما تردت فيه وكفيل بإنقاذها من محنتها المادية العاتية(٢٠) .

إن العقيدة الإسلامية عقيدة ربانية ، مأخوذة من كلام الله — تعالى — الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ليست من وضع المجامع ، ولا من إملاء الكهنة ، ليس لأحد من أصحاب الرسول — ﷺ — ولا لإمام من أئمة الإسلام ، أن يغير فيها أو يبدل ، ولو أن بعض الناس حاول أن يحدث فيها شيئا لكانت محاولته مردودة عليه بأمر صاحب الرسالة — ﷺ — القائل .

« من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد »(٢١) ونتيجة لكل ما سبق يتضح لنا : أن عقيدة الإسلام هى التى تخلص إنسان هذا العصر من التمزق والصراع والانفصام ، لأنها تمنح الإنسان يقينا بأنه لا رب إلا الله ، ولا معبود فى الكون سواه .

* * *

---

(٢٠) المرجع السابق ص ٢٥ .
(٢١) متفق عليه ، وينظر : الخصائص العامة للإسلام ص ٣٩ — ٤١ .

الفصل الثالث

اركــان العقيــدة الإســلامية

أركـــان العقيـــدة الإســـلامية

الركـــن الأول — الإيمـــان بالله :

الإيمـــان بالله اعتقاد جازم بوجـــود الله — تعالى — وأنه رب كل شيء ومليكه ، وهـــو المستحق للعبادة ، والمتصف بكل صـــفات الكمال ، والمنزه عن كل نقص ٠

والإيمـــان بوجود الله من الأمور البدهيـــة التى تدرك بالحـــدس النفسى قبـــل الدليل العقلى ، ومنهج القرآن الكريم فى إثبات وجـــود الله — تعالى — يتوافـــق مع أبسط وأعمق العقول الإنسانية ذلك أن دلالـــة الأثر على المؤثر مسألة تدركها أبسط العقول ، والعالم المتبحر المدقـــق لا يسعه بعـــد طـــول البحث والتعمق فيه إلا الإيمـــان بأن لهـــذا الكون مدبر حكيم ، على أن الدليـــل فى أنفسنا ، وسطر على جباهنا **« وفى أنفسكم أفـــلا تبصرون »**(١) ٠

وهـــذه السماء بمـــا فيها موجـــود بالمشـــاهدة على أعظم وأدق نظـــام ٠٠٠

وهـــذه الأرض وما فيها من أسرار ، وما عليها من كائنات وما فيهـــا من صحارى وبحار وجبال ٠٠٠

وهـــذه العـــوالم كلها ، من الذى أوجـــدها ؟ من الذى يحفظها ؟ من الذى يحـــولها من حال إلى حال ؟

---

(١) ســـورة الـــذرايات الآية ٢١ ٠

إن هـــذه المخلوقات كلها بمـــا اشتملت عليـــه من إبداع واتقـــان واحكام لابد لهـــا من خالق واحـــد قادر ٠

إن هنـــاك إحساس وشعور داخـــل الإنسان يغير قلبـــه بوجـــود الخالق ســـبحانه ، وهـــذا الاحساس البشرى هـــو فطرة الله التى فطر النـــاس عليهـــا ٠

والإيمـــان بالله تعالى يتضمن توحيده فى ثلاثة أمور :

١ — توحيـــد الربوبيـــة ٠

٢ — توحيـــد الألوهيـــة ٠

٣ — توحيـــد الأسماء والصـــفات ٠

وتوحيد الربوبية يقتضى الإقرار بأن الله — سبحانه — هـــو الخالـــق لكل شىء ، وهـــو مصـــدر الايجاد والامداد ، وهـــو وحـــده المدبر لكل شىء ، هـــو المحى والمميت ٠

وقـــد نطقت آيات القرآن بربوبيته تعالى وانفراده بالخلق والإبداع والاحيـــاء والاماته ، والنفـــع والضر ، ولا شـــك أن القلوب مفطـــورة على الإقرار بذلك كلـــه قال تعالى :

« يأيها النـــاس اعبـــدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقـــون ٠ الـــذى جعـــل لكم الأرض فراشـــا والسماء بنـــاء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لـــكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمـــون »(٢) ٠

---

(٢) ســـورة البقـــرة الآية ٢٢ ٠

أما توحيد الألوهية فمعناه : توحيد الله — عز وجــل — فى العبادة وأنه لا معبود ســواه ، وهــذا النــوع من التوحيــد يتضمن جميــع أنواع التوحيد الأخرى ، فإن توحيــد الألوهيــة يعنى الإقرار بأن الله — ســبحانه — هــو المستحق للعبــاده وحــده ، وأنه ســبحانه رب العالمين ، وأن لــه الأسماء الحسنى ، والصفات الكاملة ، لأن إخــلاص العبادة لا يكون لغــير الرب ، ولا يكون لمــن فيه نقص ، إذ كيف يعبــد من لم يخلق ولم يدبر أمر الخلق ، وكيــف يعبد من كان ناقصا ؟ !

ومن أجل هذا التوحيد جاءت الرسل ، وأنزلت الكتب ، قال تعالى : **« ولقــد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت »**(٣) وقال سبحانه **« وما أرسلنا من قبــلك من رســول إلا نوحى إليــه أنه لا إلــه إلا أنا فاعبــدون »**(٤) ٠

وأما توحيد الأسماء والصفات فمعناه : أن أسماء الله — تعــالى — وصفاته توقيفية ، لا تقبــل الزيادة أو التحريف أو التعطيل أو النقص ٠

والأدلــة على هــذا النوع من التوحيد فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة كثير جــدا ، بل لا تخلو سورة من سور القرآن الكريم ، ولا صفحة من صفحاته من ذكر صفات الله وأسمائه(٥) ٠

---

(٣) ســورة النحــل الآية ٣٦ ٠

(٤) ســورة الأنبيــاء الآية ٢٥ ٠

(٥) راجــع : شرح العقيدة الطحاوية ص ٧ — ٢١ لابن أبى العــز الحنفى ، تحقيق د٠ عبد الرحمن عميرة — نشر مكتبة المعــارف بالرض ١٤٠٢ هـ ، وعقيدة الوحــدانية د/محمد خليــل هراس نشر مكتبة ابن تيمية ١٤٠٧ هـ ، وكتاب الإيمــان ص ٧ — ٢٨ د٠محمــد نعيم ياســين — دار التوزيع والنشر الإســلامية ٠

الركن الثانى — الإيمـــان بالمـــلائكة :

المـــلائكة عالم غيبى لا يعلم حقيقته الا الله تعالى ، والإيمـــان بهم احـــد أركان العقيدة الإســـلامية لقـــوله تعالى : « **آمن الرســـول بمـــا أنزل إليـــه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورســـله لا نفرق بين أحـــــد من رســـــله** »(٦) وقـــوله تعالى : « **ليس البر أن تولـــوا وجـــوهكم قبـــل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليـــوم الآخر والمـــلائكة والكتاب والنبيين** »(٧) وقـــوله عز وجـــل « **ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا** »(٨) .

ومن هنـــا يكـــون الإيمـــان بالمـــلائكة ركنـــا من أركان العقيـــدة الإســـلامية .

والمـــادة التى خلقت منهـــا المـــلائكة مـــادة نورانيـــة ، خلقهم الله من النـــور ، وطبعهم على الخير ، لا يعرفون الشر ، ولا يأمرون به ، ولا يأتون المعاصى ولا يفعلونها .

فهم لربهـــم مطيعـــون ، يســـبحون الليـــل والنهـــار لا يفترون ، ولا يسأمون .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى — ﷺ — قال : « خلقت الملائكة من نور ، وخلـــق الجـــان من مـــارج من نار ، وخلق آدم ممـــا وصـــف لـــكم »(٩) .

---

(٦) ســـورة البقـــرة الآية ٢٨٥ .
(٧) ســـورة البقـــرة الآية ١٧٧ .
(٨) ســـورة النســـاء الآية ١٣٦ .
(٩) أخرجـــه أحمـــد ومسلم .

عمـل المـلائكة :

المـلائكة لهم أعمال كثيرة ومتنوعة ، وضحها القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة نلخصها فيما يلى :

١ — جبريل — عليه السلام — وهــو روح القــدس ، وصفه الله — تعالى — بالأمانة والقــوة ، فقال — سبحانه — « **انه لقــول رســول** كريم ذى قــوة عند ذى العرش مكين ٠ مطاع ثم أمين »(١٠) ٠

وقــد خصه الله بالسفارة بينــه وبين الرســل — عليهم الصــلاة والسلام — فكان ينزل بالوحى كما يقول تعالى : « **وإنه لتنزيل رب العالمين٠ نزل به الروح الأمين ٠ على قلبــك لتكــون من المنذرين ٠ بلسان عربى مبين** »(١١) ٠

وقــد رافــق جبريل رســول الله — ﷺ — فى رحــــلة الإسراء والمعــــراج ٠

٢ — ميــكائيل : وهــو ملك وكله الله — تعالى — بالمطر والنبات ٠

٣ — إسرافيل : وهــو موكل بالنفخ فى الصور يوم القيامة ٠

٤ — عزرائيل : وهــو الموكل بقبض الأرواح ٠

٥ — أعــوان ملك الموت ، وهم صنفان : ملائكة رحمــة ، وملائكة عــذاب ، وهم يعاونون ملك الموت فى قبض الروح مصــداقا لقــوله

---

(١٠) ســورة التــكوير الآية ١٩ — ٢١ ٠

(١١) ســورة الشــعراء الآية ١٩٢ — ١٩٥ ٠

تعـــالى : « **حتى إذا جـــاء أحـــدكم المـــوت توفتـــه رســـلنا وهـــم لا يفرطـــون** »(١٢) ٠

٦ — حملة العرش : والمقصـــود بالعرش عرش الرحمن — جـــل وعـــلا — يقول تعالى فى حقهم « **ويحمـــل عرش ربك فـــوقهم يومئذ ثمـــانية** »(١٣) ويقـــول ســـبحانه « **الذين يحمـــلون العرش من حـــوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا** »(١٤) ٠

٧ — رضـــوان : وهـــو خازن الجنـــة ٠

٨ — خـــدم الجنة : هم ملائكة لا يعلم عـــددهم إلا الله يقول سبحانه « **والمـــلائكة يدخلون عليهم من كل باب ٠ سلام عليكم بمـــا صبرتم فنعم عقبى الـــدار** »(١٥) ٠

٩ — الزبانية : وعـــددهم تسعة عشر ، وكلهم الله — تعالى — بالنار يعـــذبون أهلها قال تعالى : « **سأصليه ســـقر ٠ وما أدراك ما ســـقر ٠ لا تبقى ولا تذر ٠ لواحـــة للبشر ٠ عليها تسعة عشر ٠ وما جعلنا أصحاب النـــار ملائكة وما جعلنا عـــدتهم إلا فتنة للذين كفـــروا ليستيقن الذين أوتوا الكتـــاب ويزداد الذين آمنـــوا إيمـــانا** »(١٦) وهؤلاء الخزنة لهم قائد يسمى مالـــكا ، يقول تعالى فى معرض الحـــديث عن أهل النـــار

---

(١٢) ســـورة الأنعـــام الآية ٦١ ٠
(١٣) ســـورة الحاقـــة الآية ١٧ ٠
(١٤) ســـورة غافـــر الآية ٧ ٠
(١٥) ســـورة الرعـــد الآية ٢٣ ، ٢٤ ٠
(١٦) ســـورة المـــدثر الآية ٣١ ٠

« ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون . لقــد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحــق كارهــون »(١٧) .

١٠ — الكرام الكاتبــون : وهم يقومون بمهمة إحصــاء أعمــال البشر وكتابتها ، فهناك ملك على اليمــين يسمى رقيبــا ، وملك الشمال يسمى عتيدا قال تعالى فى شــأنهما **« ما يلفــظ من قول إلا لديه رقيب عتيد »**(١٨) وقال جــل شــأنه **« وإن عليــكم لحافظــين كراما كاتبين يعلمــون ما تفعــلون »**(١٩) .

١١ — الحفظة ، وعملهم : حفظ الإنسان من الجــن ، والشيطان والآفات والعاهات وغير ذلك يقــول الله تعالى : **« لــه معقبات من بين يديه ومن خلفــه يحفظــونه من أمر الله »**(٢٠) .

١٢ — الملك الموكل بالأرحام ، وكله الله — تعالى — بالرحم بإذن منه سبحانه ، يقــول — ﷺ — « إن الله عــز وجــل قــد وكل بالرحم ملكا فيقــول : أى رب نطفة ، أى رب علقــة ، أى رب مضغة فإذا أراد الله أن يقضى خلقا قال الملك : أى رب ذكر أو أنثى ، شــقى أو سعيد ، فمــا الرزق ؟ فمــا الأجــل ؟ فيكتب كذلك فى بطن أمه »(٢١) .

١٣ — ملك الجبال : وهــو ملك موكل من قبــل الله عز وجــل

---

(١٧) ســورة الزخرف الآية ٧٧ ، ٧٨ .
(١٨) ســورة ق الآية ١٨ .
(١٩) ســورة الانفطــار الآية ١٠ .
(٢٠) ســورة الرعــد الآية ١١ .
(٢١) البخــارى ومســلم .

بالجبال : وقــد جاء هــذا الملك لرســول الله — ﷺ — وسلم عليه وقال له : « يا محمد ذلك فيما شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين »(٢٢) ٠

١٥ — منكر ونكير : وعملهم هــو : سؤال العبــاد فى القبــور عن ربهم ودينهم ورســولهم ، وقــد ورد عن رســول الله — ﷺ — « إذا قبر الميت أتاه ملكان أســودان أزرقان ، يقــال لأحــدهما منكر وللآخر نكير فيقــولان لــه : ما كنت تقول فى هــذا الرجــل ؟ فيقول ما كان يقــول : هــو عبد الله ورســوله ، فيقــولان قــد كنا نعلم أنك تقــول هــذا ، ثم يفسح لــه فى قبره سبعون ذراعا فى سبعين ، ثم ينور لــه فيــه ٠٠٠ »(٢٣) ٠

وفى حــديث عثمان — رضى الله عنه — كان رســول الله — ﷺ — إذا فرغ من دفن الميت وقف عليــه وقال : استغفروا لأخيكم ، واسألوا لــه التثبيت فإنه الآن يسأل »(٢٤) ٠

هــذا وهناك ملائكة للدعاء موكلون بالتأمين على دعاء المؤمنين ٠ وهناك أيضــا ملائكة مهمتهم العروج بأرواح العبــاد بعــد الموت لقــوله — ﷺ — « إذا خرجــت روح المؤمــن تلقــاها ملــكان فيصعدانها ٠٠ الحــــديث »(٢٥) ٠

---

(٢٢) البخــارى ومســلم ٠
(٢٣) رواه الترمــذى ٠
(٢٤) أخرجــه أبو داود والبيهقى والحاكم ٠
(٢٥) رواه مسلم بالمعنى ٠ راجع عقيدة المؤمن ص ١٥٣ وما بعــدها ٠

هـذا ونود أن نشير هنا إلى الأنبياء أفضل من الملائكة عقلا ونقلا ذلك أن الأنبياء ركبت فيهم الشهوة البشرية ، لكن عقولهم الشريفة قد تغلبت عليها ، فعصموا عن الوقوع فى المخالفة ، بخلاف الملائكة فإنهم مجردون من الشهوات ، ومجبولون على الخيرات ، وقد أمرهم الله بالسجود لآدم — عليه الصلاة والسلام —(٢٦) .

الركن الثالث — الإيمان بالكتب السماوية :

الإيمان بالكتب السماوية جزء لا يتجزأ من عقيدة المؤمن والمصدر الوحيد الذى يرجع إليه فى معرفة الكتب الإلهية هو : القرآن الكريم ، ذلك أنه الكتاب المحفوظ ، الذى لم يتطرق إليه نقص ولا تحريف ولا زيادة ولا نقص ، ولا تغيير ولا تبديل بحال من الأحوال قال تعالى : **« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »(٢٧) « وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد »(١٨) « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم »(٢٩) .**

هـذا وقد ذكر القرآن الكريم من الكتب السابقة صحف إبراهيم ، وصحف موسى ، وتوراة موسى ، وزبور داود ، وإنجيل عيسى — عليهم السلام .

---

(٢٦) راجع : الدين الخالص ص ٤٨ للشيخ محمود خطاب السبكى .
(٢٧) سورة الحجر الآية ٩ .
(٢٨) سورة فصلت الآية ٤٢ .
(٢٩) سورة المائدة الآية ١٥ ، ١٦ .

هـــذه الكتب التى ذكـــرت فى القرآن الـــكريم بأسمائهـــا وأسماء أصحابها الذين نزلت عليهم ، يجب الإيمـــان بها كما ذكرت **« آمن الرسول بمـــا انزل إليـــه من ربه والمؤمنـــون كـــل آمن بالله وملائكتـــه وكتبـــه ورســـله »**(٣٠) ٠

والمؤمن ليس فى حاجـــة إذن إلى أدلـــة عقلية ولا حسية ليـــؤمن بالكتب الإلهيـــة ، وذلك بعـــد إيمـــانه بالله وملائكته ، إيمـــانا قـــويا راسخا لا تزعزعـــه أعاصير الريبة ، ولا تعصف به الأوهام ، مهما كانت عنيفـــة ٠

وبالجملة فإن الإيمـــان بالكتب السماوية الإلهيـــة واجب شرعا كمـــا هـــو أيضا واجب عقـــلا ٠

أما كون الإيمـــان بالكتب الإلهية واجب شرعا ، فذلك لأن الله تعالى أمر أمرا جازما لا يقتضى إلا طاعـــة الله ـــ تعـــالى ـــ فيـــه ، وتحريم معصـــيته ، يقـــول سبحانه **« يأيهـــا الذين آمنـــوا آمنـــوا بالله ورســـوله والكتاب الذى نزل على رســـوله والكتاب الذى أنزل من قبـــل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقـــد ضل ضلالا بعيدا »**(٣١) ٠

فهـــذه الآية كافيـــة فى الدلالـــة على جـــوب الإيمـــان بكتب الله ـــ تعالى ـــ عامة ، وبالقرآن الكريم خاصـــة ، ودلالـــة على تحـــريم التـــكذيب بهـــا ٠

---

(٣٠) ســـورة البقـــرة الآية ٢٨٥ ٠
(٣١) ســـورة النســـاء الآية ١٣٦ ٠

وأما كون الإيمان بالكتب السماوية واجب عقــلا ، فإنه يظهر للمتأمل من حيث حاجــة العبــاد إليهــا ، وإقــامة الحجــة بهــا ، ذلك لأن الرســول المبلغ عن الله فى الشرائع والأحكام يحتاج فى إثبات رســالته إلى كتــاب من الله ، كى تقــوم به الحجة على تلك الأمة التى أرســل إليها ، وذلك حتى يؤمنوا به ويصدقوه ، ويتبعوه ، والتشريع يحتاج إلى كتاب يحــويه ويتضمنه ، يثبت ما فيه بعــد وفاة الرسول الذى جاء بذلك التشريع ، فتعمــل به الأجيــال إلى المــدى الذى حــدد لــه بنسخه برســالة أخرى أو بنسخ ما جاء فيــه ،مثلمــا حصل للتوارة والإنجيل ، ولــولا بقــاء الكتاب بعــد الرسول لضاع الدين الذى أتى به ، أو على الأقــل ضاع الكثير منه ، وحينئذ يقــول الناس : بم نعبد وكيف نعيد ، وتكون لهم الحجــة ، وهــذا ما لم يرده الله ــ تعالى ــ حيث قال جــل شــأنه « رســلا مبشرين ومنذرين لئــلا يكون للنــاس على الله حجــة بعــد الرســل وكان الله عزيزا حكيما »(٣٢) .

هــذا ونحب أن نوضح هنــا : أن الكتب التى أنزلت على الأنبياء السابقين ــ والتوراة والإنجيل بصفة خاصــة ــ قــد تطرقت إليها أيدى العــابثين ، فغيروا وبدلوا فيها بمــا يتفق مــع أهــوائهم وشهواتهم ، فأصبحت تلك الكتب لا تمثل ــ فى الحقيقة ــ كتب الله ــ تعــالى ــ ولا تحمل الهــدى ، والنــور ، والرحمــة ، والموعظة لأهلها ، فضــلا عن غيرهم ، ومن ثم اقتضت رحمة الله بعباده أن يجــدد لهم النبوة بعــد

(٣٢) ســورة النســاء الآية ١٦٥ ، ويراجــع : عقيــدة المؤمــن ص ١٨١ ــ ١٩٠ .

إندثارها ، فيبعث الله — تعالى — نبيا خاتمـا ، وأن ينزل عليه كتابا جامعا ، هـو الكتاب المصـدق لمـا بين يديه من الكتب ، ومهيمنا عليها وأمر رسـوله — ﷺ — أن يحـكم به بين النـاس كافـة قال تعالى : **« وانزلنـا إليـك الكتاب بالحـق مصـدقا لمـا بين يديه من الكتـاب ومهيمنا عليـه فاحكم بينهم بمـا أنزل الله ولا تتبع أهـواءهم »**(٣٣) وقال سبحانه **« إنا انزلنـا إليـك الكتاب بالحـق لتحكم بين الناس بما اراك الله »**(٣٤) ٠

وبذلك يتعين نسخ القرآن لمـا سبقه من كتب ، ونسخ الدين الإسلامى لسائر الأديان التى سبقته قال تعالى : **« إن الدين عند الله الإسلام »**(٣٥) وقال تعالى : **« ومن يتبع غير الإسـلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين »**(٣٦) وقال رسـول الله — ﷺ — « والذى نفسى بيـده لو أن موسى كان حيا ما وسعه إلا أن يتبعنى »(٣٧) وإذا كان هـذا شأن موسى — عليه السلام — فأمته من باب أولى ، والله — تعالى — يقول **« وإذا أخـذ الله ميثاق النبين لمـا أتينكم من كتاب وحكمـة ثم جاءكم رسول مصـدق لمـا معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أقررتم وأخـذتم على ذلـكم إصرى قالـوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ٠ فمن**

---

(٣٣) سـورة المـائدة الآية ٤٨ ٠

(٣٤) سـورة النسـاء الآية ١٠٥ ٠

(٣٥) سـورة آل عمـران الآية ١٩ ٠

(٣٦) سـورة آل عمـران الآية ٨٥ ٠

(٣٧) رواه أحمـد ٠

تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون»(*) ٠

هذا ونود أن نشير هنا إلى أنه لا يوجد الآن على ظهر الأرض كتاب تصلح نسبته إلى الخالق — جل وعلا — سوى القرآن الكريم والأدلة على ذلك ما يلى :

١ — ليست هناك نسخ أصلية للكتب التى نزلت قبل القرآن ، وإنما الموجود هو ترجمتها ، ولا يخفى ما وقع فى هذه التراجم من تغيير وتبديل ، أما القرآن الكريم فإنه لا يزال محفوظا بسوره وآياته وكلماته وحركاته ، كما نزل على رسول الله — ﷺ — وكما تلاه على الصحابة — رضوان الله تعالى عليهم ٠

٢ — أن الكتب السابقة للقرآن الكريم قد اختلط فيها كلام الله بكلام الناس من تفسير وتاريخ وسير الأنبياء ، ولهذا فلا يعرف فيها كلام الله من كلام البشر ، أما القرآن فجميعه كلام الله — تعالى — ولم يختلط به غيره من حديث الرسول — ﷺ — أو أقوال الصحابة ، أو غيرهم ٠

٣ — أن الكتب السابقة ليس منها كتاب تصح نسبته إلى الرسول الذى ينسب إليه ، لأنه ليس هناك سند تاريخى موثق ، فالأسفار الموجودة فى العهد القديم ، قد دونت بعد موسى — عليه السلام — بقرون عديدة ، يقول محمد فريد وجدى :

(*) سورة آل عمران الآية ٨١ ، ٨٢ ويراجع عقيدة المؤمن ص ٣٠٠ ، ٣٠١ ٠

« العلم العصرى ولا سيما النقد الألمانى أثبت بعد أبحاث مستفيضه فى الآثار القديمة والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى — عليه السلام — وأنها عمل أحبار لم يذكروا اسمهم ، ألفوها على التعاقب ، معتمدين فى تأليفها على روايات سماعية ، سمعوها قبل أسر بابل ، بل ذهب بعض العلماء إلى أن هذه الأسفار الخمسة ليس فيها كل الروايات الإسرائيلية ، ولكنها تحتوى على إشارات ورموز وحكايات »(٣٨) ٠

أما القرآن الكريم ، فهو الكتاب الوحيد الذى ثبتت نسبته بالصورة القطعية إلى الرسول — ﷺ — ، وقد نقل بسوره وآياته وطريقه ترتيبها ، وكيفية تلاوته إلى كل عصر جاء بعد نزوله بالتواتر ٠

٤ — الكتب السابقة على القرآن تعددت نسخها ، وهذا واضح فى تعدد نسخ الأناجيل المتداولة بأيدى النصارى الآن ، وقد وجد فى مكتبة أمير من الأمراء فى باريس نسخة من إنجيل برنابا وهو يخالف الأناجيل الأربعة (متى ، ومرقس ، ولوقا ، ويوحنا) وهذه الأناجيل الأربعة لم يمليها المسيح ، ولم تنزل عليه بوحى أوحى إليه ، ولكنها كتبت بعده بعشرات السنين ، وإذا يذكر بعض المؤرخين أنه لا توجد عبارة تشير إلى وجود هذه الأناجيل قبل آخر القرن الثالث ، وأول من ذكر هذه الأناجيل الأربعة « أرينيوس » فى سنة

---

(٣٨) العقائد الإسلامية ص ٥٧ نديم الملاح — مطبعة دار الإيتام بالقدس ٠

٢٠٩ ثم جاء من بعـــده « كليمنس إسكندر يانوس » فى سنة ٢١٦ ، ولم تكتف الكنيسة باختيار هـــذه الأناجيـــل الأربعة ولكنها حملت الناس على قبولها ، ورفض غيرها ، وتم لهـــا ما أرادت(٣٩) ٠

٥ — ومن الأدلة الواضحة على وقـــوع التحريف والتبديل فى الكتب السابقة للقرآن الكريم ما نجـــده فيهـــا من العقائد الفاسدة ، والتصورات الباطلة عن الله — سبحانه وتعالى — ورســـله — صلوات الله عليهم(٤٠) ٠

ونحن لا نؤمن بشىء من محتـــويات هـــذه الكتب إلا بمـــا ذكره القرآن أو الرســـول — ﷺ — أما القرآن الكريم فهـــو كتاب الله ، وهـــو الحـــق والمعجزة الباقية إلى يوم القيـــامة ، وكل لفظ فيـــه محفـــوظ ، فيجب إتباع أوامره ، واجتناب نواهيه ، وتصـــديق أخبـــاره ، ورفض ما يخالفـــه(٤١) ٠

الركن الرابع — الإيمـــان بالرســـل — عليهم السلام :

الإيمـــان بالرسل — عليهم السلام — جزء لا يتجزأ من العقيـــدة الإســـلامية بحيث لا تصح عقيدة المؤمن ولا تكمل إلا به ٠

---

(٣٩) محاضرات فى النصرانيـــة ص ٤٠ وما بعـــدها للشـــيخ محمـــد أبو زهرة ط ٢ دار الفكر العربى وكتاب الإيمـــان أركانه وحقيقته ونواقضه د٠ محمـــد نعيم ياسين دار التوزيع والنشر الإسلامية — مصـــر ٠

(٤٠) راجـــع بصفة خاصـــة ســـفر التكوين ٠

(٤١) الإيمـــان ص ٦١ وما بعـــدها بتصرف د٠ محمد نعـــيم ياســـين ويراجـــع : كتاب تأملات فى الأناجيل والعقيدة د٠ بهاء النحال ٠

والإيمـــان بالنبوة والرســـالة يتضمن معانى عـــديدة منها :

١ ـــ الإيمـــان بحكمة الله البالغـــة ، ورحمته الواسعة ، فحكمـــة الحكيم ورحمـــة الرحيم اقتضتنا ألا يترك الناس ســـدى ، وألا يتركوا المشاحنات والخلافات دون حكم يرجعون إليـــه ، وألا يعـــذبوا قبـــل البـــلاغ والتبشير والإنذار قال تعالى : « **وما كنـــا معـــذبين حتى نبعث رســـــولا** »(٤٢) .

٢ ـــ الإيمـــان بوحـــدة الدين عند الله ، ذلك أن دين الله ـــ تعالى ـــ واحـــد لا يتغير ولا يتبدل فى جميع الأزمان والأماكن ـــ وإن اختلفت الشرائع باختلاف العصور ، قال تعالى : « **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحـــد منهم ونحـــن لـــه مسلمون** »(٤٣) ويقـــول سبحانه « **شرع لـــكم من الدين ما وصى به نوحا الذى أوحينا إليـــك وما وصينابه إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقـــوا فيـــه كبر على المشركين ما تدعـــوهم إليه الله يجتبى إليـــه من يشاء ويهـــدى إليـــه من ينيب** »(٤٤) .

٣ ـــ الإيمـــان بالقـــدوة من البشر ، التى استطاعت أن تجعـــل من مكارم الأخـــلاق وفضائل النفوس حقـــائق واقعة ، لا مجرد أفكار فى بعض الرؤوس أو نظريات فى الكتب ، وجمهور النـــاس ليسوا فلاســـفة

---

(٤٢) ســـورة الإسراء الآية ١٥ .
(٤٣) ســـورة البقـــرة الآية ١٣٦ .
(٤٤) ســـورة الشـــورى الآية ١٣ .

يؤمنون بالمجردات ، وإنمـا يؤمنون ويتأثرون بمـا يشاهدون وما يحسون ، ومن هنا جعـل الله الرسل بشرا ، لا ملائكة لأن الإنسان لا يأنس لمثله ، ولا يقتـدى إلا بمثله يقول تعـالى : « **قـل لـو كان فى الأرض ملائكة يمشـون مطمئنين لنزلنـا عليهم من السماء ملـكا رسـولا** »(٤٥) فالأنبياء ليسوا آلهـة ولا أبنـاء آلهـة ولا انصاف آلهـة ، وإنمـا هم بشر مثل البشر من الله عليهم بنعمة الوحى ، ليبلغوا الرسـالة من الله إلى النـاس « **قالت لهم رسـلهم أن نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمـن على من يشاء من عبـاده وما كان لنـا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون** »(٤٦) ٠

ولقـد جاء الرسـل إلى الخلق ، وبلغ كل واحـد منهم قـومه وأخبروهم قبـل أى شىء بأن لهـم ربـا هـو خالقهم ورازقهم ، وأنه ــ سبحانه ــ قـد كلفهم حقوقا يجب عليهم الالتزام بهـا سـواء كانت هـذه الحقوق قـولية أو عملية ، فمـن امتثل لمـا كلفـه الله كان مصيره السعادة الدائمـة ، ومن خالف وعصى كان مصيره العـذاب والشقاء ٠

وعلى هـذا فإن الغاية العظمى من دعـوة الرسـل هى تحقيـق السعادة للنـاس فى الدنيـا والآخرة ٠

ثم إن هؤلاء الرسـل لم يكتفوا بمجرد التبليغ ، ولكن استدلوا على

---

(٤٥) سـورة الإسراء الآية ٩٥ ٠

(٤٦) سـورة إبراهيم الآية ١١ وينظر : الإيمـان والحيـاة ص ٣٦ ، ٣٧ بتصرف ٠

صـــدق رسالتهم بالمعجزات ، والتى هى من صنع الله — تعالى —(٤٧) ·

والمعجزة أمر خـــارق للعـــادة مقـــرون بالتحـــدى ، يظهره الله — سبحانه وتعالى — على يد مدعى النبـــوة فى دار التكليـــف ، وذلك تصـــديقا لـــه فى دعـــواه مـــع عجز الغير عن المعارضة ·

وقـــد تكون هـــذه المعجزة فعـــلا كقلب العصاحيه على يد موسى — عليه السلام — أو إبراء الأكمـــة والأبرص وإحياء الموتى على يد عيسى — عليـــه السلام — أو نبـــع المـــاء من بين أصابع النبى — ﷺ — ورد عن قتـــادة — رضى الله عنه — وحنين الجزع ، وتكثير الطعام ، وتسبيح الحصى بين يديه — ﷺ — ·

وقـــد تكون هـــذه المعجزة تركـــا كعـــدم احـــراق النـــار لسيدنا إبراهيم عليـــه السلام ·

وقـــد تكون قـــولا كالقرآن الكريم ، وهـــو المعجزة الخالـــدة التى تحـــدى رســـول الله — ﷺ — بها أرباب الفصاحة والبيان ، تحـــداهم ان يأتو بمثله قال سبحانه « **فليأتوا بحـــديث مثله إن كانوا صادقين** »(٤٨) أو بعشر سور من مثله « **فأتوا بعشر ســـور مثله مفتريات** »(٤٩) أو بسورة واحـــدة من مثله « **فأتوا بسورة من مثله** »(٥٠) ، ومـــع ذلك عجزوا ، ولا يزال التحـــدى باقيـــا ·

---

(٤٧) نظرات فى كتـــاب الاقتصاد فى الاعتقـــاد ص ٧٢ ، ٧٣ للإمام الغزالى شرح د· إبراهيم عبد الشافى إبراهيم ·

(٤٨) ســـورة الطـــور الآية ٣٤ ·

(٤٩) ســـورة هـــود الآية ١٣ ·

(٥٠) ســـورة البقـــرة الآية ٢٣ ·

يقول الإمام الغزالى « لا يمكن إقتـــدار العرب على طريقة الفصاحة ولا يمكن إنكار عجزهم ، لأنهم لـــو قـــدروا لفعـــلوا فإن العادة قاضية بالضرورة ، فإن القـــادر على دفـــع البلاء عن نفسه يشتغل بدفعه ، ولـــو فعلوا لظهر ذلك ونقـــل »(٥١) ٠

ومن إعجاز القرآنتنبؤاته بالمستقبل كما فى قـــوله تعالى : « **سيهزم الجمع ويولـــون الدبر** »(٥٢) وقـــوله تعالى : « **آلم ٠ غلبت الروم فى ادنى الأرض وهم من بعـــد غلبهم ســـيغلبون فى بضـــع ســـنين لله الأمر من قبـــل ومن بعـــد** »(٥٣) ٠

ومن ذلك قـــوله تعالى : « **إن الـــذى فرض عليـــك القرآن لرادك إلى معاد** »(٥٤) وقـــوله تعالى : « **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحـــق** » ونحن نرى أن العلم يكتشف كل يوم آيات الله ــ سبحانه وتعالى ــ فى الكون وفى النفس الإنسانية ومن وجـــوه إعجاز القرآن الكريم ما جمـــع من أحكام ، وعظات وأخلاق ، وعقائد وتشريعات، وعلم ونظم وصلت أعلى درجات الكمـــال والرفعه ، لـــو طبقت فى دنيا النـــاس لحققت لهم السعادة فى الدنيا والآخرة ، لأنها منهج وعقيدة كاملة وضعها خالق الإنسان وهـــو أعلم بمن خلق « **الا يعـــلم من خلق وهـــو اللطـــيف الخبير** »(٥٥) ٠

---

(٥١) الاقتصاد فى الاعتقـــاد ص ١٠١ ٠
(٥٢) ســـورة القمـــر الآية ٤٥ ٠
(٥٣) ســـورة الروم الآية من ١ ــ ٤ ٠
(٥٤) ســـورة القصص الآية ٨٥ ٠
(٥٥) ســـورة الملك الآية ١٤ ٠

الركن الخامس — الإيمان باليوم الآخر :

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان العقيدة الإسلامية وكلية أساسية من كليات التصور الإيمانى الصحيح ، ذلك أن الإيمان بهذا اليوم هو الفيصل الحاسم بين أولئك الذين يعيشون وراء جدران الحس المغلقة المحصورة وبين من يحطمون هذه الجدران فيعيشون فى وجود ممتد متصل ، والإيمان بهذا اليوم أيضا هو مفترق الطرق بين من يشعر بأن الوجود المطلق ليس سوى فترة البقاء على ظهر الأرض ، وبين من يشعر ويؤمن بأن هذه الفترة ما هى إلا مقدمة وتمهيد واختبار وابتلاء ، وأن الحياة الصحيحة هى التى تأتى بعد هذه الفترة .

والمراد باليوم الآخر : فناء هذا العالم كلية ، وانتهاء هذه الحياة ، وابتداء الحياة الأخرى ، وهو فى الوقت نفسه يعنى آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الحياة الأخروية وإذا كان البشر يعلمون يقينا بإخبار الله — تعالى — عن أحقية قيام الساعة فإن الله — سبحانه — أخفى عنهم معرفة قيامها ، واستأثر وحده بمعرفته ، وهيهات أن يعلم ذلك أحد من البشر مهما كان علمه أو منزلته يقول تعالى : « **يسئلونك عن الساعة أيان مرساها . قل إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة** »(٥٦) ويقول سبحانه « **يسئلك الناس عن الساعة**

---

(٥٦) سورة الأعراف الآية ١٨٧ .

قــل إنمــا علمها عند الله وما يدرك لعــل الساعة تكون قريبا »(٥٧)

ويقــول تعالى : « **إليــه يرد علم الساعة** »(٥٨) ٠

والحكمة فى إخفــاء الساعة واضحة ، ذلك أن قيام الساعة حــدث عظيم ، تتزلزل لها الافئدة ، وتذهل لهــا العقول ، لانها النهاية الهائلة لهــذا الــكون ، وبداية هائلة لعــالم آخــر لــه خصائصــه ومميزاته وقوانينه ، ولــو أن الله ــ سبحانه ــ أظهر لاحــد من عبــاده موعــد قيــام الساعة لعجزت بشريته عن احتمالها ، وأصبحت ثقــلا ضخما على إنســانيته ٠

هب أن أحــدا من البشر علم بساعة موته ماذا يفعل ؟

لا نشك أنه ســوف يعيث فى الارض فسادا ، ويسرف على نفســه إسرافا شــديدا ، حتى إذا مادنا الاجــل سارع إلى طاعــة ربه وابتغــاء مرضاته ، لكن الإنسان حين يجهل ساعته المحــدودة لا يتجه نظره إلا إلى مراقبــة الله ــ تعالى ــ وخشيته ، ســواء قرب الأجــل أم بعــد ، وفى هــذه الحالة لا يؤجــل الطاعات ، ولا يقترف الذنوب لانه يوقن أن الموت ســوف يأتيه بغتــه ٠

ومن هنا نرى أن الله ــ سبحانه ــ حكمة فى إخفــاء الآجــال ، والوقت المحــدد لقيام الساعة بالنسبة للبشرية جمعــاء ، وهــذا كفيــل بأن يثير فى نفس المؤمن خــوفا من الله وخشيته من حسابه فى كل لحظة ،

---

(٥٧) ســورة الأحــزاب الآية ٦٣ ٠

(٥٨) ســورة فصلت الآية ٤٧ ، وينظر : العقيدة الإســلامية والأخلاق ص ٢٥ ٠

فسيف القضـــاء معلق فـــوق الرقاب ، ولاراد لهـــذا القضاء .

والقرآن الكريم يذكر الإنسان بقرب قيام الساعة لـــكى يضع البشر أمام مصيرهم المحتوم ، حتى يعـــددا العـــدة ولا يسرفوا فى الوقت ، ويطرحوا الكسل والغفلة جانبا **« اقترب للناس حسابهم وهم فى غفـــــلة معرضـــون »**(٥٩) **« أزفت الآزمـــة »**(٦٠) **« اقتربت الســـاعة وانشـــق القمـــــر »**(٦١) .

ونظرا لأهمية المعتقـــد باليـــوم الآخر فى حيـــاة المؤمـــن ولآثاره الهـــامة فى إستقامة الفرد والمجتمع فقـــد عنى القرآن الكريم به عنـــاية لا تقـــل عن العناية بالإيمـــان بالله — تعالى — ، قال سبحانه **« ذلـــكم توعظون به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر »**(٦٢) ، وقال تعالى : **« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر**(٦٣) وقال عز وجل **« .. إن كنتم تؤمنون بالله واليـــوم الآخر »**(٦٤) .

ولا يكاد الإنسان يمـــر على صـــحيفة من صـــحائف القرآن الكريم إلا ويجـــد فيها حـــديثا عن اليوم الآخر ، وما فيـــه من احـــداث بأساليب متنوعة ، ذلك أن الإيمـــان بهـــذا اليـــوم لـــه ابلـــغ الأثر فى حيـــاة الإنســـان .

---

(٥٩) ســـورة الأنبيـــاء الآية ١ .
(٦٠) ســـورة النجـــم الآية ٥٧ .
(٦١) ســـورة القمـــر الآية ١ .
(٦٢) ســـورة الطـــلاق الآية ٢ .
(٦٣) ســـورة الأحـــزاب الآية ٢١ .
(٦٤) ســـورة النور الآية ٢ ويراجع عقيدة المؤمن ص ٢٥٨ وما بعدها .

وشتان بين اثنين : احـدهما لا يعتقد بالبعث ، ولا بالحسـاب ، يفعـل ويقول ، ولا يهمه فى الدنيـا غير المنفعة الذاتية ، والمصـلحة الشخصية ، وبين آخر يعتقد بيوم يقف فيه الناس بين يدى ربهم يحاسبون على أعمـالهم وأقوالهم ، فالأول متفلت من أى ضابط سـوى أهـواءه وشـهواته ، وعنده الغاية تبرر الوسـيلة ، والآخر يخـاف ربه ويخشاه فى كل اعماله ، فهو منضبط فى حـدود الحـق والخير والصلاح(٦٥) ٠

ومن هنـا يربط القرآن الكريم بين الإيمـان باليوم الآخر وبين العمل الصالح ومن ذلك قـوله تعالى : **« إنمـا يعمـر مساجد الله من آمن بالله واليـوم الآخر »**(٦٦) **« لا يستئذنك الذين يؤمنون بالله واليـوم الآخـر ان يجاهـدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقـين ٠ إنمـا يستئذنك الذين لا يؤمنون بالله واليـوم الآخر وارتابت قلوبهم فهـم فى ريبهـم يترددون »**(٦٧) **« لا تجـد قـوما يؤمنون بالله واليـوم الآخر يوادون من حاد الله ورسـوله »**(٦٨) ٠

« والذين يؤمنـون بالآخـرة يؤمنـون به وهـم على صـلاتهم يحافظـون »(٦٩) وغيرها كثير فى القرآن الكريم ٠

ولعل السبب فى الاهتمام البالغ بالتذكير باليوم الآخر ، غفلة الناس عنه

---

(٦٥) سـورة الإيمـان ص ٦٤ ، ٦٥ ٠
(٦٦) سـورة التـوبة الآية ١٨ ٠
(٦٧) سـورة التـوبة الآية ٤٤ ، ٤٥ ٠
(٦٨) سـورة المجـادلة الآية ٢٢ ٠
(٦٩) سـورة الأنعـام الآية ٩٢ ٠

وتثاقلهم إلى الأرض وانغماسهم فى الشهوات ، وحبهم للدنيا ، يقول تعالى : « **يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة فى الآخرة إلا قليل** »(٧٠) ٠

الركن السادس — الإيمان بالقضاء والقدر :

الإيمان بالقضاء والقدر جزء لا يتجزأ من أجزاء العقيدة الإسلامية ، وهذا الركن من أركان العقيدة يتعلق بأحداث الحياة ، وأعمال الناس وتصرفاتهم ٠

والله — سبحانه — له وحده صفات العلم الواسع ، والإرادة الشاملة والقدرة الكاملة ، وهو — سبحانه — الفعال لما يريد ، وشمول علمه يستغرق الأمكنة على تعددها ، والأزمنة على امتدادها وكل أحداث الحياة استوعبه العلم الإلهى قال تعالى : « **وما يغرب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين** »(٧١) ٠

ويقول جل شانه « **إن الله لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم** »(٧٢) ٠

---

(٧٠) سورة التوبة الآية ٣٨ ويراجع كتاب الإيمان ص ٦٦ ٠

(٧١) سورة يونس الآية ٦١ ويراجع : عقيدة المسلم ص ١٠٨ ٠

(٧٢) سورة آل عمران الآية ٥ ، ٦ ٠

ولذلك يعرف القضاء والقـــدر بأنهما « علم الله — تعالى — الأزلى بكل ما أراد إيجـــاده من العوالم ، والخلائق ، والأحـــداث ، والأشياء ، وتقـــدير ذلك الخلق ، وكتابته فى الذكر الذى هـــو : اللوح المحفوظ كما هو حين يقضى بوجوده ، كميته ، وكيفيته ، وصفته ، وزمانه ، ومكانه ، وأسبابه ، ومقدماته ، ونتائجه بحيث لا يتأخر شىء من ذلك عن أوانه ، ولا يتقـــدم عمـــا حـــدد لـــه من زمان ، ولا يتبدل فى كميتـــه بزيادة او نقصان ، ولا يتغير فى هيئة ولا صفة بحال من الأحوال(٧٣) .

والله سبحانه — هـــو الفاعل المختار **« وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة »**(٧٤) .

فهـــو المتصرف فى هـــذا الكون كيفما شـــاء بحكمته وإرادته فإذا مس الإنسان ضر ، فلا يكشفه إلا الله ، وإذا أراد الله لـــه خيرا فلا يستطيع أحـــد من الخلق رده عنه **« وإن يمسسك الله بضر فلا كاشـــف لـــه إلا هـــو وإن يردك بخير فلا راد لفضـــله يصيب به من يشاء من عبـــاده وهـــو الغفـــور الرحيم »**(٧٥) .

والإيمـــان بالقضاء والقـــدر باعـــث على النشاط والإيجابيـــة فى الحيـــاة ، كما أنه يربط الإنسان برب الـــكون ، فيرى الإنسان أن كل شىء فى هـــذا الوجـــود إنمـــا يسير وفـــق حكمة عليـــا ، فإذا صادفه النجاح والتوفيـــق لا يبطر ولا يفرح ، وإن أصابه الضر لا يحزن ولا يجزع **« ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتـــاب من قبـــل**

(٧٣) عقيـــدة المســـلم ص ٣٤٦ .
(٧٤) ســـورة القصص الآية ٦٨ .
(٧٥) ســـورة يونس الآية ١٠٧ .

من نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بمـا آتاكم والله لا يحب كل مختـال فخـور »(٧٦) .

والإيمـان بالقضاء والقـدر لا يعنى جبراً للإنسان كما يفهم بعض الجهلة بالإسلام وعقيدته ، فقـد حاول أعـداء الإسـلام أن يجعلوا من عقيدة القـدر سبباً للجمود والتخلف وربطـوا بين عقيدة الإيمـان بالقـدر وبين التواكل والخمول والقعـود عن العمل .

والحقيقة أن هـذا الافتراء الذى أثاره أعـداء الإسلام نابع من الحقـد والتعصب الأعمى والجهل بعقـائد الإسـلام وهـذا الفهم الذى فهمه البعض منهم إنمـا هـو نابع من فـكرة الجبر التى ذهب إليهـا (جهم بن صـفوان) وكان قـد تلقى هـذه الفكرة الخبيثة من (الجعد ابن درهم) وقـد قام جهم بن صفوان بتأسيس طائفـة الجهمية ، وأصبح مذهبـه مذهب معطل لا يقـود أهله إلا إلى ضياع وخسران ، ولـذا يقول الأستاذ أبو بكر الجزائرى :

« وكم قعـد هـذا المعتقد الخاطىء الفاسـد بكثير من المسلمين عن العمل الجاد النافـع فضعفوا وهانوا ، وأصيبوا بكل قاصمة للظهـر حتى أصبحوا المثل فى العجز والكسل والتخلف فى ميادين العمل والانتاج ، ووجـد بسببهم العـدو الكافر مجالا للطعن فى عقيدة الإسلام والاحتجاج

---

(٧٦) سـورة الحـديد الآية ٢٢ ، ٢٣ ويراجـع : العقـائد الإسلامية ص ٨٢ .

على المسلمين فيما أصــابهم ونزل بهم بسلوك هؤلاء الذين قتلهم مذهب الجبر وأفسد عليهم دينهم ودنياهم فاصــبحوا يرون أحيــاءهم أمواتا ، ويبررون موتتهم وقعــودهم عن كــل خــير يكسبه غيرهم ويسعد به فى حيــاته بمثل قــول شــاعرهم :

جرى قلم القضــاء بمــا يكــون

فســيان التحـــرك والســـكون

جنــون بــك أن تســـعى لرزق

ويرزق فى غيابتـــه الجنـــين

فلننظر كيــف تحــول مذهب الجــبر إلى مذهب معطــل قاتل ، لا يقــود أهــله إلا إلى خسران الدنيــا والآخــرة ، أرأيت لــو أخــذ النــاس كلهم بهــذا المذهب ماذا كــان يحــدث للحيــاة ؟ كانت تنتهى وكفى !! ... وبالتأمل يظهر لنــا أن جميع المذاهب الهــدامة المــدمرة فى العــالم دنت من صــنع اليهود الحاقــدين على البشرية الناقمــين عليهــا (٧٧) .

أن المؤمن حقيقى هــو ذلك الإنسان الذى يتوكل على الله موقنــا أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، وأن ما أخطــأه لم يكن ليصيبه ، وأما أصابه لم يكن ليخطئه ، يقــول الفخــر الرازى فى قــوله تعالى : **((وعلى الله فليتوكل المؤمنون))** (٧٨) .

---

(٧٧) عقيدة المؤمن ص ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٧٨) ســورة آل عمــران الآية .

« يعنى لما ثبت أن الأمر كله بيد الله وأنه لاراد لقضائه ولا دافع لحكمه وجب أن لا يتوكل المؤمن إلا عليه ، وقوله **« وعلى الله فليتوكل المؤمنون »** فيه الحصر : أى على الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره .

وانظر إلى قوله تعالى : **« وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين »(٧٩)** هذه الآية وردت فى حق رجلين مؤمنين يعرفان حقيقة التوكل بأنه الاعتقاد فى قدرة الله وقضائه وقدره ، وأنه لا نصرة إلا به وذلك بتحقق إيمان المؤمن بتوكله على الله فالآية تقول **« قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون . وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين »(٨٠)** .

والتوكل على الله إنما يكون مع أخذ الإنسان بالأسباب لاتركها ، ذلك أن ترك الأسباب لا يكون إلا عن جهل بالشرع أو فساد فى العقل ، وقد قال الله — تعالى — لنبيه — ﷺ — **« فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين »(٨١)** فقد قرن أمره بالتوكل بالأمر بالمشاورة **« وشاورهم فى الأمر »** كما قرن سبحانه أمره عليه السلام بالتوكل بالنهى عن العمل بمن لا ثقة له ، لأنه خائن وغاش **« ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا »(٨٢)** .

---

(٧٩) سورة المائدة الآية ٢٣ .

(٨٠) سورة المائدة الآية ٢٣ .

(٨١) سورة آل عمران الآية ١٥٩ وينظر تفسير الفخر الرازى ٩/٥ — ١٠ .

(٨٢) سورة الأحزاب الآية ٤٨ .

وبناء على ما سبق : فإنه لا يجــوز مطلقا لعاقــل أن يركن إلى التواكل إستنادا إلى عقيدة القضــاء والقــدر ، ولا يسعى إلى رزقــه ولا يعمل لغــده اعتمادا منه على أن الله قــد قــدر كل شىء ، ذلك أن القــدر محجوب عنا ، فعلم الغيب لا يعلمه إلا الله **« عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحــدا • إلا من ارتضى من رســول »(٨٣) •**

« فالإيمــان بالقضاء والقــدر ليس قيــدا على حركة المؤمن ، وإنما هــو سبيل لطمأنينة النفس ، وســكينة القلب ، والتخلص من القلق لأن المسلم بإيمــانه بالقضاء الإلهى ، لا يأسى على ما فاته ، ولا يقلق على المستقبل ، وقــد شــهد بذلك أحــد الغربيين ، الذى عاش فترة مــع المسلمين ، وقــد تعمق خــلال هــذه الفترة فى دراســة الإســلام إنه (ف٠ش بودلى) فقــد كتب مقــالا تحت عنــوان (عشــت فى جنــة الله) قال فيــه : « تعلمت من عرب الصحراء التغلب على القلق ، فهم ــ بوصفهم مسلمين ــ يؤمنون بالقضاء والقــدر ، وقــد ســاعدهم هذا الإيمــان على العيش فى أمان وأخــذ الحيــاة مأخــذا ســهلا ، فهم لا يلقــون أنفسهم بين براثن الهم والقلق على أمر ، إنهم يؤمنــون بأن ما قــدر يكون ، وأنه لا يصيب الفرد منهم إلا ما كتبه الله لــه ، وليس معنى هــذا أنهم يتواكلــون أو يقفــون فى وجــه الــكارثة مكتــوفى الأيدى كــلا »(٨٤) •

---

(٨٣) ســورة الجــن الآية ٢٦ •

(٨٣) الإيمــان والحيــاة ص ١٣٦ •

الفصل الرابع

العالم فى العقيدة الإسلامية

العـــــالم

مفهـــوم العـــالم :

العـــالم فى اللغـــة : ما يعلم به الشىء ٠

واصطلاحا : كل ما سوى الله — تعالى — من الموجـــودات ٠

وقـــد بين ســـعد الدين التفتازانى أنه يجـــوز إطلاق العالم على بعض المخلوقات فيقال : عـــالم الأجسام ، وعـــالم النبـــات ، وعـــالم الحيـــوان(٨٥) ٠

وقـــد جاء فى تفسير القرطبى نقـــلا عن قتادة فى تفسير (العالمين) قـــوله : « العالمـــون جمع عالم ، وهـــو موجود سوى الله — تعالى — ولا واحـــد لـــه من لفظـــة مثل : رهط وقـــوم ، أى أنه اســـم جنس وقيـــل : أهـــل كل زمان عالم ، قال الحسين بن الفضل : قـــوله تعالى : « **أتأتون الذكر إن من العـــالمين** »(٨٦) أى من النـــاس ، ومن الواضح أن يفسر العالمين بالناس فقط ، وقال الفراء وأبو عبيدة : العـــالم عبـــارة عمن يعقل وهم أربعة : الإنس والجـــن ، والمـــلائكة ، والشياطين ولا يقال للبهائم عالم ، لأن هـــذا الجمع إنمـــا هـــو جمع من يعقل خاصة(٨٧) ٠

إذن فالعـــالم عند الاطلاق : يراد به كل ما ســـوى الله — تعالى — وهـــذا لا يمنع إطـــلاقه على بعض المخلوقات كمـــا ذكر ذلك الســـعد التفتـــازانى(٨٨) ٠

---

(٨٥) شرح المقاصـــد ص ١٩ — دار الطباعة العامرة — مصر ١٢٧٧ هـ ٠
(٨٦) ســـورة الشـــعراء الآية ١٦٥ ٠
(٨٧) تفسير القرطبى ١٣٨/١ — مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٢ ٠
(٨٨) العقيدة فى ضـــوء القرآن الكريم ص ١٢٢ ٠

حـــدوث العـــالم

كانت قضية حـــدوث العـــالم من القضايا التى اشتد فيها الصراع بين بعض الفلاسفة والمتكلمين ، ممـــا جعل الإمام أبو حامد الغزالى يدخل فى معركة عنيفة وشرسة مـــع هؤلاء الفلاســـفة .

وقـــد كثرت الآراء حـــول هـــذه المســألة قـــديما وحـــديثا ، فقـــديما تحير أرســـطو فى الإدلاء برأى واضح فى تلك القضية حيث قال : إنه يقع فيها شـــك هـــل هى كذا أم ليست بكذا ؟ إن فى كلا المعنيين أقاويل مقنعة(٨٩) وأملى جالينوس على أحـــد تلاميذه قائلا : اكتب عنى ما علمت أن العالم قـــديم أو حادث(٩٠) .

ويسير فى هـــذا الاتجاه أيضـــا « توماس الأكوينى » الذى صرح بأن الحـــدوث لا يعـــلم إلا بالإيمـــان ، لأن القـــول بالقـــدم والحـــدوث ممـــكن(٩١) .

أما الفيلسوف الألمـــانى « كانت » فيبين أن العقـــل يرى أن دليـــل الحـــدوث صحيح ، وأن دليـــل الأزليـــة صحيح ، ثم يبين أيضا أن هذه القضـــية خارجـــة عن إدراك العقـــل النظرى ، وذلك لتناقضه(٩٢) .

إن هـــذا التخبط فى الآراء يبين صعوبة المسألة ، وخطورتها فى نفس الوقت ، ويدل على هـــذا قـــول الشيخ محمد عبده .

---

(٨٩) منطـــق أرسطو ٤٥٨/٢ تحقيق د. عبد الرحمن بدوى .
(٩٠) تهافت الفلاســـفة ص ٨٨ للإمام الغزالى تحقيق د. سليمان دنيـــا — دار المعـــارف — مصر .
(٩١) المرجـــع السابق نفس الصـــفحة .
(٩٢) كانت أو الفلسفة النقـــدية ص ٢٢ د. زكريا إبراهيم — دار مصر للطبـــاعة .

« واعلم أنى وإن كنت برهنت على حـدوث العالم ، وحققت الحق فيـه على حسب ما أدى ليه فكرى ، ووقفنى عليه نظرى ، فلا أقـول بأن القائلين بالقـدم قـد كفروا بمذهبهم هـذا ، وأنكروا به ضروريا من الدين القـويم ، وإنمـا أقـول : إنهم أخطـأوا فى نظـرهم ، ولم يسددوا مقـدمات أفكارهم ، ومن المعلوم أن من سلك طريق الاجتهاد ولم يعـول على التقليد فى الاعتقاد ، ولم تجب عصمته ، فهـو معرض الخطـأ ولكن خطـأه عند الله واقع موقع القبول ، حيث كانت غايتـه من سيره ومقصده من تمخيص نظـره أن يصـل إلى الحـق ، ويدرك مستقر اليقين ، وعلى المرء أن يسعى إلى الخير جهـده ، فإياك أن تنهج نهـج التعصب فتهلك »(٩٣) ·

والشيخ محمد عبده يبين هنـا صعوبة المسألة ودقتها ، لكنه يحاول أن يتلمس العـذر للقائلين بقـدم العالم ، لأنهم سلكوا طريق الاجتهاد ، غير أنهم أخطـأوا النظر ، وهـذا الخطـأ لا شيء فيه ، وهـو واقع موقع القبـول عند الله ، ما دام الإنسان يقصـد الوصول إلى الحق ·

لكن هـل تلمس الأعـذار القائلين بقـدم العالم مقبول ·

نرجىء هـذا الحكم بعـد أن نرى رأى الدين فى خلق العالم ·

رأى الدين فى خلق العـالم :

الحقيقة الواضحة التى لا يمكن إغفالها أن متكلمى الإسـلام يصدرون

---

(٩٣) حاشـية الشيخ محمد عبده على شرح العقائد العضـدية ص ٦٠ ـــ المطـابع الخـيرية ·

أدلتهم عن عقيدة مستمدة من كتــاب الله — تعالى — وسنة النبى ﷺ ، وهــذا هــو موطن الخلاف بين المنهج الكلامى والفلسفى ، مــع ملاحظة أن بعض المتكلمين أحيــانا يسبح فى خضم الجــدل والمناظرة حينمــا يلتقى مــع الخصم(٩٤) ٠

ونرجــع إلى موضوعنا ، وهــو رأى الدين فى خلق العالم ٠

إن الله — سـبحانه — يقــول فى كتــابه الــكريم « **هــو الأول والآخــر** »(٩٥) ٠

ومضمون الآية يعطينا دليــلا واضحا على أن هــذا العالم وجــد من عــدم محض ، فهــو سبحانه موجــود قبــل كل شىء وجــودا لا حــد لبدايته وهــو الباقى بعــد فناء جميع الموجــودات ٠

ثم ماذا يقــول القائلون بقــدم العالم فى قــوله تعالى : « **بديــع السـموات والأرض** »(٩٦) ٠

والإبداع كما يقــول الراغب الأصــفهانى هــو : إنشاء الصــنعة بلا إحتذاء ولا إقتداء ، وإذا استعمل فى حــق الله — تعالى — فهــو إيجــاد الشىء بغير آلــة ، ولا مادة ، ولا زمان ، ولا مكان ، وليس ذلك إلا لله(٩٧) ٠

أما الشيخ محمد رشيد رضــا فيبين أن الإبداع : هــو إيجاد الشىء

---

(٩٤) العقيــدة فى ضــوء القرآن الكريم ص ١٢٧ ٠

(٩٥) ســورة الحــديد الآية ٣ ٠

(٩٦) ســورة البقــرة الآية ١١٧ ٠

(٩٧) المفردات للراغب الأصفهانى ص ٣٨ ط الحلبى ٠

بالصورة المخترعة على غير مثال ، وهـــو أيضا يقتضى سبق المـــادة ، أما الخلق فمعنـــاه : التقـــدير ، وهـــو يقتضى شيئا موجودا يقـــع فيـــه التقـــدير .

أما التكوين والإيجـــاد فهـــو من أغمض الأسرار الإلهية ، فمـــن عرف حقيقته عرف حقيقة المبدع الأول ، وهـــذا لا مطمع فيـــه(٩٨) .

ويذكر الشريف الجرجانى أيضا أن : الإبداع هـــو إيجاد شىء غير مسبوق بمـــادة ولا زمان ، والإيجـــاد شىء من لا شىء(٩٩) .

ولنذهب إلى قـــوله تعالى : ((**قـــل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشأ النشأة الآخرة أن ذلك على الله يسير**))(١٠٠) .

وبداءة الشىء تعنى أنه مسبوق بالعـــدم ، فلـــو أن أصل المـــادة قـــديم — كمـــا يقـــول البعض — لمـــا كانت لـــه بداءة ، والخلق فى الآية يشمل جميع الموجودات والمخلوقات بمـــا فيها الإنسان .

وقد يقول قائل : إن الآية مقصود بها الإنسان فقط ، لكن هـــذا غير صحيح ، ذلك أنه لـــو كان المراد بالخلق فى الآية : الإنسان لمـــا احتاج الأمر إلى السير فى الأرض والنظر والتأمل فى الكائنات جميعها(١٠١) .

---

(٩٨) تفسير المنـــار للشيخ محمد رشدى رضا ٤٣٨/١ ، ٤٣٩ ط المنـــار ١٤٤٦ هـ .

(٩٩) التعريفات للشريف الجرجانى ص ٣ ط الحلبى .

(١٠٠) ســـورة العنكبـــوت الآية ٢٠ .

(١٠١) السلفية رحـــلة زمنية مباركة ص ١٦٨ — ١٦٩ د. محمد سعيد رمضان البوطى — دار الفكر — دمشق ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .

والحقيقة التى لا شك فيها : إننا حين نرجع إلى كتاب الله — عز وجل — نجده يقرر فى صراحة ووضوح أن موضوع البحث فى بدء الخلق ليس من مجال العقل المجرد ، لأنه أمر غيبى استأثر الله بعلمه ، ومنه وحده يستمد ، لأنه سبحانه (**عالم الغيب والشهادة**) .

وعلم الغيب فوق مدارك العقل المجرد ، ذلك أن العقل يبحث فى إطار المحسات ، فهو يفكر ويتخيل ويتوهم فى هذه إطار هذه الدائرة المحددة ، لكن ما وراء الحس ليس من قبيل ما يخضع لحواسنا ومداركنا القاصرة ، ومن هنا يقول تعالى : « **ما اشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا** »(١٠٢) .

ولذا يقول الإمام ابن حزم فى كتابه الفصل « فلسنا نعلم ولا أحد من الناس كيفية ذلك — أى كيفية ابتداء الخلق — وهذا نص قوله تعالى : « **ما اشهدتم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم** » فمن تكلف أو كلف غيره معرفة ابتداء الخلق وأن له مبدأ لا يشبهه البتة فأراد معرفة كيف كان فقد دخل فى قوله تعالى : « **وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم** »(١٠٣) ...

وأما ما كان بعد ابتداء الخلق فمعروف الكيفيات ، قال تعالى : « **وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته** »(١٠٤)

---

(١٠٢) سورة الكهف الآية ٥١ .
(١٠٣) سورة النور الآية ١٥ .
(١٠٤) سورة الأنعام ١١٥ .

فصح أنه لا تبديل لما رتبه الله — تعالى — مما أجرى عليه خلائقه »(١٠٥) ·

نماذج من آيات الخلق فى القرآن الكريم :

يقول تعالى : « **قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين · وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ·**

ثم استوى إلى السماء وهى دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين ·

فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم(١٠٦) ·

ويقول جل شانه « **ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وما كنا عن الخلق غافلين** »(١٠٧) ·

ويقول سبحانه : « **ألم تر كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا** »(١٠٨) ·

ويقول تباركت أسماؤه : « **الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور** »(١٠٩) ·

---

(١٠٥) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٨٥/١ ·
(١٠٦) سورة فصلت الآية ٩ — ١٢ ·
(١٠٧) سورة المؤمنون الآية ١٧ ·
(١٠٨) سورة نوح الآية ١٥ ، ١٦ ·
(١٠٩) سورة الملك الآية ٣ ·

ويقـــول إجـــل شأنه : « **فلينظر الإنســـان مم خلق • خلق من ماء دافق • يخرج من بين الصلب والترائب • إنه على رجعه لقادر** »(١١٠) •

ويقـــول عز وجـــل : « **أو لم يتفـــكروا فى أنفســـهم ما خلـــق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحـــق أجـــل مسمى** »(١١١) •

ومع هـــذا النسق من الآيات ، وفى هـــذه الطريق يؤسس الإسلام العقيدة فى القلوب ، والبساطة المطلقة سمة ملحوظة فى العقائد الإسلامية ، والملاحظ فى الآيات السابقة أنها توقظ البصائر والأبصار إلى ما فى الكون من شواهـــد وآثار ، أن القرآن الكريم يقوم على إنتزاع الأدلـــة الحيـــة من صفحات هـــذا العالم الفسيح ، الذى نحيـــا أرضـــه وسمائه ، بل على إنتزاع الأدلة من الإنسان نفسه ، من كيانه منذ ولادته إلى موته(١١٢) •

---

(١١٠) ســـورة الطـــارق الآية ٥ — ٨ •

(١١١) ســـورة الروم الآية ٨ •

(١١٢) كيـــف نفهم الإســـلام ص ١٠٥ وما بعـــدها للشيخ محمد الغزالى ط ١ — دار الدعـــوة ١٩٩١ •

رأى العلم الحديث فى حدوث العالم

مما لا شك فيه أن البحوث العلمية الناتجة عن التجارب الدقيقة تعد من أقوى الأدلة التى لا يسع الإنسان إزاءها إلا أن يؤمن بوجود الله — سبحانه — وحكمته وقدرته إيمانا فى أسمى درجاته ٠

وإذا كان علماء العقيدة قد دافعوا قديما وما زالوا يدافعون عن قضية حدوث العالم ، فقد جاء العلم الحديث يؤيد رأيهم فى الدفاع عن هذه القضية ، وكلما تقدم العلم أكثر أعطانا الدليل بشكل أدق وأعمق وأكثر إقناعا ، بل إن ما قدمه العلم من أدلة على قضية حدوث العالم يجعل هذه القضية فى حكم البداهة ، ذلك أن وضوح الأدلة وتعاضدها لا يدع مجالا للشك فيها ، فقوانين الحرارة ، وقوانين الالكترون ، والطاقة الشمسية وغيرها ، قد قدم كل منها دليلا واضحا عليها ، ونستعرض هذه الجوانب واحد بعد الآخر ، لنرى من خلالها كيف قدم العلم الحديث الدليل على أن هذا العالم مخلوق للخالق سبحانه وتعالى ٠

١ — قوانين الحرارة :

يقول عام الفيزياء « ليكونت دى نوى » رئيس قسم الفيزياء فى معهد باستور ، ورئيس قسم الفلسفة فى جامعة السربون ، فى كتابه « مصير البشرية » ٠

« إن أحد وجوه النجاح العظيمة التى حققها العلم الحديث ، ربط قانون « كارنوت — كلوزيوس » ويدعى أيضا بالقانون الثانى فى « التروديناميك » الذى يعتبر مفتاح فهمنا للمادة غير الحية — بحساب

الاحتمالات ، وقــد أثبت الفيزيائى الكبير « بولتزمان » أن التطــور غير الحى وغير القــابل للانعكاس الذى يفرضه هــذا القانون يوافــق تطورا نحــو حالات أكثر وأكثر احتمالا تتصف بازدياد التناظر وتوازن القدرة ، وهكذا فإن الكون يميل نحو التوازن ، حيث تزول جميع عــدم التناظرات الموجودة فى الوقت الحاضر ، وتقف جميع الحركات ، ويسود الظــلام التــــام(١١٣) ٠

ويذكر وحيد الدين خان فى كتابه المشهور « الإســلام يتحــدى » تحت عنوان « الأزلى الخالق أم المــادة » ما يلى :

إذا كان لا منــاص من افتراض أزليــة خالق الــكون ، فلمــاذا لا نؤمن بأزلية الكون ؟ وهــذا الكلام لا معنى لــه لأننــا لم نعثر على صــفات للكون أيا كانت تثبت أنه خالــق نفسه ٠

ولقــد كان لهــذا الاستدلال حسنه ورواؤه حتى القرن التاسع عشر ولكننــا اليوم ــ وبعــد كشف « القــانون الثانى للحركة الديناميكية » نجــد أن هــذا الاستدلال فقــد كل أساس كان يقــوم عليه ٠

وهــذا القانون الذى نسميه « قانون الطاقة المتاحــة » أو « ضابط التغير » يثبت أنه لا يمكن أن يكون وجــود الكون أزليــا ، فهو يصــف لنــا الحرارة تنتقل دائمــا من وجــود حــرارى إلى عــدم حــرارى والعكس غير ممــكن وهــو أن تنتقل الحرارة من وجود حرارى قليــل

---

(١١٣) الله جــل جلاله ص ١٨ ســعيد حوى ط ٣ دار الطباعة الحديثة ١٩٧٨ ٠

أو وجـود حرارى عـدم إلى وجـود حرارى أكثر ، فإن ضابط التغير هـو التناسب بين الطاقـة المتاحـة والطاقة غير المتاحة ·

وبناء على هـذا الكشف العلمى الهـام فإن « عـدم كفاءة الكون » يزداد يـوما بعـد يـوم ، ولابد من وقت تتساوى فيـه حـرارة جميع الموجودات ، وحينذاك لا تبقى أية طاقـة مفيدة للحياة العمل ، وسيترتب على ذلك أن تنتهى العمليات الكيماوية والطبيعية وتنتهى — تلقائيا مـع هـذه النتيجـة الحيـاة ·

وانطلاقا من هذه الحقيقة القائلة بان العمليات الكيماوية والطبيعية جارية وأن الحياة قائمـة ، يثبت لدينـا قطعا أن الكون ليس بأزلى ، إذ لـو كان الكون أزليـا لكان من اللازم أن يفقـد طاقته منذ زمن بعيد، بناء على هذا القانون ، ولمـا بقى فى هـذا الكون بصيص من الحياة ·

يذكر هـذا التحقيق العلمى الحـديث عالم أمريكى فى علم الحيوان هـو الأستاذ « إدوارد لوثركسيل » فيقـول :

« وهكذا اثبتت البحـوث العلمية — دون قصـد — أن لهـذا الكون بداية فاثبتت تلقـائيا وجـود الإلـه ، لأن كل شىء ذى بداية لا يمكن أن يبتـدىء بذاته ، ولابد أن يحتـاج إلى المحـرك الاول — الخـالق الإلـه »(١١٤) ·

وهـذا هـو « فرانك الان » عالم الطبيعة البيولوجية يستدل على عـدم أزلية الكون بنفس القـانون فيقول :

---

(١١٤) الإسـلام يتحـدى ص ٧٣ ، ٧٤ وحيـد الـدين خـان ط ٧ دار المختـار الإسـلامى ·

« كثيرا ما يقـــال : إن هـــذا الكون المـــادى لا يحتاج إلى خالق »،
ولكننا إذا سلمنا بأن هـــذا الكون موجود فكيف وجوده ونشأته ؟

هنالك أربعـــة احتمالات للإجابة على السؤال :

فإما أن يكون هـــذا الكون مجرد وهم وخيال ، وهـــو ما يتعارض مـــع القضية التي سلمنا بهـــا حـــول وجوده .

وإما أن يكون أبديا ليس لنشأته بداية ، وإما أن يكون لـــه خالق .
أما الاحتمال الأول فلا يقيم أمامنا مشكلة سوى مشكلة الاحساس والشعور ، فهـــو يعنى أن إحساسنا بهـــذا الكون وإدراكنا لمـــا يحـــدث فيه لا يعدو أن يكون وهما من الأوهام ليس لـــه ظـــل من الحقيقة ، فالرأى الـــذى يدعى أن هـــذا الكون ليس لـــه وجـــود فعلى ، وأنه مجرد صـــورة فى أذهاننـــا ، وأننـــا نعيش فى عـــالم من الأوهام لا يحتاج إلى مناقشـــة وجـــــدال .

أما الرأى الثانى القائل بأن هـــذا العالم بمـــا فيـــه من مادة وطاقة قـــد نشأ هكذا وحـــده من العـــدم ، فهـــو لا يقـــل عن سابقه ســـخفا وحماقة ، ولا يستحق هـــو أيضا أن يكون موضعا للنظر أو المناقشة .

والرأى الثالث الذى يذهب إلى أن هـــذا الكون ليس لنشأته بداية إنمـــا يشترك مـــع الرأى الذى ينادى بوجـــود خالق لهـــذا الكون ، وذلك فى عنصر واحـــد هـــو الأزلية ، وإذن فنحن إما أن ننسب صـــفة الأزليـــة إلى عالم ميت ، وإما أن ننسبها إلى عالم حى يخلق وليس هناك صعوبة فكرية فى الأخـــذ بأحـــد الاحتمالين أكثر ممـــا فى الآخر ، ولكن

قوانين الديناميكا الحرارية تدل على أن مكونات هذا الكون تفقد حرارتها تدريجيا ، وأنها سائرة حتما إلى يوم تصير فيه الأجسام تحت درجة حرارة بالغة الانخفاض هى الصفر المطلق ، ويومئذ تنعدم الطاقة وتستحيل الحياة ٠

ولا مناص عند حدوث هذه الحالة من انعدام الطاقة عندما تصل درجة حرارة الأجسام إلى الصفر المطلق بمضى الوقت ٠

أما الشمس المستعرة والنجوم المتوهجة والأرض الغنية بأنواع الحياة ، فكلها دليل واضح على أن أصل الكون أو أساسه يرتبط بزمان بدأ من لحظة معينة ، فهو إذن حدث من الأحداث ومعنى هذا : أنه لابد لأصل الكون من خالق أزلى ، ليس له بداية عليم محيط بكل شىء ٠

فقانون الحرارة إذن يثبت أن الكون ما دام فيه طاقة حرارية لا يمكن أن يكون أزليا ، لأن الحرارة لا يمكن أن توجد لنفسها بعد برودته ، ولو كان الكون أزليا لكان باردا (*) ٠

٣ ـ قوانين الحركة الالكترونية :

وهذه شهادة أخرى من العلم الحديث تدل على حدوث الكون ألا وهى (قوانين الحركة الالكترونية) ذلك أن ذرات الكون كلها مؤلفة من جزئيات كهربائية سالبة وموجبة ٠

فالموجبه يطلق عليها اسم البرتون ، والسالبة يطلق عليها اسم الالكترون ، وبعض الذرات فيها زيادة على ذلك شحنة معتدلة تسمى

(*) « الله » سعيد حوى ص ٢٠ ٠

نيترون ، والبروتون والنيترون يشكلان نواة الذرة ، بينما الالكترون تشكل كواكبها السيارة التى تدور حولها فى سرعة هائلة وبحركة دائرية ، وبسبب هذه السرعة الهائلة فى حركة الالكترون يبقى الالكترون متحركا وعند هذا يكون العجب ، إذ فى هذه الحالة يصبح جرم كالكرة

وعند هذا يكون العجب ، إذن فى هذه الحالة يصبح جرم كالكرة
الأرضية فى حجم بيضة الدجاجة ، لأن الفراغ كبير جدا فى عالم الذرة ، وكتل الجزئيات لا تأخذ إلا حيزا صغيرا جدا من فراغ الذرة الواسع ، لأن البعد بين النواة والالكترونات الدائرة حولها كالبعد بين الشمس وكواكبها نسبيا ٠

وبناء على ذلك : فإن الالكترون فى أكثر ذرات الوجود فى حركة دائمة دائرية ، كما أنه ليس هناك أى دليل فى الوجود يدل على أنه يمكن أن يكون هناك وضع آخر للالكترون كان عليه أولا ثم انتقل إلى هذه الحالة ، إذ لو كان لاحتجنا إلى مؤثر جعل الكترونات الوجود تتحرك بعد خمود ، فيتسع الكون بعد ضيق ، كما أن هذا الكون مؤلف من نفس الذرات التى عرفنا خصائصها ،والحركة التى نجدها فى الالكترون نجدها فى كل جرم فى الفضاء ٠

وبعد هذا يمكن القول : أن الشيء الدائر لابد وأن تكون له نقطة بداية زمانية ومكانية يبدأ منها دورته ولما كانت الالكترونات والأجرام كلها فى حركة دائرية غير مستأنفة — كما يبدو — فلابد أن تكون هناك بداية زمانية ومكانية لحركة الالكترون ، فهى إذن مخلوقة ومحدثة (*) ٠

(*) راجع : كتاب العلم يدعو إلى الإيمان — مواضع متفرقة — كريسى موريسون ترجمة سالح الفلكى ٠

٣ — الطـــاقة الشمسية :

الشمس فى عطاء دائم ، فهى تعطى إشعاعا حراريا مستمرا ٠

من أين تأتى الشمس بطاقتها ؟ وكيف تحافظ على حرارتها ؟ وما سبب هـــذه الطاقـــة ؟

إن ذرات الشمس تتحطم فى قلبهـــا المرتفع الحرارة ، ومن خلال هـــذا التحطم المستمر تتوالـــد هـــذه الطاقة الحرارية التى لا مثيل لها ، وممـــا لا شـــك فيه أن الذرة عندما تتحطم تفقـــد جزءا من كتلتها حيث يتحول هـــذا الجزء إلى طاقـــة ، وكل يوم يمـــر على أى شمس معناه فقـــدان جزء من كتلتها — ولـــو يسيرا ٠

ومعنى هـــذا أن : الشمس لـــو كانت أزليـــة وقـــديمة لمـــا كانت على وضعها الحالى ، أو تكون قـــد استنفذت وانتهت تماما(١١٥) ٠

وبعـــد هـــذا العرض السريع للاكتشافات العلمية الحـــديثة يمكن القـــول : أن العلم الحـــديث قـــد اثبت — من غير شـــك — حـــدوث العالم ، ومن جهـــة أخرى فإن هـــذه الاكتشافات قـــد أيدت أيضا رأى متكلمى الإســـلام الذى دافعـــوا بكل قـــوة عن قضية حـــدوث العـــالم ، ذلك أن هـــدفهم الأسمى هـــو إثبـــات الكمـــال لله وحـــده ، وإبعـــاد النقص عن ذاته العليـــة ٠

---

(١١٥) « الله » سعيد حـــوى ص ١٨ — ٢٢ بتصرف ، وينظر : كتاب الله يتجلى فى عصر العلم ، وكتاب مصير البشرية تاليف ليكونت ديـــوى ٠

أن العـــالم عند الملاحـــدة مكتف بذاته ، مستغن بوجوده ، لا حاجة به إلى صانع ، وأن مادة الكون أزليـــة ، وعلة غير معللة ، والعـــالم عند بعض الفلاسفة قـــديم قـــدماً زمانياً .

ومن هنا انطلق المتكلمون يصـــدون هـــذه الهجمات الشرسة على العقيدة الإســـلامية ، ذلك أن الاقرار باحتياج العـــالم إلى الصانع هـــو فيصـــل التفـــرقة بين المؤمنين والملحـــدين ، ســـواء فى قـــديم الزمان أو حـــديثه (١١٦) .

الطبيعـــة تؤكـــد وجـــود الخـــالق :

أن العـــالم العلوى بمـــا فيه والعـــالم السفلى بمـــا فيه ـــ ما هـــو إلا آية على وجـــود الله ـــ سبحانه ـــ ومظهر تفرده بالخلق .

فإذا كان العقـــل يحيل أن تطير طائرة فى الهواء ، أو تغـــوص غواصة فى المـــاء دون أن يكون هنـــاك صانع طائرة ومنشىء غواصة ، فإنه يجزم جزما قاطعا باستحالة وجـــود هـــذا الكون البديع من غير صـــانع .

أن هنـــاك فروضا ثلاثة من الممكن أن تفرض فى تعليـــل الأصـــل الذى صـــدر عنـــه الكون .

الفرض الأول : أن يكون صدور هـــذا الكون من العـــدم .

الفرض الثانى : أن تكون الصـــدفة وحـــدها هى التى أوجـــدت الكـــون .

---

(١١٦) هـــوامش على العقيدة النظامية ص ٥٦ د. محمد عبد الفضـــل القـــوصى دار الطباعة المحمدية ط ١٩٨٤ .

الفرض الثالث : أن يكون ثمـة موجـدا أوجـد هـذا الكـون وأنشاه من العـدم ٠

أما بالنسبة للفرض الأول فهـو ظاهر البطلان ، ذلك أن المسببات ترتبط بالأسباب ، والنتائج تربط بالمقـدمات ٠

ومن هنـا : فلا يتصور العقل أن يوجـد المعـلول بدون عـله ، ولا مسبب دون أن يسبق بسبب ولا نتيجة من غير أن يكون لهـا مقـدمات وبنـاء على ذلك : فإن صـدور الكون من العـدم يعنى وجـود معلول بدون عـلة أو مسبب دون سبب ، أى أن الكون وجـد من نفسه ووجود الأشياء من نفسها مـع انقطاعها عن الأسباب ترجيح لجانب الوجود على جانب العـدم بدون مرجح وهـو باطل ، وإلى هـذا تشير الآية القرآنية فى قـوله تعالى : ((**أم خلقـوا من غير شىء أم هم الخالقـون أم خلقوا السموات والأرض بك لا يوقنون**))(١١٧) ٠

أما **الفرض الثانى :** فهـو أعظم تهافتـا من الأول ، ذلك ان الصـدفة التى يقـولون عنها لا يمكن أن ينبثق منها نظـام وإحكام ، وهـل الصـدفة هى التى خلقت الذكر والأنثى والفت بينهما ؟ وهـل الصـدفة هى التى خلقت الأرض وما فيهـا من إنسان وحيـوان ونبـات وجمـاد ؟

هـل الصـدفة هى التى علقت الأرض فى الهـواء وسيرتها فى مدارها الذى لم تنحرف عنه قيـد شعرة منذ المـلايين من السنين ؟

---

(١١٧) سـورة الطـور الآية ٣٥ ، ٣٦ وانظر : العقـائد الإسـلامية للشيخ سـيد سابق ص ٣٥ ، ٣٧ بتصرف ٠

هــل الصــدفة هى التى تســير الكواكب والنجــوم على هــذه الضخامة وبهــذه السرعة دون أن يحــدث تصادم أو إنفجار ؟

هــل الصــدفة هى التى أوجــدت عناصر الكون بهــذا التنسيق الدقيــق الصالح للدوام والاستمرار إلى المــدى الذى أراده الله ؟(١١٨) ٠

يقــول الأستاذ سنتلانا فى رده على الملاحــدة :

« ٠٠٠ كيف ينسب ذلك إلى الاتفاق والصــدفة ومجرد البخت ٠٠ ليت شــعرى كيــف اجتمعت تلك الأجزاء ، وكــيف تألفت على اختلاف أشكالها وتبــاين موادها وقــواها ؟ !! وكيف بقيت على تألفهــا ؟ وكيف **تجــددت على نمــط واحــد المــرة بعــد المــرة ؟**

وقــد شهدت المعاينة : بأن حركات أجزاء لا نهــاية لهــا ولا محرك لا تفضى إلا إلى غاية لالإلتبــاس وعــدم القياس ٠

هــذا العمرى كمثــل من يضع حروف المعجم فى ظرف أو صندوق ، ثم جعــل يحركها يوما بعــد يوم ، طمعا منه أن تتألف من تلقاء نسفها ، فيتركب منها قصيدة بليغة أو رســالة عميقة فى المنطق ، أو كتاب فى الهندســة دقيــق ٠

أليس ذلك من الســفه البين ، فإنه لو دام على تحريكهــا السنين والدهور لمــا حصل من كــده إلا على حروف ؟!

فكيف يتصــور حــدوث هــذا العالم بمــا هو عليه من الاتقــان

---

(١١٨) العقائد الإســلامية للشيخ سيد ســابق ص ٣٦ الفتــح للإعلام العربى ــ القــاهرة ٠

والإحكام وتضافر الأجزاء ، وعجيب مناسباتها بعضها لبعض من حركات اتفاقيـــة فى خـــلاء لا نهاية لـــه »(١١٩) .

وهـــذه كلمـــة عن الذرة لواحـــد من علمـــاء الطبيعة يقول فيهـــا « تتالف المـــادة من ذرات لا يمكن رؤيتها باقوى المجاهر (الميكروسكوب) ولكى نتصور حجم الذرة علينا أن نتصور اننا لـــو رصصنا مائة مليون ذرة جنبا إلى جنب لبلغ طـــولها بوصـــة تقريبا ، ومن ناحية أخرى يوجـــد فى قطرة من مياه البحر خمسون ذرة من الذهب .

وتتالف الذرة من نواة تدور حـــولها كهارب سلبيه (الكترونات) فى افلاك مستديرة ، وبين الإثنين يشبه الفراغ بين الكواكب والشمس من حيث النسبة بين الحجم والأبعـــاد .

ويبلغ وزن أخف نواة ١٨٥٠ ضعف وزن الالكترون ، ولـــو رصت عشرون الف نواة جنبا إلى جنب لبلغ طـــول قطـــرها قطـــر الـــذرة ، أو بعبارة أخرى نسبة النواة إلى الذرة كراس الدبوس إلى منزل متوســـط الحجـــم .

وتدور الالكترونات حـــول النواة فى أفـــلاك كافـــلاك الكواكب إذ تدور حـــول الشمس ، ولكن هـــذه الافـــلاك أكثر حساسية وأقـــل تحـــديدا من افـــلاك الكواكب ، ولـــو أن المـــادة المؤلفـــة من النـــوى الذرية مكدســـة مـــع بعضـــها أى بدون الفـــراغ الموجـــود بين النـــواة والالكترونات لبـــلغ وزن قطعة نقـــدية فى حجم القرشـــين حـــوالى ٤٠ مليـــون طـــن .

---

(١١٩) الإســـلام يتحـــدى ص ٢٧ .

وتتألف النـــواة من كهارب موجبة (بروتوناث) يساوى عـــددهم عـــدد الكهارب الســـالب (الالكترونات) التى تدور حـــول النـــواة ، ويوجـــد إلى جـــوار البروتنات كهارب أخرى متعـــاولة الشـــحنة تسمى نيوتروتات ولـــو استطعنا أن نخلخـــل من هـــذه الرابطة التى تربط بين البروتونات والنيوترونات أو بالأحرى لـــو استطعنا أن نهيىء السبل لهروب نيوترون واحـــد من مجموع النيوترونات التى تحيط بالبروتونات إذن لا نطاقت طاقـــة كبرى كان اينشتين أول من قـــدرها بأنها تســـاوى الكتلة فى مربع سرعة الضوء مقـــدرا بالسنتى متر فى الثانية »(١٢٠) .

وحينما ننتقـــل من الذرة لى الشمس نرى العلم يقـــول :

« الشمس هى كرة متاجحة بنـــار أشـــد وطيسا من كل نار على الأرض وهى أكبر من الأرض بأكثر من مليـــون مـــرة ، أو أبعـــد عنهـــا ٩٢٥٠٠ر٠٠٠ ميل ، وما هى إلا نجمـــة ، وليست فى عـــداد النجـــوم الـــكبرى .

وهنـــاك مشكلة أخرى أعيا حلها النهائى عقول العلمـــاء والفلكيين ، هى أن الشمس ـــ كما يؤخـــذ من علم طبقات الأرض ـــ لم تزل تشـــع نفس المقـــدار أو نحـــوه من الحرارة مدة ملايين من السنين ، فإن كانت الحرارة الصادرة عنها نتيجة احتراقها ، فكيف لم تفـــن مادتها مـــع توالى العصـــور ؟

---

(١٢٠) العقـــائد الإســـلامية ص ٣٧ وهـــو ناقل عن كتـــاب مستقبلنا الذرى تأليف ادور تيلر والبرت لاتر ـــ الطاقة الإنسانية .

فلا شك إن طريقة الاحتراق الجارية فيها غير ما يعهد ونألف ، وإلا لكفاها ٦٠٠٠ سنة لتحترق ، وتنفذ حرارتها فإذا تجاوزنا الشمس وجدنا أن :

أقرب نجم إلينا بعد الشمس يعادل بعده ٢٦٠٠٠٠ مرة بعد الشمس عنا ، ويعتبر هذا شيئاً ضئيلا جدا بالنسبة لنجوم المجرة التى أسماها القدماء « طريق التبانة » بل تعتبر المجموعة الشمسية ذرة إذا قيست بالمجرة ، إذ أنها تحتوى على مائة مليون نجم موزعة فيما يشبه القرص المفرطح الرقيق نسبيا (١٢١) .

ويقول الأستاذ فون باير فى كتابه « دحض مذهب داردن » :

« وإذا كانوا يعلنون الآن بصوت جهورى بأنه لا يوجد قصد فى الطبيعة ، وأن الكون لا تقوده إلا ضرورات عمياء ، فأنا أعتقد أن من واجباتى أن أعلن عقيدتى فى ذلك وهى أنى على العكس أرى جميع هذه الضرورات تكشف عن أغراض سامية » .

ومتى ثبت وجود القصد فى هذا الكون ، فقد ثبت حينئذ وجود الخالق المدبر الحكيم من طريق محسوس لا سبيل للجدل فيه مصداقا لقوله تعالى : **« أفى الله شك فاطر السموات والأرض »**(١٢٢) .

وإذا بطل الفرض الأول والثانى معا ، لأنهما خارجان عن دائرة

---

(١٢١) المرجع السابق ص ٣٨ .

(١٢٢) سورة إبراهيم الآية ٢٠ وينظر : العقائد الإسلامية ص ٣٩ .

العقــل والمنطق والعلم ، فلم يبــق إلا الفرض الثالث : وهـــو أن لهــذا الكون خالقــا مدبرا حكيما (١٢٣) .

وقــد فكر بعض العلمــاء المــاديين فى الكون ، وأرادوا التكهــن لمعرفة أسباب نشأة الحياة فيــه ، وبالرغم من علمهم بأن كل شىء فى الكون من أصغر جزىء فى الذرة إلى أكبر المجرات يخضع خضوعا كاملا لقــوانين صارمة ، ويسير فى تناســق عجيب .

وعلى الرغم من أنهم يعلمون يقينا أنهم لم يصلوا حتى الآن إلا إلى معــرفة بعض قشور المــادة — فمــا زال فى حاجــة للمعــرفة مجــرد المعــرفة ، لا إلى الخلق (١٢٤) .

ويعقــد الشيخ نديم الجسر حــوارا طريفا حــول شبهه الصــدفة قائلا :

« أتى الجسر بعشر إبر وبلوح صــغير ، ثبت اللوح فى الحائط ، ثم قال لتلميذه « إغرز فى اللوح إبرة وضــع فى ثقبها إبرة ثانية ، وقــل لى يا حيران ! إذا رأى إنسان عاقــل هاتين الابرتين ، وســأل كيــف أدخلت الثانية فى ثقب الأولى ؟ فأخبره إنسان معروف بالصــدق أن الذى أدخلهــا رجــل ماهر قــذف بها من عشرة أمتار ... ثم أخبره إنسان آخر معروف بالصــدق أيضا أن الذى ألقــاها صبى صغير ولــد من بطن أمه أعمى فوقعت فى الشق بطريق المصادفة فأى الخبرين يصدق ؟

(١٢٣) المرجــع الســابق نفس الصفحة .

(١٢٤) نظرات فى العقيدة الإســلامية ص ٣٥ د. محمــد الأنور حامد عيسى ط ٣ ١٩٨٦ .

حيران : إنه ولا ريب يميل لتصـــديق الـخبر الأول ، ولكنـــه أمام صـــدق المخبرين يرى أن المصادفة ممكنة فلا يجزم بترجيح احـــد الـخبرين على الآخـــر ٠

الشيخ : ولكن ذا رأى هـــذا الرجل إبرة ثالثة مغروزة فى شـــق الثانية فهـــل يبقى عـــدم الترجيح على حاله ؟

حيران : كلا بل يتقـــوى ترجيح القصـــد على المصادفة ، ولكنـــه على كل حال يبـــقى ترجيحا ضعيفا ٠

الشيخ : ولكن إذا راى الرجـــل أن هنالك عشر إبر ، كل واحـــدة منها مغروزة فى قلب الاخرى ، فهل يبـــقى ترجيح فكرة القصـــد على ضـــعفه ؟

حيران : كلا بل يتقـــوى عنده ترجيح القصـــد حتى تكاد فـــكرة المصـــادفة أن تتلاشى ٠

الشيخ : ذا ترقينا فى تعقيد الاحجبـــة ، وقلنـــا : إن الإبر العشر مرقمـــة بخطوط لكل واحـــد منها رقم من من الواحـــد إلى العشرة ، وقيـــل لنـــا فى الخبر : إن الصبى الأعمى اعطى كيسا فيه هـــذه الإبر العشر مخلوطة مشوشة ، وأنه كان يضـــع يده فى الكيس ويستخرج الإبر تبـــاعا على ترتيب أرقامها بطريق المصادفة ويلقيها فتقع الأولى فى شـــق المغروزة فى اللوح وتقـــع الثانية فى الأولى وهكذا حتى أتم إدخـــال الإبر العشر بعضها فى بعض على ترتيب أرقامها بالمصادفة فهـــل يصـــدق من يقـــول بذلك ؟

حيران : لا ريب أنه لا يصدق ، لأن المصادفة بهذا التتابع والتعاقب بعيــدة جــدا جــدا .

الشيخ : بل إنهــا فى مجال الأعــداد الــكبرى تصــبح مستحيلة بداهـــــة(١٢٥) .

وهـــذا « جـــون أدولف بوهر » أســتاذ الكيمياء بكلية أندرســون يقــول : « عندما يطبق الإنسان قــوانين المصادفة لمعرفة مدى احتمــال حـــدوث ظاهرة من الظواهر فى الطبيعة مثل : تكون جزىء واحـــد من جزئيات البروتين من العناصر التى تدخــل فى تركيبه ، فإننا نجـــد أن عمــر الأرض الـــذى يقـــدر بمـــا يقـــرب من ثلاثة ملايين من السنين أو اكثر لا يعتبر زمنـــا كافيا لحـــدوث هـــذه الظـــاهرة ، وتكوين هـــذا الجـــزىء »(١٢٦) .

أما سوارتزن عضـــو جمعية علم التربة بأمريكا فيقــول « كيــف نفسر كل ذلك النظام والإبداع الذى يسود هـــذا الكون ؟ هنالك حالان :

فإما ان يكون هـــذا النظام قـــد حـــدث بمحض الصـــدفة وهـــو ما لا يتفق مـــع المنطق والخبرة وما لا يتفق فى الوقت نفسه مـــع قوانين الديناميكا الحرارية التى يأخـــذ بها الحـــديثون من رجال العلم .

وإما أن يكون هـــذا النظام قـــد وضع بعـــد تفكير وتدبر وهـــو الرأى الذى يقبله العقـــل والمنطق ، وهكذا نرى أن العلاقة بين النبـــات

---

(١٢٥) قصـــة الإيمـــان للشيخ نديم الجسر ص ٢٩٢ .

(١٢٦) الله يتجلى فى عصر العـــلم ص ١٠٠ .

والتربه تشير إلى حكمة الخالق وتدل على بديع تدبيره »(١٢٧) ·

لقد بين العلماء أن قضية الصدفة ما هى إلا إضحوكة ، القول بها مخجل والنظر فيها لهو وباطل ·

« وخلاصة هذه الأضحوكة والأعجوبة معا : أنه بمرور الزمن الطويل الذى لا يتكلمون فيه إلا بالأرقام الهائلة كمئات الملايين تضليلا وتدجيلا ،فيقولون مثلا:عناصر الذرة تلاءمت وتناسبت بمرور ملايين السنين ، والحياة وجدت خليه على الأرض وبمرور ملايين السنين ، كانت الحياة على هذه الصورة من الجمال والكمال ، وليس وراء ذلك إرادة هادفة ، ولا تدبير ، وإنما هى صدف وموافقات تم بواسطتها الكون والحياة ، وقد أقاموا نظريتهم هذه على أساس من الافتراضات الوهمية ، والقياسات الفاسدة التى لا يقبلون مثلها لو قالها غيرهم ، ولأنهم يدعون أنهم لا يؤمنون بغير المحسوس المشاهد غير أنهم خرجوا عن مبدئهم وقالوا بالفروض والقياس تأييدا لترهاتهم ، وأباطيلهم ، وضلال عقولهم فى القول بالصدفة أنها علة الحياة وإرادة التكوين والإيجاد ، كل ذلك هروبا من الإيمان بالله عز وجل ، الذى لم ينكروه ويكفروا به إلا تخلصا من الطاعة والنظام »(١٢٨) ·

حقا : إن المصادفة المزعومة لا تغدوا إلا أن تكون عملا عشوائيا ، وحتى إذا ما حملنا المصادفة مسئولية التوفيق بين الموجودات واللقاء

(١٢٧) المرجع السابق ص ١١٩ ·
(١٢٨) عقيدة المؤمن ص ٣١ ·

العفوى بينها وبين بعضها ، فهى لا تبـدع ولا تخلق ، ولا تهب ولا تمنع ولا توجـد النظـام المعجـز الدائم ، وإلا فهـل بنت المصـادفة قصرا مشيدا ؟ وهـل صنعت سيارة فارهة أو طائرة محلقة ، أو جهازا علميـا رفيـع الصنع هـل سنت القـوانين ... ؟

لقـد نقـل عن أحـد علمـاء الهنـد المسلمين وهـو عناية الله المشرقى أنه سأل الفلكى المشـهور « جيمس جينز » الأسـتاذ بجامعـة كمبردج : ما الذى يدفـع رجـلا ذائع الصـيت مثلك ان يتوجـه إلى الكنيسة ؟ فبـدأ الرجل يلقى محاضرة عن تكـون الأجـرام السماوية ، ونظامها المدهش ، وأبعـادها وفواصلها المتناهية ، وطرقها ، ومداراتها ، وجاذبيتها ، وطـوفان أنوارها المذهلة حتى أننى شـعرت بقلبى يهتـز لهيبة الله — جـل جلاله ، أما السير جيمس فوجـدت شـعر رأسـه قائمـا ، والدموع تنهمر من عينيه ، ويداه ترتعشان من خشية الله ، وتوقف فجـأة ثم بدأ يقـول :

« يا عنـاية الله خان ، عندما ألقى نظرة على روائع خلق الله يبدأ وجـودى يرتعش من الجلال الإلهى ، وعندما أركع أمام الله وأقـول له : « إنك لعظيم » أجـد أن كل جزء من كيانى يؤكدنى فى هـذا الدعاء ، وأشـعر بسكون وسـعادة عظيمين ، وأحس بسـعادة تفـوق سـعادة الآخرين ألف مرة ، أفهمت يا عناية الله لمـاذا أذهب إلى الكنيسة ؟ .

ويضيف العلامة عناية الله قائلا : لقـد أحـدثت هـذه المحـاضرة طـوفانا فى عقلى وقلت لـه « يا سيدى لقـد تأثرت جـدا بالتفاصـيل

العلمية التى رويتموها لى ، وتذكرت بهــذه المناسبة آية من آى كتــابى المقــدس ، فلو سمحتم لى ، بقرائتها عليكم ، فهــز رأسه قائلا : بكل سرور ، فقرأت عليــه الآية التالية :

« ومن الجبال جــدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب ســود • ومن النــاس والدواب والأنعــام مختلف ألوانه كذلك إنمــا يخشى الله من عبــاده العلمــاء »(١٢٩) •

فصرخ الســير جيمس قائلا :

ماذا قلت ؟ إنمــا يخشى الله عباده العلمــاء ؟ مدهش ، وغريب ، وعجيب جــدا !!! إنه الأمر الذى كشــفت عنه دراســة ومشاهدة استمرت خمسين سنة ، من أنبــا محمــدا به ؟ هــل هــذه الآية موجودة فى القرآن حقيقــة ؟

لــو كان الأمر كذلك فاكتب شــهادة منى أن القرآن كتــاب موحى به من عنــد الله •

ويستطرد السير جيمس قائلا :

لقــد كان محمد أميــا ، ولا يمكنه أن يكشف عن هــذا السر بنفسه ، ولكن الله هــو الــذى أخبره بهــذا السر مدهش ! وغــريب ! وعجيب جــــدا ! »(١٣٠) •

وصــدق الله العظيم إذ يقــول :

---

(١٢٩) ســورة فاطــر الآية ٥٣ •

(١٣٠) الإســلام يتحــدى ص ٢١٢ •

« سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »(١٣١) .

ما دور المصادفة حينئذ — كما يزعم الخراصون — فى هذا الكون وما عملها ؟

لقد سخر الفيلسوف الألمانى — إدوارد هارغان — فى كتابه « المذهب الداروني » من أصحاب نظرية المصادفة فقال :

« إن الرأى الذى مقتضاه عدم وجود القصد فى الكون عند الدارونيين لا يقوم عليه دليل ، وهو من الأوهام التى لا أساس لها من العلم(١٣٢) .

وهذا هو سقراط يفحم نظيره « إريستوديم » الذى ينكر الألوهية .

سقراط : أيوجد رجال تعجب بمهارتهم ، وجمال صنائعهم ؟

إريستوديم : نعم أعجب فى الشعر القصصى — بهومير ، وفى التصوير بزوكيس ، وفى صناعة التمثيل ببوليكتيت .

سقراط : أى الصناع أولى بالإعجاب ، الذى يخلق صوراً بلا عقل ولا حراك ، أم الذى يبتدع كائنات ذات عقل وحياة ؟

إريستوديم : طبعا الذى يبدع الكائنات المتمتعة بالعقل والحياة إذا لم تكن من نتائج الاتفاق أى إذا لم تكن موجودة بالمصادفة .

---

(١٣١) سورة فصلت الآية ٥٣ .
(١٣٢) الجواب الإلهى ص ١١٠ الشيخ نديم الجسر .

سقراط : وهل يمكن أن تكون من الاتفاق أن تعطى للأعضاء المقاصد وغايات خاصة – عين ترى ، وأذن تسمع ، وأنف يشم ، ولسان يتذوق ، والعين تحاط بحراسة لحساسيتها وضعفها ، فتقفل عند النوم ، أو عند الحاجة ، وتحرس بالرموش والحواجب ، يجعل الأذن جهاز خارجي يجمع لها الصوت ، وهل يمكن أن يكون كل ذلك من نتائج الاتفاق ؟؟

والميل المودع فى النفوس للتناسل والحنان المخلوق فى قلوب الأمهات بالنسبة للأولاد مع ندرة أن ينفع ولد أباه أو أمه ، والطفل الذى يلهم الرضاعة بمجرد ولادته ، هل يمكن أن يكون ذلك كله من نتائج الاتفاق ؟

إريستوديم : لا . إن ذلك يدل على الابداع ، وعلى أن الخالق عظيم ، يحب الكائن الحى ، ولكن لماذا لا نرى الخالق ؟

سقراط : وأنت أيضا لا ترى روحك التى تتسلط على أعضائك ، فهل معنى هذا أن تقول : إن أفعالك صادرة عن اتفاق وبدون إدراك »(١٣٣) .

الحقيقة التى لا مرية فيها أن العلم برىء كل البراءة من الإلحاد ومزاعمه وترهاته .

إن نشوء الحياة ودوامها يقومان على جملة من القوانين فى غاية الدقة والإحكام ، والعقل يحكم باستحالة كونها جزافا .

---

(١٣٣) العقائد الإسلامية ص ٤٠ .

إن الإنسان على سطح الأرض يستنشق « الأوكسجين » ليحيا به ويطرد « الكربون » الذى ينشأ من إحتراق الطعام فى جسمه .

والنبات الأخضر يأخذ « الكربون » ويعطى « الأوكسجين » وبهذا يبقى التوازن فى طبيعة الغلاف الهوائى الذى يحيا به الحيوان والنبات ، ايحسب عاقل هذا التوافق حدث من قبيل الصدفة .

إن إنشاء الحياة فى أصغر الخلايا ليتطلب نظاما فى غاية الدقة والإحكام ، ومن البلاهة والحمق تصور الفوضى قادرة على خلق جزىء فى جسم دودة حقيرة ، فضلا عن أجهزتها المختلفة ، فما بالنا بهذا الإنسان العجيب الكيان والبنيان ، ثم ما بالنا بهذا العالم الفسيح ...(١٣٤) .

ويمكننا الآن نلقى نظرة على دليل الحدوث ، ودليل الوجوب ، ودليل الاتقان .

١ — دليل الحدوث وترتيبه هكذا :

العالم متغير ، فهو إذن حادث ، وكل حادث لابد له من محدث (أى موجد) ولا يجوز أن يكون الموجد حادث ، لأنه لو كان حادثا لاحتاج إلى محدث ، وإحتاج المحدث إلى محدث وهكذا فيلزم الدور والتسلسل وهما باطلان ، لأنهما ممتنعان عقلا ، وإذا ثبت بطلان الدور والتسلسل ثبت أن الموجد الخالق لابد وأن يكون قديما ، ولابد وأن يكون عليما حكيما ، قادرا مريدا ، إذ خلق هذا العالم العظيم مفتقر إلى علم وحكمة وقدرة وإرادة ، وهذا الخالق هو الله رب العالمين .

---

(١٣٤) يراجع عقيدة المسلم ص ٢٢ .

٢ ـ دليـــل الوجـــوب وترتيبه هكذا :

العقل يحكم بداهـــة بأن معنى الوجـــود ينحصر فى ثلاثة أحوال الوجـــوب ، والإمكان والاستحالة ، والممكن لابد لـــه من مرجح يرجح وجـــوده على عـــدمه ويخرجـــه من العـــدم إلى الوجـــود ، وهـــذا المرجح لا يجـــوز أن يكـــون من ذات الممـــكن ، لأنه لـــو كان من ذات الممكن لترتب على ذلك ثلاثة أمور :

(أ) أن يكون الممكن واجب الوجـــود لذاته ٠

(ب) أن يكون الواجب للوجـــود لذاته ممكنا ٠

(جـ) أن يكون هنـــاك ترجيح لبعض الممكن على بعضه الآخر بدون مرجح ، وذلك باطـــل ، فلابد أن يكون الموجـــد خارجا عن الممكن لأنه لـــو كان من جنس الممكن لاحتاج إلى موجـــد ، ويستمر الحال على ذلك فيلزم الدور والتسلسل وهما باطلان ، وإذا ثبت بطلانهما ثبت أن الموجد للعـــالم واجب الوجـــود لذاته وصـــدق الله إذ يقـــول « **وربك يخلـــق ما يشـــاء ويختـــار** »(١٣٥) ٠

دليـــل الإتقـــان :

وتوضيحه : أن ما نشاهده فى الكـــون من إبداع وإختراع وتنظيم وإتقـــان وإحكام وتقـــدير ٠٠ يدل على العلم القـــدرة والحكمة والإرادة ، ولا يجـــوز عقلا أن يكون من عمل المـــادة الصماء أو المصادفة الهوجاء ،

---

(١٣٥) ســـورة القصص الآية ٦٨ ٠

فلابد إذن من خالق ، ولابد أن يكون هــذا الخالق عليمــا حكيمــا قادرا مــريدا ٠٠٠ ٠

وهــذا الدليل ينطوى على البداهــة والبساطة ، وكل ما فى الأمر : هــو أن يعمل الإنسان فكره ، فينظر إلى صــنع الله ، وآياته المنبثة فى الكون ، بل ينظر فى نفسه فيجــد دقــة التدبير والعناية والنظــام ، ويتأمل من وضــع فيــه هــذا النظام الدقيــق ، هــل هــو الإنسان نفسه ، أم الطبيعة ، أم الصــدفة ، أم هــو خالق الحياة المدبر الحكيم ، المتصرف بإرادة كاملة لــكل شىء فى الكون ؟(١٣٦) ٠

وبعــد أن وضحنا موقف الدين والعلم من قضــية حــدوث العالم يمكننا القول بأن مسألة حــدوث العالم قــد برهن عليها الوحى الإلهى ، وجاء رأى العلم الحــديث مؤيدا لهــذه القضية ، وأيد رأى المتكلمين فى قــولهم بحــدوث العالم ، ذلك أن هــدفهم الأكبر هــو إثبــات الكمال لله ــ ســبحانه ــ وإبعــاد النقص عن ذاته العليــه ، وقــد ســدد الله فكرهم وكشف لهم عن لوامــع الأدلــة التى أوصلتهم إلى الحقيقة التى ينشــدونها(١٣٧) ٠

ولا يفــوتنا هنا أن ننبه إلى مقــولة « جالينوس » التى ذكرناها فى بداية هــذا الفصــل حيث ذكر أنه لا يمكن الإدلاء برأى قاطــع فى هــذه المسألة نقــول : أن هــذا الرجل فى الوقت الذى كان ينشد فيــه

(١٣٦) دراسات فى العقيدة الإســلامية د٠ أحمد أبو السعادات ص ٣٠٤ وما بعــدها بتصرف ٠

(١٣٧) قضــية التوفيق بين الدين والفلسفة ص ٦٢ د٠ محى الدين أحمد الصــافى ــ مكتبة الأزهر ٠

الحقيقة لم يجد الوحى الإلهى ، الذى يهديه إلى الحقيقة القاطعة ، أما وقد وجد الوحى فلا مجال لهذا الشك والتردد على الإطلاق ·

ولا نتفق أيضا مع الشيخ محمد عبده ، الذى حاول أن يلتمس الأعذار لمن قالوا بقدم العالم ، فبينا أنهم سلكوا طريق الاجتهاد ، فنحن نعلم أن الاجتهاد إنما يكون فى المسائل التى لا نص فيها ، أما وقد وجد النص الذى وضح الحقيقة فلا داعى حينئذ لتلمس الأعذار لأولئك القائلين بقدم العالم ·

وفى النهاية نستطيع القول بانه ما دام أن العلم والعقل قد أثبتا خلق العالم وحدوثه ، فقد بطلت كل الفروض الواهية حول هذه القضية ، وثبت أن لهذا الكون خالقا ومدبرا حكيما ، وهذا هو مقتضى العقل والمنطق السليم(*) ·

(*) يراجع : العقائد الإسلامية ص ٣٧ ·

نهـــاية العـــالم بين الدين والعـــلم

لقـــد أعطى القرآن الكريم صـــورا واضحة عن نهاية هـــذا العالم ، وترك زمن حـــدوث ذلك إلى علم الغيب ، فحين ينتهى هـــذا العـــالم ســـوف يضطرب نظام هـــذا الكـــون ، وتنفطر السماء ، وتدك الأرض وتنطمس النجـــوم إلى غير ذلك من المشاهد التى سنوجز الكلام عنهـــا من خـــلال القرآن الكريم .

١ — إرتجـــاح الأرض وزلزلتهـــا :

فى كثير من الآيات نرى توضيح هـــذا المشهد يقـــول تعالى :

« إذا وقعت الواقعـــة . ليس لوقعتها كاذبة . خافضـــة رافعة . إذا رجت الأرض رجا . وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثا »(١٣٨) .

ويقـــول ســـبحانه :

« واستمع يوم ينـــــادى المنـــــاد من مكان قريب . يوم يسمعون الصـــيحة بالحـــق ذلك يوم الخروج . إنا نحـــن نحـــى ونميت وإلينـــا المصير . يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير »(١٣٩) .

فالأرض ترج ، وتضـــطرب وتتشقق ، لتخرج ما فى باطنهـــا من مخلوقات فيقوم الخـــلائق لفصـــل القضاء .

أما الزلزال ، فهـــو يصور الحركة الشديدة المضطربة التى تعرض

---

(١٣٨) ســـورة الواقعـــة الآية ١ — ٦ .

(١٣٩) ســـورة ق الآية ٤١ ، ٤٢

الأرض ، وهـــذه الحركة يتبعها التحطم والتكسر ، ولفظ ما فى باطنهـــا كما جاء فى قـــوله تعالى :

« إذا زلزلت الأرض زلزالهـــا • وأخرجت الأرض أثقـــالها وقـــال الإنسان مالهـــا • يومئذ تحـــدث أخبارها • بأن ربك أوحى لها »(١٤٠) •

وقـــد روى عن أبى هريرة — رضى الله عنه — قال : قرأ رســـول الله — ﷺ — هـــذه الآية **« يومئـــذ تحـــدث أخبـــارها »** ثم قال « أتدرون ما أخبارها » ؟ قالـــوا : الله ورســـوله أعلم قال : فإن أخبارها أن تشهد على كل عبـــد وأمة بمـــا عمل على ظهرها ، بأن تقـــول : عمـــل كذا وكذا يوم كذا وكذا ، فهـــذه أخبارها »(١٤١) •

وزلزال الأرض هـــذا لا يماثله زلزال آخر فى شـــدته وهـــوله ، ومن شـــدته تذهـــل الأم عن رضيعها ، مـــع ما جبلت عليه من الحنـــو والحب ، والنساء الحـــوامل يسقطن ما فى بطـــونهن من شدة الهـــول ، بل إن النـــاس يكادون يفقـــدون عقـــولهم ، فيغـــدون وكأنهم ســـكارى يقـــول تعالى : **« يأيهـــا النـــاس اتقـــوا ربكم إن زلزلـــة الســـاعة شىء عظيم • يوم ترونهـــا تذهـــل كل مرضعة عمـــا أرضعت ، وتضـــع كل ذات حمـــل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عـــذاب الله شـــديد »**(١٤٢) •

---

(١٤٠) ســـورة الزلزلة الآية ١ — ٥ •
(١٤١) رواه أحمـــد فى مسنده •
(١٤٢) ســـورة الحج الآية ١ ، ٢ •

أما عن الجبال الشامخة فإنها تكسر ، ويصيبها الاضطراب كما يصيب الأرض ، يقــول تعالى :

« ويسألونك عن الجبال فقــل ينسفها ربى نسفا ، فيــذرها قاعــا صفصفا ٠ لا ترى فيها عــوجا ولا أمتا »(١٤٣) ٠

ومعنى هــذا : أن الجبــال تقتلع من أصولها ، ثم تصير كالرمل المتناثر ، أو كالصــوف المنقوش الذى تفرقه الرياح »(١٤٤) ٠

وفى موضــع آخر يقــول سبحانه :

«ويوم نسير الجبــال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغــادر منهم أحيرا » ٠

ومن هنــا يتبين لنــا حال الجبال فى هــذا اليوم ، حيث تبــدو ســائرة مقتلعه من أماكنها ، وتتطاير فى صورة تؤهلها للتناثر والانتفاش كما يقول تعالى : **« وتكون الجبال كالعهن المنقــوش »**(١٥٤) ٠

٣ ــ اختــلال نظــام السماء :

مشاهد الاضطراب الكونى واختلاله كفيلة بأن تمــلأ نفــوس البشر رهبة وهيبة ، والحقيقة أن أكثر هــذا الاضطراب يقع للأرض والسماء والجبــال والبحار والشمس والقمر ، كما هــو واضح فى سورة : التكوير والانفطار ، والانشقاق ، وقــد تنوعت هــذه المشاهد فى القرآن الكريم، فالأرض والجبــال فى سورة المزمل ترجف ، والأرض والجبال فى سورة

---

(١٤٣) ســورة طــه الآية ١٠٥ ــ ١٠٧ ٠
(١٤٤) تفسير الوســيط ص ١٩٠ جـ ٨ ٠
(١٤٥) ســورة القارعــة الآية ٥ ٠

الحاقــة تحمــل وتــدك دكــة واحــدة .... هــذا بالنسبة للأرض فما هــو حال السماء ؟ إن السماء فى هــذا اليــوم تضطرب وتنشق ، وتمــور مورا كما يقــول سبحانه :

« يوم تمــور السماء مورا »(١٤٦) أى تضطــرب وتجىء وتذهب او تتحرك فى تمــوج(١٤٧) .

أما النجــوم فيصيبها الخلل بعــد اختلال النظــام كونى ، فبعد انهيار السماء ومورها مورا عظيما تتغير حال النجوم ، فتنطمس قــال تعــالى : **« إنمــا توعــدن لواقع . فإذا النجــوم طمست ... »**(١٤٨) وانطماس النجــوم يجعلها تفقــد الضــياء والنــور ، لأنهــا تتغير ، وتمحى معالمها تمــاما ، وهــذا ما أكدته آيات اخرى كقوله جل وعلا :

« إذ الشمس كورت . وإذا النجوم انكدرت .... »(١٤٩) .

والإنكدار يعنى التساقط والتناثر(١٥٠) .

وممــا لا شك فيــه أن تغير النجوم بتلك الصورة المحزنة ناتج عن اضطراب الكون ، وصور السماء وانكفائها ، لان كدرة النجوم تدل على اضطراب سريع فى نظام سيرها ، وهــذا الاضطراب هــو الذى يؤدى بهــا إلى الإنهيار السريع والتناثر كما جاء فى قــوله تعالى :

---

(١٤٦) ســورة الطــور الآية ٩ .
(١٤٧) الكشاف للزمخشرى ٤/٢٣ ــ ط الحلبى ــ مصر .
(١٤٨) ســورة المرســلات الآية ٧ ، ٨ .
(١٤٩) ســورة التــكوير الآية ١ ، ٢ .
(١٥٠) تفسير ابن كثير ٤/٤٨٥ .

« إذا السماء انفطرت ٠ وإذا الكواكب انتثرت ٠ وإذا البحار فجرت »(١٥١) ٠

إن هذه الآيات كلها تنبىء بأن نهاية هذا العالم ستكون نهاية مروعة ، رج ، ودك ، ونسف ، وانفجارات ، إنها صور مفزعة ، وجرسها فى الحس يعطى معنى الجد والصرامة والحق والاستقرار ، ويبرز مشاهد نهاية العالم الرهيبة ، وهذا الإنسان مشدود مأخوذ ، يلهث فزعا ورعبا ، ودهشة وإضطرابا(١٥٢) ٠

ومع ملاحظة أن هذه الأحداث الكونية سوف تأتى بعد تقدم الحضارة بشكل يجعل الإنسان قادرا على أن يحقق الكثير ، ويصل إلى قمة التقدم التكونولجى يقول تعالى :

« إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون »(١٥٣) ٠

---

(١٥١) يراجع : الدار القرار فى البيان القرآنى ص ١٩ — ٣٣ د٠ حامد صادق قنبى — ط دار الإصلاح — السعودية ٠

(١٥٢) اليوم الآخر فى ظلال القرآن ص ١٥٨ ، ١٥٩ أحمد فائز مؤسسة الرسالة — مصر ٠

(١٥٣) سورة يونس الآية ٢٤ ويراجع : كتاب مشاهد القيامة لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ٠

موقف العلم الحديث من نهاية العالم

بادىء ذى بدء نقول : إن القول بحدوث العالم يستلزم القول بنهايته وفنائه لأن الفناء فرع الحدوث ، وقد أوضحنا من قبل(١٥٤) أن العلم الحديث قد أثبت حدوث العالم ·

والعلم الحديث يعد قضية « أزلية وأبدية المادة » علامة من علامات الفكر الالحادى وقد أثبت العلم نفسه انهيار هذه النظرية الالحادية ، فهذا هو العالم الأمريكى « إيزفنج وليام نوبلوتشى » يقول :

« ·· فعلم الفلك — مثلا — يشير إلى أن لهذا الكون بداية قديمة ، وأن الكون يسير إلى نهاية محتومة ·

وليس مما يتفق مع العلم أن نعتقد أن هذا الكون ليس له بداية أو أبدى ليس له نهاية ، فهو قائم على أساس التغير »(١٥٥) ·

ويقول « جوستاف ليون » فى محاضرة ألقاها ١٩٠٧ م عن اكتشافه الذى أشار إليه (جورج يوهن) : « إن علم الأمس كان مؤسسا على أبدية المادة ، لكن علم اليوم سيتأسس على قبولها للفناء ، وسيكون غرضه الأول إيجاد وسائل سهلة لزيادة إنحلالها »(١٥٦) ·

والعلم الحديث — كما أشرنا من قبل —(١٥٧) يؤكد على أن

---

(١٥٤) انظر ص ٩٥ ·
(١٥٥) الله يتجلى فى عصر العلم ص ٥٣ ·
(١٥٦) الفكر المادى الحديث وموقف الإسلام منه ص ٥٠٠ ، ٥٠١ ، نقلا عن كتاب ، أطلال المذهب المادى لمحمد فريد وجدى ص ٥٥ ، ٥٦ ·
(١٥٧) انظر ص ٩٥ من هذا الكتاب ·

الطاقــة والمــادة فى فنــاء مستمر ، وانها حتما ذاهبة إلى النهاية ٠

وتؤكد الفيزياء الحــديثة قابلية فنــاء المــادة ونهايتها ، حيث صرح الدكتور « جــورج جاموف » أســتاذ الفيزياء النووية قائلا :

« إن ميكانيكا النسبية تؤدى إلى احتمال وجــود عالمين مختلفين :

أحــدهما : موجب وهــو الذى نعيش فيــه ٠

والثــانى : غريب سالب ، وهــو لا سبيل لــه سوى تحــــدى إعتراض سبيل تصوراتنا وأحــلامنا ٠

وكتلة الأجسام فى هــذا العالم السالب هى بدورها ســالبة كذلك ومعنى ذلك : إنها عندما تدفــع فى إتجاه معين تتحرك فى الاتجــاه المضاد ، وبطريقة التشابه او المقــارنة نستطيع أن نطلق على الكهارب التى لهــا كتل سالبة « الكهارب البليدة » ٠٠٠ ونظرا لإمكان وجــود البروتــونات والنيــوترونات والكهارب التى تتكون منها ذرات المــادة العادية وظهورها جميعا فى الحالات المضادة ، فإن ذلك يعنى إمكان وجود المــادة المكونة من هــذه الجسيمات ٠

ومن اللازم أن تكون جميع الصفات الكيماوية والطبيعية للمــــادة المضادة هى عينها صفات المــادة العادية ٠

والسبيل الوحيد الذى نستطيع به أن نقــرر أن حجــرين يتكونان من مادتين متضادتين فيمــا بينهما هــو ضمهما معــا ، فإذا لم يحــدث شىء فهما من نفس النــوع المــادى ، أما إذا حــدثت بينهما عمليــة إفنــاء ذريعة فهما من مادتين متضادتين ٠

فهــل مادة الكون بأسره من نفس النــوع أم أن هناك أرجاء من

نوع مادتنـــا وأخرى من المـــادة المضـــادة موزعة هكذا حسبما اتفق عبر الفضـــاء اللانهـــائى ؟

هنـــاك رأى قـــوى بأن المـــادة المنتشرة فى مجموعتنا الشمسية والتى تدخـــل فى نطـــاق الطريق اللبنى « طريق التبانه » هى من نوع واحـــد متجـــانس ٠

ولكن السؤال هـــو : هـــل أقرب المجرات لنـــا فى الفضـــاء مثل ســـديم أندروميدا العظيم ، وهـــل مئات ملايين مجرات النجوم الأخرى المتناثرة فى الفضـــاء تتكون كلهـــا من نفس النـــوع من المـــادة أم هى خليط مكون من ٥٠٪ من كل المـــادتين ؟

وإذا كانت جميع مادة الكون من نوع واحـــد ، فلمـــاذا لا يكون الأمـــر هـــكذا ؟

وإذا كان بعضها من المـــادة العـــادية ، وبعضها الآخر من المـــادة المضـــادة ٠٠ فكيف تم فصل هـــذه الأجزاء بعضها عن بعض »(١٥٨) ٠

ويتصـــدى للإجابة عن هـــذا السؤال الدكتور يحيى هاشم فرغلى قائلا :

« ٠٠٠ إذ هنـــا ينبغى أن نستنبط دليـــلا على وجـــود الله يمكن أن نسميه دليـــل الإمساك : أو دليل إمساك المـــادة من الفناء ٠

فحوى هذا الدليل : أنه ما دام أن الفيرياء الحديثة تثبت أن المـــادة

(١٥٨) الإســـلام والاتجاهات العلمية المعاصرة ص ١٤٨ ، ١٤٩ د٠يحيى هاشم حسن ـــ ط دار المعارف وهـــو ناقـــل عن كتاب : قصـــة الفيزياء ص ٣٦١ لجـــورج جاموف ترجمة د٠ جمال الدين الفندى ـــ دار المعـــارف ١٩٦٤ ٠

لهـا قابلية مستمرة للفنـاء ، وأن هـذا الفنـاء يحـدث عندما تلتقى بمـادة أخرى تماثلها تمـاما فى جميع الصفات ، وأن شـيئا ما يحـدث آنذاك ، لا يعرفـه العلم إلا عند حـدوثه ، فيسمى بعض هـذه المـادة (مادة عادية) ، وبعضها الآخر (مادة مناقضة) .

فهـذا يدل على أن عامل الحفظ وارد من خارج المـادة ، كما يدل على أن عامل الإفنـاء وارد من خارجها كذلك : وهـو الله — سبحانه وتعالى — وهـو مصداق قـوله تعالى :

« إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتـا إن أمسكهما من أحـد من بعـده »(١٥٩) .

ويقـول السير آثر أوبختـون :

(إن فترة ١٣٠٠ مليـون سنة تعتبر زمنا قصيرا فى تاريخ الكون)

فإذا أضـفنا ذلك كلـه إلى ما تقرر عن تناهى الكون حجما كان لابد أن نستنتج أن الكون متناه أيضـا زمنيا .

وهـذا ما عبر عنـه آرثر قائلا :

« ويعنى ذلك بالتالى أننـا لا نستطيع أن نرجـع القهقرى فى الزمن إلى ما لا نهـاية (١٦٠) .

وكلمـا اتسع نطـاق العلم إزدادت البراهين الواضحة على بداية هـذا الكـون ونهايتـه .

وقـد جاء فى جريدة الأهرام تحت عنوان « الكون ليس نهائيا ، ويتقلص ثم ينفجر فى وقت ما فى المستقبل » — ما ملخصه :

---

(١٥٩) سـورة فاطـر الآية ٤١ .
(١٦٠) المرجـع السـابق ص ١٠١ .

رغم التقدم العلمى المذهل الذى وصل إليه الإنسان فما زال الكون يموج بالأسرار ، ويبوح من وقت لآخر منها ، فمنذ أيام توصل العالم الاسكتلندى « مايك هوكنز » إلى اكتشاف وصفته الدوائر العلمية بأنه أهم اكتشاف علمى فى مجال أبحاث الفضاء خلال السنوات العشر الماضية ، وربما خلال القرن العشرين ، وهو عبارة عن أجسام معتمه فى الكون يعادل حجم بعضها حجم الكرة الأرضية ألف مرة .

وقال الدكتور « هوكنز » : إن الدراسات التى أجراها حول هذه الأجسام أوصلته إلى دليل يبرهن على أن الكون ليس نهائيا ، وأنه سوف يتوقف عن التمدد فى وقت ما .

وكان العلماء قبل هذا الاكتشاف يقفون فى حيرة أمام التناقض الذى أوجدته أمامهم معرفتهم بالكتلة المرئية من الكون المتمثلة فى النجوم والكواكب والمذنبات وبين الكتلة غير المرئية التى تعتبر ضرورية لأحداث الحركة المحسوبة فى الكون .

وقد توصل الدكتور « هوكنز » من خلال الأبحاث التى قام بها بتحليل الصور التى حصل عليها من مراصد استراليا وأدنبره إلى أن الأجسام المعتمة تشكل ٩٠٪ من الكتلة المفقودة فى الكون ، وأن الكون يحتوى على عدد هائل من هذه الأجسام المعتمة والتى تبين أن بها قدرا كبيرا من الكثافة يكفى لتوقف تمدد الكون فى وقت ما فى المستقبل ، وإذا حدث ذلك فإن الكون سوف يبدأ فى التقلص ، وسيحدث فيه إنفجار داخلى يولد حركة معاكسة لحركة الإنفجار الكبير الذى نشأ الكون كنتيجة له .

وقال الدكتور « هـوكنز » فى تقرير علمى نشرته صحيفة « ذى سكتسمان » : إن المشكلة التى كانت تواجه العلماء فى الماضى تكمن فى صعوبة تجديد هوية هذه الأجسام المعتمة ، لأنها مظلمة أساساً وأمكن بالطرق العلمية المتطورة رصدها .

وقد علق الدكتور « هارفى مكجيلقرى » رئيس وحدة أبحاث الكون فى مرصد أدنبره الملكى على هذا الاكتشاف بقوله : إنه أهم اكتشاف فى مجال أبحاث الفضاء خلال عشر سنوات وربما القرن القرن الحالى .

ومعناه : أننا لأول مرة نتمكن من رصد مكونات الكتلة المفقودة من الكون ، وأن هذه الخطوة التالية ستكون دراسة هذه المادة وإن كانت الأبحاث الأولية تشير إلى أنها ربما تكون من نفس العناصر المعدنية التى تتكون منها الكواكب مثل المشترى وزحل(١٦١) .

ويؤكد « فرانك كلوز » أستاذ علم الفلك فى كتابه « النهاية » أن زوال المادة أمر اكيد ، وأنها سوف تضمحل ، ولن يبقى فيها شىء ، ولما كان هذا يتطلب أن نكتشف قوانين حتى الآن مجهولة لنا ، فإننا لا نملك الآن أى فكرة عما إذا كان هذا ممكناً من حيث المبدأ ، وبالتالى يكون من الواقعى أن نفكر فى هذا الأمر(١٦٢) .

والحقيقة أن العلم الحديث لا صلة له بعلامات الساعة

(١٦١) جريدة الأهرام القاهرية ١٩٩٣/١١/٢ .

أو الأحــداث الكونية للقيامة التى تحــدث عنها القرآن الكريم ، فالمنهج الذى يعتمد عليــه العلم هــو منهــج حسى تجريبى ، أما منهج القرآن الكريم فهــو منهــج سمعى ·

وإذا كانت كثيرا من أبحاث الفضاء والفلك والفيزياء قــد كشفت عن بعض الظواهر التى تتفق مــع العلامات الكبرى للقيامة ، فلا مجال إطلاقا لإنكارها من قبــل العلم ·

وهكذا نجــد أن العلم الحــديث يشير — رغم قــدرته المحدودة — إلى ما يمكن أن يكون عليــه الكون فى النهاية وإن لم يكن — فى حقيقة الأمر — ينطبق تمــاما مــع ما أوضحه وبينه القرآن الكريم ، ونحــن لا نعــده إلا من باب الاستئناس فقط ، ولسنا فى حاجــة على الإطلاق إلى العلم لتقــوية عقيدتنا وإثباتها ، ذلك أنها يقينيه وثابته لأنهــا من لدن حكيم خبير (١٦٣) ·

● ● ●

(١٦٢) النهاية : الكوارث الكــونية وأثرها فى الإنسان والكون ص ٢٥٤ تأليف فرنك كلوز ترجمــة مصطفى إبراهيم فهمى — عالم المعرفة — الكــويت ·

(١٦٣) راجــع : حــولية كليــة أصــول الدين العــدد السادس ١٩٨٩ ص ٣٦٢ ، ٣٦٣ ·

السنن الكونية بين العلم التجريبى والدين

إن الإنسان العاقل حقا هو ذلك الإنسان الذى يفتح بصره وبصيرته للتفكر فى خلق الله والنظر فى صفحات هذا الكون ، والإنسان الغافل هو من أغلق قلبه وسمعه وبصره وبصيرته عن تلك الآيات المبثوثة فى هذا الكون الفسيح ٠

« وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون »(١٦٤) ٠

وبعض هؤلاء الغافلين الذين يتعمقون فى البحث المادى والطاقة لا يرتفعون بهذه المعرفة عن الجوانب الظاهرة السطحية فلا ينفذون إلى الأسرار الخفية التى أودعها الله — سبحانه — فيما خلق ٠

« يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون »(١٦٥) ٠

إن قلبا لا يرى آثار قدرة الله فى كل شىء لقلب أعمى **« فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »(١٦٦) ٠**

أن الكون ذاته يستلفت النظرة فى كل شىء ، ولقد درسه المؤمنون والكافرون على السواء ، وليس هناك من فارق بين الطرفين فى العلم بذلك ، وإنما الفرق باستعمال العقل وقوانينه الوصول إلى ما وراء الكون ٠

---

(١٦٤) سورة يوسف الآية ١٠٥ ٠
(١٦٥) سورة الروم الآية ٧ ٠
(١٦٦) سورة الحج الآية ٤٧ ٠

ومشكلة العبور من الظـواهر الكونية إلى خالقها تمثل الفرق الأساسى بين العلم التجريبى المؤمن وغير المؤمن ، ذلك أن الإنسان بطبعه بغض النظر عن الإيمـان والكفر — يمج الفوضى ، ويميل إلى التنظيم والوضوح والتأثيرات التى يتعرض لهـا صباح مساء ، ومن أكثر الأشياء التى تهـز قلب المؤمن ، هـو التعرف على النواميس الإلهيـة فى دقيق صنع الله ، سـواء كان ذلك فى إكتشاف اللغـة الكيمائية لنملة صغيرة أو فى تعرف على مدار جرم سماوى هائل(١٦٧) .

يقول الأستاذ سيسل هامان أستاذ الطفيليـات الحيوانية :

« ... وماذا عن عش طائر بالتيمور ؟ من الذى علم هـذا الطير ذلك الفن الرفيـع ؟ ولمـاذا تتشابه جميع الأعشاش التى تبنيها الطيور من هـذا النـوع ؟

إذا قلت الغريزة فإن ذلك يعـد مخرجا من السؤال ولكنه إجابة قاصرة فمـا الغرائز ؟

يقـول البعض : إنه السلوك الذى لا يتعلمه الحيوان ، أليس من المنطق أن نرى قـدرة الله تتجلى فى هـذه الكائنات التى خلقها فسواها تبعا لقوانين خاصة لا نكاد ندرى نحن عن كنهها شيئا »(١٦٨) .

إن كل ما يقع تحت نظر الإنسان يشير إلى قدرة الخالق — سبحانه وتعالى — فالبذور الصلبه والحبوب الجافة تنفلق تحت الأرض ليخرج منها

---

(١٦٧) يراجع : التفكر من المشاهدة إلى الشهود ص ٩٣ — ٥٩ د. مالك البـدرى دار الوفاء للطباعـة والنشر ١٩٩٠ .

(١٦٨) الله يتجلى فى عصر العـلم ص ١٤٠ .

النبات فيندفع الجذر إلى سفل، ثم يرتفع الساق والأوراق إلى أعلى والإنسان لا دخل لـــه فى هـــذا كله ، بل إن النبات لا إرادة لـــه فى أمره ، وكلها ـــ تسقى بمـــاء واحـــد ، وتخرج ـــ بالرغم من ذلك ـــ على عـــدة أنواع وأشـــكال وألوان وطعوم ورائحـــة ، بل إن ذلك الطين الأســـود الكالح السواد يخرج قطنـــا أبيضا ناعما ، والرائحة العفنة فى الأرض السبخة تخرج زهرات عطرة ، وأملاح التربة الكريهة تخرج تلك الفواكه الحـــلوة اللذيذة الطعم والمـــذاق وما أخطـــأت الحبة مرة واحـــدة ، ولا تغـــير الثمر ، ولا ضـــل جـــذر طريقه ، ولا غير ســـاق سبيله (١٦٩) .

والحيوان يأكل طعـــامه ، ويتخمر الغـــذاء فى معـــدته ، ويتغير شـــكله ولونه ورائحته تعافها النفس ، ثم نجـــد القـــدرة الألهية تخرج من بين ذلك كلـــه لبنا أبيضا ســـائغ الطعم مفيدا لجسم الإنسان (١٧٠) .

وعندما اكتشف العلم الدورة الدموية ، وأمكن متابعة مسارها ، ثم استطاع الإنسان أن يحـــدد إتجاهها أوصله ذلك كلـــه إلى ما لم يستطع معرفته أو تعليل سببه ، ألا وهـــو كيف يضرب القلب ولمـــاذا ؟ ومتى كانت ضربته الأولى ؟

إن كل جانب من جانبى القلب يعمل فى إتساق عجيب ، إذ تنقبض الغرفتان العلويتـــان فيـــه معـــا ، ثم تنبســـطان ، وبعـــد ذلك تنقبض

(١٦٩) كيف ولمـــاذا ص ٤١ د. عبد الرازق نوفل ـــ دار الكتاب العربى ١٩٨٨ .

(١٧٠) المرجـــع الســـابق نفس الصفحة .

الغرفتان السفليتان ، ثم ينبسطان ، ومتوسط عـــدد الضربات يصـــل إلى سبعين مرة فى الدقيقة ، أى أن القلب يدق يوميا ما يزيد عن مائة الف دقة فى اليوم الواحـــد ، فكم تبلغ دقاته فى شـــهر أو فى عام ، أو فى العمر كلـــه ؟ ولا يعرف الإنســـان لمـــاذا تزداد الدقات حينما ترتفـــع حرارة الجسم ، أو إذا أصـــابه شىء ، ولا يعرف فى نفس الوقت لمـــاذا تقـــل أثنـــاء النـــوم والراحـــة ٠

ولقـــد عرف الإنسان تركيب الرئة ، لكنه لم يهتـــد إلى سر عملها ، والإنســـان يتنفس ســـت عشرة مـــرة فى الدقيقـــة الواحـــدة ، دون أى تدخـــل منه ، ويزيد العـــدد عند بذل أى مجهود ، ويقـــل فى وقت الراحـــة دون أى تدخـــل منه ، ولم يجـــد العلماء أى سبب علمى أو منطقى أو ميكانيكى عضوى أو عصبى لهـــذه العملية العجيبة المعقدة ، ذلك أن عضلات الحجاب الحاجز تنقبض ، وتهبط هـــذا الحجاب إلى أســـفل ، ثم تجـــذب العضلات الأضلاع إلى أعلى وإلى الخارج ، ويكبر القفص الصـــدرى ويتسع لتتمـــدد الرئة ، ونتيجة لزيادة حجم الفراغ بداخلها يندفـــع إليها الهـــواء من الخارج ، ثم يحـــدث العكس لطـــرد الهـــواء من الداخـــل ، الذى يخالف فى تركيبه الهواء الداخـــل ٠٠٠ إنها قـــدرة الله ، وإرادته وحكمته (١٧١) ٠

إن الإنسان إذا أراد يلتقط إبرة من الأرض ، فلابد أولا أن ينظر إلى مكانها ، وهنا يحـــدد المخ هـــذا البعـــد تحـــديداً دقيقا بلا أدنى نسبة ،

---

(١٧١) المرجـــع الســـابق ص ٤٢ ٠

ثم تصـــل صورة الإبرة إلى المخ فيعـــد لهـــا ، ويعطى إشارته للعـــين ، ويحـــدد لهـــا المكان بالضبط ، ويتلقى من العين الإجابة ليعطى إشارات أخرى إلى الرأس بأكملها ، وكذلك أيضا إلى الرقبة والكتف والظهر والعجز والساق والقـــدم ، ثم الذراع واليـــد والأصابع ٠٠ إذ كل هـــذه الأجزاء لابد أن تشترك فى التقاط الإبرة ، كل فى تخصصه ، ولا يمكن أن يتحرك أى جزء من هـــذه الأجزاء إلا إذا تحركت العظـــام ، وهى لا تتحرك إلا بالعضلات ، والعضلة لابد لها من أمر صادر من المخ ، إذ هـــو الذى يأمر بالحركة ، ويقـــدر كميتها واتجاهها ووزنها ، كما أنه لابد من تناسب حركات كل هـــذه الأجزاء مـــع بعض ٠٠ وفى كل هـــذه الحالات يرسل المخ إلى الأعضاء المختلفة أوامره ٠

إن كل هـــذا يدعـــونا إلى النظر إلى أى شىء وإلى تدبر أى أمـــر لنرى من خلال هـــذا كلـــه حكمة الخالق — سبحانه وتعالى — القـــائل فى كتابه الكريم « **إن الله عليم قـــدير** »(١٧٢) ٠

يقـــول الدكتور مصطفى محمـــود :

« أن وقفـــة أمام نملة صغيرة لمـــا يثير الذهـــول ٠ كيـــف تعلمت هـــذه النمـــلة أن تبنى بيـــوتها الهندسية المعقدة ذات الدهاليز والقرى ، والبـــدرومات والمخازن ؟

كيف انتظمت فى مجتمع فيه توزيع دقيق للاختصاصات والوظائف ؟ كيف تعلمت أن تجلب حشرة أخرى مثل حشرة المـــن وتسوقها أمامها فى قطعان ؟ إن اتصال هـــذه الأعـــداد الهائلة من النمـــل فى مجتمـــع ذى

---

(١٧٢) ســـورة الشورى الآية ٥٠ ، وينظر المرجع السابق ص ٤٢ ، ٤٣ ٠

نظـــام معناه : أنها اكتشفت بينها وبين بعضها نوعا من اللغــة والتفاهم ، وآخر البحـوث فى هـــذا الباب يقـــول :

إن النمـــل يتفاهم مـــع بعضه البعض ليس بالإشارة ولا اللغـــة المنطوقة ولكن بلغـــة كيمـــاوية ٠٠٠ راقب عش النمـــل فسوف ترى بين وقت وآخر نملتين تلتقيان وتتبادلان ما يشبه القبلة والوشوشة وفى الواقع إنها ليست قبلة ولا وشوشة وإنمـــا كل نمـــلة تفرز فى فم الأخرى لعـــابا خاصا فيه رمز كيميائى معين معناه ٠٠٠ فلنفعل كذا وكذا ، شىء آخر فى النمـــل لا يمـــكن أن نسميه العقـــل إنمـــا شىء كالبصيرة ٠٠ أن تقـــوم النملة بخزن الطعام والحبوب والفتات والفضلات ، وتقـــوم بحراســـتها والسهر عليها والدفاع عنها ضـــد المغيرين تأهبا لفصل الشتاء الذى لم يقبل بعـــد ٠٠٠ ودون أن تكون عندها قـــدرة عقلية ولا خيال لتصور المستقبل وظروفه واحتياجاته كيـــف !! ؟ »(١٧٣) ٠

إن الفكر البشرى مدعـــو إلى النظر والتفكر والاعتبار ، لأن الله — سبحانه — جعل هـــذا الكون كلـــه معرضا لآيات الإيمـــان ، وصفحة مفتوحة للحواس والقلوب تبحث فيها آثار قـــدرة الله ، ومشاهد الكون كلها حاضرة لا تغيب عن إنسان ، غير أنها تفقـــد جـــدتها فى النفوس بطـــول الألفـــة ، ويضعف إيقاعها على القلوب بطـــول التكرار ، ومن هنا نجـــد القرآن الكريم يحرك المشاعر ويوقظها من سباتها ، ويوجـــه

(١٧٣) لغـــز الحياة ص ٤٧ — ٤٩ د٠ مصطفى محمـــود — دار النهضة العـــربية ٠

القلوب والعقول إلى مشاهد هــذا الكون ، ذلك أن العقــل يستطيع أن يكتشف الكثير من أسرار هــذا الكون وعجائبه الدالــة على قــدرة الله فيــه « فهــو — أى العقل — موضع الحكمة ، ومعــدن العلم ، وكلمــا إزداد علمــا إزداد سعة وقــوة ، يأمر الجوارح بالتحرك ، فلا يكاد أن يميز بين الهم بالحركة ، وبين التحرك بسرعة الطاقة ، أيهما أسبق ، وإن كان الهم قبــل »(١٧٤) .

يقــول الإمام الغزالى فى معرض حــديثه عن نعمة العقل :

« ... وانظر وفكر فى سر كونه — أى الطفل — يولــد جاهلا غير ذى عقــل يفهم ، فإنه لــو كان ولــد عاقلا فهيما لا لأنكر الوجود عند خروجه إليــه ، حتى يبقى حيرانا تائه العقــل إذا رأى ما لا يعرف ، وورد عليــه ما لم يره ، ولم يعهد مثله ، ثم كان يجــد غضاضة أن يرى نفسه محمولا موضوعا معصبا بالخرق ، ومسجى فى المهــد ، مــع كونه لا يستغنى عن هــذا كله لرقــة بدنه ، ثم كان لا يوجــد لــه من الرقة والحــلاوة والمحبة فى القلوب ما يوجــد للصغير لكثرة إعراضه بعقله ، وإختياره لنفسه ، فتبين أن زيادة العقــل والفهم فيــه على التدريج أصلح به ، أفــلا ترى كيف أقام الله كل شىء فيه من الخلقــة على غاية الحكمة وطريق الصــواب »(١٧٥) .

* * *

(١٧٤) الحكمة فى مخلوقات الله ص ٨٣ الإمام أبو حامد الغزالى — دار إحيــاء العــلوم — بيروت .
(١٧٥) المرجــع السابق ص ٦٨ ، وينظر أيضــا : التصور الإســلامى للكون والحيــاة والإنسان ص ٢٣ ، ٢٤ عثمان جمعه ضميرية — دار الكلمــة الطيبة ط ٢ ١٩٨٥ .

الفصل الخامس

الإنسان فى العقيدة الإسلامية

الإنســـــــــان

الإنسان فى نظر الإسلام هــو أكرم الكائنات على الله ، خلقــه الله — تعالى — فى أحسن تقــويم ، تولاه بالعنــاية والإلهــام والتعليم ، وحــلاه بالعقل الكريم والقلب السليم واعــده لمهمة عظمى وهى الخلافة فى الأرض ، ناهيــك بعــد ذلك بمــا فيــه من سر إلهى داخله هــو الروح ، التى نسبها الله — تعالى — إلى نفسه واسجد لحاملها ملائكته ، وقــد امد الله الإنسان بمــا يناسب طموحه وسخر لــه اكناف الكائنات .

وحينما ننظر فى القرآن الكريم نجــده يضيع الإنسان على رأس المخلوقات جميعها نظرا لمــا اختصه الله به من تكريم وتفضيل يقول تعالى : **« ولقــد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممــن خلقنا تفضيلا »**(١) وقــوله جــل شــأنه : **« يايها الإنسان ما غــرك بربك الكريم الذى خلقــك فسواك فعــدلك فى اى صورة ما شــاء ركبك »**(٢) وقــوله سبحانه : **« لقــد خلقنا الإنسان فى احسن تقــويم »**(٣) .

ومن أجل هــذا التكريم والتفضيل كان الإنسان هــو سيد الأرض ومن أجله خلق كل شىء ، وهــو أسمى من كل شىء مادى ، ومن كل قيمة مادية ، ولا يجوز أن يستعبد أو يستذل من اجــل قيمة مادية ولا يجوز

---

(١) ســورة الإسراء الآية ٧٠ .
(٢) ســورة الإنفطار الآية ٦ — ٨ .
(٣) ســورة التين الآية ٤ .

ايضا أن يعتدى على أى مقـــوم من مقـــومات إنسانية(٤) ٠

تكـــوين الإنســـان :

بين القرآن الكريم خلق الإنســـان فى آيات كثيرة فقـــال سبحانه :

« الذى احسن كل شىء خلقـــه وبدأ خلق الإنسان من طين ٠ ثم جعـــل نسله من سلالة من ماء مهين ٠ ثم ســـواه ونفـــخ فيـــه من روحـــه »(٥)

لقـــد خلق الله ــ سبحانه ــ الإنسان من طين شأنه شأن ســـائر الأحياء فى الأرض فمن الطين كل عناصره ما عـــدا سر الروح ، فهـــذه النفخة العـــلوية هى التى جعلت منـــه إنسانا ٠

فعناصر الإنسان إذن كلهـــا من الطين ، فهـــو من أمه الأرض ، ومن عناصرها تكون ، ولذلك فإنه يستحيل إلى تلك العناصر بعـــد مفارقـــة هـــذا السر الإلهى ٠

ولذلك جاء تحليل جسم الإنسان على الوجـــه الآتى :

ماء يكفى لمـــلء برميل يسع عشرة جالونات ٠

دهـــن يكفى لصنع سبع ســـبائك من الصابون ٠

كربون يكفى لصنع ٩٠٠٠ قلم من الرصاص ٠

فسفور يكفى لصنع ١٢٠ رأس من رؤس عيدان الكبريت ٠

حـــديد يكفى لصنع مسمار متوســـط الحجم ٠

---

(٤) التصـــور الإســـلامى ص ٧٣ ، ٧٤ ، فى ظـــلال القرآن ص ٦٠ للشهيد ســـيد قطب ــ دار الشروق ٠

(٥) ســـورة السجدة الآية ٧ ــ ٩ ٠

وجير يكفى لبياض تقفيصة فراخ .

وكميات ضئيلة من المغنسيوم والكبريت(٦) .

هذه المواد إذا جمعت وخلط بعضها ببعض بنسب صحيحة ودقيقة كان ناتج خليطها إنسانا لا محالة ، وتلك هى قيمة الإنسان من الناحية المادية .

ولذلك كان الإنسان — بهذه النظرة — فى نظر الملحدين مجرد حشرة كما يقول أحد الملاحدة المعاصرين .

« هل نحن فكرة أكثر من كون الحشرات ... نحن لا نساوى أكثر من أنفسنا ، وكذلك الحشرات ، ونحن لا نريد إلا أن نحقق أنفسنا ، وكذلك أيضا الحشرات ؟

والفرق بيننا وبين الحشرات هو فرق فى التفوق فقط ، وفرق التفوق بيننا وبين أرقى حيوان . لا يفوق كثيرا فرق التفوق بين أدنى حشرة أو أرقى حيوان .

فماذا فقد أو يفقد الكون أو تفقد الشمس والقمر بفقدنا »(٧)

هكذا نجد الإنسان عند الماديين أخو الحشرات ، ذلك أنهم يرون فيه الغلاف والقشرة ، لا يعرفون فيه إلا الطين ، وهو فى مخلوق من طبيعته الإنجذاب إلى أسفل ، وليس الرقى إلى أعلى ، هو فى نظرهم — حيوان متطور — ، ترقى من طور إلى طور حتى وصل إلى ما هو عليه ، والحيوانية هى قشرته ولبه ، ومن هنا فإن

(٦) الإيمان والحياة ص ٥٨ .
(٧) المرجع السابق ص ٥٩ .

الإنحـــدار والسقوط والتلوث والاسفاف غير مستغرب فى نظر هؤلاء ، بل المســتغرب هــو العفــة والطهــر ، والاســتعلاء على الشـــهوات والمــادة (٨) ٠

أما الإنسان فى نظر المؤمنين فهــو مخلوق مكرم ، خلقــه ربه ، وصـــوره فأحسن تصـــويره ، وميزه بالعـــلم والعقـــل ، حتى وإن كان الإنسان شـــيئا ضيئلا بالنسبة لسعة هـــذا الكون من حيث حجمه وحيـــاة جسمه ، إلا أنه — من حيث روحه وكيانه المعنوى — شئ كبير ، وهـــل الإنسان فى حقيقته إلا ذلك الروح ، وهـــذا الكيان المعنوى ، والإنسان من حيث هـــذا العمـــر القصير الـــذى يعيشه ذرة فى صـــحراء الأزمنة الجيولوجية الضاربة فى أغـــوار القـــدم — إن صح كلامهم — لكن المؤمن يوقـــن أن الموت ليس نهاية الإنسان ، ولكنه محطـــة انتقال إلى الأبـــد الذى لا نهـــاية لـــه ، إلى دار الخـــلود ، التى يقـــال فيهـــا للمؤمنين **« ســـلام عليكم طبتم فادخلوها خالـــدين »** (٩) ٠

ســـقوط نظرية النشوء والإرتقـــاء :

يجـــدر بنا هنا أن نناقش — فى عجالة نظرية النشوء والإرتقـــاء ، وخلاصة هـــذه النظرية : أن الحياة الأولى للإنسان والحيـــوان والنبات بدأت على ظهر هـــذه الأرض بجرثومة تطورت من حال إلى حال تحت تأثير فواعـــل طبيعية حتى وصلت إلى هـــذه التنوعات التى نراها ، وفى مقـــدمتها الإنسان ، فالإنسان بدأت حياته على ظهر الأرض بجرثومة

---

(٨) المرجـــع الســـابق ص ٥٩ ٠

(٩) ســـورة الزمر الآية ٧٣ ، وينظر المرجع السابق ص ٦٠ ٠

صغيرة وهـذه الجرثومة تحولت إلى حيوان وارتقى إلى حياة حيوانية بدائية ، ثم إلى حيوانات أكبر ريشية ومجنحة ، ثم تحولت إلى ذوات فقرات حتى ارتقت إلى حيوان أشبه الإنسان ثم كانت نهاية هـذا التطور هـو الإنسان الأول ، وهـذا الإنسان لا عقـل لـه ولا إدراك ولا كلام ، ثم تطـور إلى أن صـار إنسانا كاملا ذا عقل وتفكير ، وهـذه التحولات والتطورات والترقيات إنمـا جاءت بعـد صراع مرير بين هـذه الكائنات وبين عـوامل الطبيعة وتقلباتها ، وبين نفس هـذه الكائنـات الحيـة بعضها مـع بعض ، عبر آلاف القرون من أجـل البقاء ٠

هـذا ومن أبرز الركائز التى تأسست عليها نظرية النشوء والإرتقاء هى :

١ ـ ناموس تنـازع البقـاء ٠

٢ ـ ناموس الانتخـاب الطبيعى ٠

٣ ـ ناموس المطابقـة ٠

٤ ـ ناموس الـوراثة ٠

أما بالنسبة لناموس تنـازع البقاء فمعـاد : أن كل الكائنات الحية فى تنازع مستمر ، والبقاء للأكمـل الأقـوى ـ كما يرى داروين ـ أما الأضعف فإنه لا يصلح للحيـاة ٠

وأما بالنسبة لناموس الانتخاب الطبيعى ، فيشرحه داروين بمثال يبين فيـه أنه إذا انتقل سرب من الإبقار إلى مسافة بعيدة ، ومر بطريق وعـر ، ولا يقـوى على اختراقها إلا الأقـوياء فلا يصـل إلى مأمنـه إلا الممتازون بالقـوة ومعنى هـذا أن البقـاء للأصلح والأكمل والأقوى ،

وهـلاك غير الأصلح وزيادة ضعفه ، كان الطبيعة — فى نظر داروين — هى التى تنتخب الأقـوى فتبقيه ، وتبين الأضعف وتزيله .

أما ناموس المطابقـة فمفاده ، لدى دراوين أن الأغـذية ونوعهـا وطريقة الوصـول إليها لـه دخـل كبير فى حـدوث الاختلافات بين الأنواع ، فعلى سـبيل المثال — كما يرى دراوين — الأسـد معروف بأنه مفترس ومن أكلـة اللحوم ، ولـه براثن ومخالب قـوية تضطره إلى تمزيق فريسته بأنيـابه وأظفـاره ، فلو وجـدت الأسـود — عبر آلاف السنين — فى وسـط لا يمكنه من الافتراس لاضطر — بحكم الضرورة — إلى إيقاف وظيفته ، ومن ثم تضعف لاهمالها ، وتضمر ، وتوجـد وظيفة أخرى أصلح وأنفـع ، ويتعود على الأغـذية النباتية ، ومن ثم يتغير شـكل أسنانه ، وتطـول أمعاؤه لتحاكى أمعاء أكلـة الحشائش من الحيوانات الأخرى ، حتى ولـو فرض أن تلك النباتات لا تتسنى للأسد إلا ببذل مجهود شـاق كخوض نهر أو تسلق شـجر لتخلقت فيـه أعضاء تناسـب السباحة والتسلق ... وهـذا هـو ما يسمى بناموس التحـول أو المطابقـة .

يبقى بعـد ذلك ناموس الوراثة وهـو — فى زعم صاحب هـذه النظرية — أن الصفات العرضية التى تحـدث فى الآباء بواسطة اختلاف الأحـوال والظروف المعيشية تنتقل إلى الأبنـاء ، ومن ثم تنشـأ الأبناء مختلفة فيما بينها ، ويظـل هـذا الاختلاف يقـوى على مر الأجيـال والقرون إلى أن تستحيل تلك الاختلافات العرضية إلى اختلافات جوهرية ، يتـوهم منها الرائى أنهـا اختلافات نوعية من أصـل الخلقـه ، مـع

أنهـا فى الحقيقة اختلافات بسيطة توالت عليهـا الأيام حتى ازدادت تأصلا فى الكائن الحى ونمت فيـه فأدت إلى مباينة الأصـل الذى نشـأ فيـه تمام المباينة ، كما يرى ذلك واضحا فى الحمار والحصان فإنهمـا — فى نظر دراوين — من نوع واحـد ، وإنمـا يرجع اختلاف كل منهما عن الآخر تبعا لمقتضيات الوسط الذى عاش فيه الحمـار . وهـذه هى القواعـد الأربعة التى أسست عليها نظرية النشوء والإرتقـاء أو نظرية التطـور(١٠) .

والحقيقة أن أصحاب هـذه النظرية استغلوا اهتمام الناس الشديد بهـا ، وإقبالهم على دراستها فاتخـذوا من ذلك شراكا ينفـذون به إلى عقـول البسطاء والدهماء من النـاس ، أنهم ينكرون أن تكون الحيـاة من صنع قـوة أخرى فـوق الطبيعة ، وهنـا يبرز الجانب الالحـادى الواضح فى هـذه النظرية ، ذلك أن المـادة فى زعم هؤلاء هى القادرة على اعطاء الحيـاة ، والطبيعة الملازمة للمـادة بحركتها الدائبـة هى التى تخلق وتنوع وتطـور ...

وإذا كانت نظرية النشوء والإرتقـاء مطردة فى كل شىء — كما يرى أصحابها — فنحن نسألهم عن أى شىء ترقت الإبل والبقر والغنم ، وعن أى شىء ترقت البهائم ذات القـوائم الأربع : الخيـل والبغـال والحمير والأسـد والنمر والفيل والذئب وغيرها ؟

---

(١٠) حـولية كلية أصـول الدين ص ٣٧٣ — ٣٧٦ بحث منشور تحت عنوان : الله يتجلى فى خلق الإنسان د. جمعه على عبد القـادر العـدد الخامس ١٤٠٨ هـ — ١٩٨٨ م .

وقد مضت القرون الطويلة على هذه الحيوانات ولم تترق إلى ما هو أكمل منها فقد بقى الفرس فرسا ، والكلب كلبا والحمار حمارا ... والإنسان إنسانا ، كل انتهى إلى ما هو عليه الآن عبر العصور والقرون ، ثم لماذا بقى القرد الأول ، وانقرض الحيوان الواسطة الذى منه ترقى القرد ؟ ومعنى هذا : أنه لو كانت نظرية البقاء للأصلح والانتخاب الطبيعى مطردة لا نقرض القرد الأول ، وبقى الحيوان الذى هو الواسطة الذى ترقى عنه الأول ، فلم لم يكن الانتخاب الطبيعى للأكمل ؟(١١) .

أن هذه النظرية الدروانية غير ثابتة لا من الناحية العلمية ولا من الناحية النفسية ، وخير شاهد على ذلك أقوال كثير من العلماء .

فهذا هو العالم الفرنسى « باستور » مكتشف البنسلين يثبت أن الكائنات الحية لا تنشأ من المادة ، ولا تتوالد ذاتيا ، وإنما تنشأ من بيوض بالغة الصغر ، أو من كائنات مجهرية .

أيضا أعلن « الكسندر أوبارين » رئيس معهد الكيمياء الحيوية فى الاتحاد السوفيتى بعد أن تفرغ للبحث فى إمكانية إيجاد الحياة عن طريق التفاعل الكيميائى مدة سبع وثلاثين عاما أن الحياة لا يمكن إطلاقا أن تبدأ من عدم أو توالد ذاتى أو تفاعل كيميائى ، ولا يمكن أبدا للعلم أن يخوض فيما وراء المادة(١٢) .

---

(١١) عقيدة المؤمن ص ١٥ ، ١٦ بتصرف .
(١٢) الإيمان بالله فى ضوء العلم والعقل ص ٤٩ محمد رشدى القادرى — ط ١ بيروت ١٩٩٢ م .

وهــذا واحــد من أصــدقاء « داروين » وانصــاره اسمه « بخنر » يقــول « إن البت فى التولد الذاتى للخلية الأولى التى نشأ عنها الأصل غير متيسر ، لأن الأصــول المناسبة لتولد الخلايا الأولى تولدا ذاتيا غير معروفة ، والخلية ذاتها — على بساطتها — بنــاء وتركيب يمتنع معــه صــدورها عن الجماد مباشرة ، بل إن ظهورها من الجماد فى نظر العلم معجزة ليست أقــل بعــدا عن العقل من ظهور الأحياء العليــا من الجماد رأســـا »(١٣) .

وبالنسبة لمــا افترضــه داروين من أن البقــاء للأصلح فينفيــه وجــود الأصلح والصالح وغير الصــالح فى الحيــاة من شتى الأصناف الحيـــة .

أيضــا مسألة الانتخاب الطبيعى المزعــوم والذى افترضــه داروين لإزالــة الأصناف الضعيفة من الأحيــاء فالسؤال المطروح : ما هــو هذا الانتخاب الطبيعى وكيف يعمل ؟ هــل المقصود به الظواهر والعــوامل الطبيعية كالموت ، والفيضانات ، وبراكين والزلازل ؟

والحقيقة : ان هــذه الظــواهر تؤثر على جميع الأحيــاء تأثيرا ميدانيا واحــدا ، ذلك أن الموت لا يفرق بين القــوى والضعيف ، والمياه تنحسر عن مستنقع كبير مخلفــة ركاما من الأحياء المــائية الميتة دون أن تخص البعض أو تختار أضعفها أو تترك أصلحها ، فلمــاذا لم يتكيــف الأصلح مــع ظواهر الطبيعة ويتحــد معها ؟

---

(١٣) المرجــع الســابق ص ٤٩ وهــو ناقــل عن مجلة حضارة الإسلام العــدد (٤) ١٩٦٩ .

وإذا كانت المصادفة العشوائية هى المسئولة عن قوانين بقــاء الأصلح من الأحيــاء فكيف ميزت بينهــا وهى غير قــادرة على التمييز ؟ وإذا افترضنا قــدرتها على ذلك ، فلمــاذا تفسح المجــال لبروز الضــعيف وغير الصالح إلى مملكتها بعلمها وموافقتها على ذلك ، وإذا كان الدخــول خلسة وتسللا ، وبدون علم منها فإنها حينئذ تكون اضعف من أن توكل إليها اخطــر مهــام الوجــود .

أما بالنسبة إلى قانون الــوراثة ، والــذى اعتمدت عليــه النظرية فى إثبات تطور الإنسان وارتقــائه من سلالة حيوانية أخرى ــ فلا يعــد فى الحقيقة متكئا علميــا يستند إليــه ، إذ أن العلم الحــديث أثبت أن لكل نوع من الأحيــاء خارطة وراثية ثابتة ، وهى لا تتغير بطول الزمن ، ومن هنــا : فإن كل صنف يحافظ على خصائصه واستقلاليته ، فلا ينشأ من تكاثره مع صنفه أو مع صنف مغاير له صنف جديد ، فلا يلــد القرد إنسانا ، ولا يلــد الإنسان قردا أبدا .

هــذا : وقــد اكتشف علمــاء الجيولوجيا اكتشافات تهــدم هــذه النظرية الباطلة ، ذلك أن داروين زعم أن الأحيــاء البسيطة التى تطور منهــا الإنسان يعثر عليهــا فى طبقــات الأرض السفلى ، لأنهــا نشأت وانطمرت فى أزمان سابقة فى الوقت الذى يعثر فيــه على الأحياء المعقدة المتطورة منها فى طبقات الأرض العليــا ، لأنها جاءت بعــدها زمنيــا وتطورت منها ، غير أن الحفريات أثبت خــلاف ذلك ، فقــد وجــدت من بين الهياكل والصــور الحية المستخرجة من باطن الأرض أحياء أعقــد تركيبا ، بل وأرقى ممــا فوقها من الأحيــاء ، أيضا عثر فى الحفريات

على آثار حيوانات يتروح عمرها بين (٦٤ — ٢٩٤) مليون سنة ، ويبدو من هياكلها أنها ضخمة ومعقدة فى تركيبها ، فى الوقت الذى يرى فيه داروين أن تكون حيوانات ذلك العصر السحيق من نوع بسيط ، وذلك لكى تتسق مع التطور والإرتقاء .

ولقد زعم أيضا صاحب نظرية النشوء والإرتقاء المزعومة أن الإنسان قد تسلسل من سلالات حيوانية حتى أخذ صورته الإنسانية ، لكن علم «المستحاثات» أبطل هذا الزعم الدارويني،ذلك أنه لم يعثر على هذه السلاسل المزعومة التى تسلسل منها الإنسان ، وهناك حلقات كثيرة مفقوده بين الإنسان وبين الغوريلا أو الشمبانزى ، والتى يتوهم أن الإنسان قد تسلسل منها ، وإذن فإن الحكم بإنحدار الإنسان من القرد تعسف ، لا يمكن أن تحتمله النتائج العلمية الرصينة ، ناهيك بوجود الاختلافات الواضحة بين الإنسان والقرد فى الشكل والمظهر والقامة والملامح ، وكذا الاستعدادات الروحية والعاطفية والعقلية واللغوية ، وقد اثبت علم « الانثروبولوجيا » أن القرابة المزعومة بين الإنسان والقرد تبعد عن الاحتمال شيئا فشيئا(١٤) .

وقد لخص الأستاذ محمد فريد وجدى أهم الاعتراضات الموجهة إلى مذهب داروين فيما يأتى :

١ — عدم مشاهدة أى إرتقاء من أى نوع كان من الأحياء الأرضية من ألوف السنين .

---

(١٤) المرجع السابق ص ٥٠ ، ٥١ .

٢ — عـدم وجود الصورة المتوسـطة بين الانواع اللازمة لمذهب التسلسل كان يوجـد — مثلا — حيوان أرقى من القرد رتبـه واحـدة وأدنى من الإنسان رتبـة واحـدة أيضا ٠

٣ — طـول الزمان اللازم لحصول الترقى بين الأحياء ، فإن عمـر الأرض كما قالـوا : لا يكفى لإحـداث كل ما يرى من هـذه الأشـكال المختلفة غاية الاختلاف(١٥) ٠

وكلمـا إتسع نطاق العلم ازدادت معـاول الهـدم لهـذه النظرية الالحـادية الفاشـلة ٠

والحقيقة أن هـذه النظرية تمثلا خطرا على العقيدة الإسـلامية ذلك أنها باعتمادها على التطـور الطبيعى — الذى تزعمه — للأحيـاء بعضها دون بعض دون الحاجـة إلى خالق مستقل تكون أقرب إلى إنكارها دور الخالق — سبحانه وتعالى — فى الوقت الذى تصرح فيه النصـوص القرآنية بأن الله — سبحانه — قـد خلق كل كائن خلقـا مستقلا وبيديه خاصـة الإنسان يقول تعالى : « **قال يا إبليس ما منعـك أن تسجد لمـا خلقت بيـدى** »(١٦) ٠

ومن جهـة أخرى فإن النظرية تنكر الخلق المستقل وافتراض أن الأحياء نشأت بعضها من بعض وتطورت جميعها من خليـة واحـدة ، وهـذا فرض تقـوم فى وجهه هـو الآخر عقبات رئيسية من وجهـة الدين ٠

---

(١٥) دائرة المعـارف ص ٣١ محمـد فريد وجـدى المجلد الرابع ٠
(١٦) سـورة ص الآية ٧٥ ٠

إن نصـــوص القرآن الكريم والسنة النبوية تبين أن آدم — عليـــه السلام — قـــد خلقـــه الله من طـــين ، وخلـــق ذريته من ماء مهين يقول تعالى : « **ولقـــد خلقنـــا الإنسان من ســـلالة من طين • ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين • ثم خلقنا النطفـــة علقـــة فخلقنا العلقـــة مضغة فخلقنا المضغة عظـــاما فكسونا العظام لحمـــا ثم أنشأناه خلقـــا آخر فتبـــارك الله أحسن الخالقـــين** »(١٧) •

ويقـــول تعالى : « **الذى أحسن كل شىء خلقـــه وبدأ خلق الإنسان من طـــين • ثم جعـــل نسله من ســـلالة من ماء مهين • ثم ســـواه ونفـــخ فيـــه من روحـــه وجعـــل لـــكم السمع والأبصـــار والأفئـــدة قليـــلا ما تشـــكرون** »(١٨) •

والذى يستعرض النظـــرية الدروانية لا يجـــد إشارة من صاحبهـــا — من قريب أو بعيـــد — إلى دور الخالـــق ، وإنمـــا تستمد أساسها من الطبيعة ، وهـــذا ما يجعلها نظرية إلحـــادية بكل معانى الكلمة(١٩) •

الفـــكر الإنســـانى وقيمتـــه :

لقـــد كرم الله الإنســـان بهـــذه المنحـــة الإلهيـــة وهى العقـــل ، وشاءت إرادته سبحانه ألا يترك الإنسان بمفرده يقرر عقيـــدته ونظـــام حيـــاته •

---

(١٧) ســـورة المؤمنـــون الآية ١٢ — ١٤ •

(١٨) ســـورة الســـجدة الآية ٧ — ٩ •

(١٩) راجـــع حولية كلية أصـــول الدين ص ٤٨ — ٥١ العـــدد السادس ١٩٨٩ •

من هنــا : فقــد كان دور العقــل البشرى هــو أن يتلقى عــن الرسالة ، فالرسول يبلغ ويبين وينبه العقل إلى تدبر الحقائق الإيمانية ٠

وقــد تحــدث القرآن الكريم عن وظيفة العقــل وأهميتها فقــال سبحانه : **« إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليــل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بمــا ينفــع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيــــا به الأرض بعــد موتهــا وبث فيهــا من دابة وتصريف الرياح والسحاب المســخر بين الســماء والأرض لآيات لقــوم يعقــلون »**(٢٠) وقال جــل شأنه : **« كتــاب أنزلناه إليــك مبارك ليدبروا آياته ليذكــر أولوا الألبــاب »**(٢١) وقال سبحانه : **« هــو الذى أنزل من السماء ماء لــكم منه شراب ومنه شــجر فيه تسيمون ٠ ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعنــاب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقــوم يتفكرون ٠ وســخر لــكم الليــل والنهــار والشمس والقمــر والنجــوم مسخرات بأمره إن فى ذلك لآيات لقــوم يعقلون ٠ وما ذرأ لــكم فى الأرض مختلفا ألوانه إن فى ذلك لآية لقــوم يذكرون »**(٢٢) ٠

فالتفكر والتدبر والتذكر كلها من معطيات العقــل ، ومن عجيب أسرار القرآن أنه لم يذكر العقــل بذاته وإنمــا يذكر آثاره فى الإنســان من تدبر وتذكر وتفكر ٠٠٠ لأن هــذه الأمور هى معطياته ، وبدون هــذه

---

(٢٠) ســورة البقــرة الآية ١٦٤ ٠

(٢١) ســورة ص الآية ٢٩ ٠

(٢٢) ســورة النحــل الآية ١٠ ـــ ١٣ وينظــر : الإنســان فى القرآن الكريم من البداية إلى النهــاية ص ٢٧ وما بعــدها

المعطيات يكون عقــلا معطلا ، لا قيمة لــه ولا وزن ، وإذا تعطلت قوى العقــل بطل عمله ، وتبــع ذلك توقف نشاط الحياة ممــا يتسبب عنــه الجمود ، والإســلام أراد للعقــل أن ينهض إلى هــذه المهــة التى خلق من أجلها ، وينعى على أولئــك الذين لا يستعملون العقــل فيمــا خلق من أجله ، ويغفلون عن آيات الله • فيقــول سبحانه :

« ولقــد ذرانا لجهنم كثيرا من الجــن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بهــا ولهــم أعين لا يبصرون بهــا ولهــم آذان لا يسمعون بهــا أولئــك كالأنعام بل هم أضــل أولئــك هم الغافلون »(٢٣) •

ويقــول تعالى : **« وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنهــا معرضون »**(٢٤) •

وينعى الإســلام أيضا على أولئــك الذين يكتفون بالقــديم المألوف حتى ولــو كان الجــديد أنفــع وأجــدى : **« وإذا قيــل لهم اتبعــوا ما أنزل الله قالــوا بل نتبع ما ألفينــا عليــه آباءنا أو لــو كان آباؤهم لا يعقلون شــيئا ولا يهتدون »**(٢٥) •

ولذلك نجــد أن القرآن الكريم حين يوقظ العقــل من سباته يفتــح أمامه كتاب الطبيعة ، وذلك لكى يتعرف الإنسان من خلالها على قــدرة الله وعظمته ، وشمول علمــه وتفرده بالخلق والإبداع •

« أمن خلق السموات والأرض وأنزل لــكم من السماء ماء فأنبتنــا

---

(٢٣) ســورة الأعــراف الآية ١٧٩ •

(٢٤) ســورة يوســف الآية ١٠٥ •

(٢٥) ســورة البقــرة الآية ١٧٠ •

به حـدائق ذات بهجـة ما كان لكم ان تنبتوا شـجرها اءلـه مـع الله بل هم قـوم يعـدلون . امن جعـل الارض قرارا وجعـل خلالها انهارا وجعـل لهـا رواسى وجعـل بين البحرين حاجزا اءلـه مـع الله بـل اكثرهم لا يعلمون امن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلـكم خلفـاء الارض اءلـه مـع الله قليلا ما تذكرون . امن يهـديكم فى ظلمات البر ومن يرسـل الرياح بشرا بين يدى رحمته اءلـه مـع الله تعالى الله عمـا يشركون . امن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والارض اءلـه مـع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين »(٢٦) .

إن فريضة التفكير فى القرآن الكريم تشمل العقـل الإنسانى بـكل ما احتـواه من هـذه الوظائف بجميع مدلولاتها وخصائصها ، فهـو يخاطب العقـل المدرك الحكيم الراشـد(٢٧) .

والعقـل البشرى وهـو أهم شىء تميز به الإنسان يحكم ينفى التعدد فى ذات الله ـ تعالى ـ وصفاته وافعاله ، فلقـد استخدم المنهج العلمى وخرج بنتيجة مؤداها : أن الكون مخلوق وكل مخلوق له خالق وبعد هذا انتقل إلى مجموعة من الافتراضات .

لـو فرض وجـود أكثر من إلـه ، أراد إلـه حياة شخص واراد الآخر موته . فإن تحققت إرادتهما معـا صار الشخص حيـا وميتـا فى وقت واحـد ، وهـذا تناقض عقلى .

---

(٢٦) سـورة النمـل الآية ٥٩ ـ ٦٤ .

(٢٧) انظر : دراسـة فى علم العقيـدة الإسـلامية ص ٩٩ احمـد على المـلا .

وإذا لم تتحقق إرادتهما معـا كانا عاجزين والوهيتهما باطلة ·

وإن تحققت إرادة واحـد فقط ولم يقـدر الآخر على فعـل شئ فهـذا الآخر ليس بإلـه ·

ثم افترض العقـل فرضا آخر : وهـو وجود تعاون بين الآلهـة ، فإلـه يخلق النور وإلـه يخلق الظلمة ، وإلـه يخلق الأرض وآخر يخلق السـماء ····

هنـا بحث العقل فى هـذا الفرض مبينا انه لـو افترضنا أن إلـه الأرض أراد أن يزيل السماء فهـل لديه المقـدرة على ذلك ؟

إن قلنـا إنه يقـدر فهـل يملك إلـه السماء أن يمنعه ، إن قـدر على منعـه فقـد عجزه ، والعاجز لا يكون إلهـا ، وإن لم يقـدر فهو عاجز والعاجز لا يكون إلهـا ·

ويسير العقـل ايضا مع هـذا الفرض فيقول :

إن إلـه الأرض يريد أن تكون لـه السيطرة الكاملة على كل ما فى الكون فهـل يقـدر على تحقيق ما يريد أولا ؟ ·

لـو قـدر فقـد عجز الآلهـة الاخـرى ويكون واحـدا وإن لم يقـدر يكون عاجـزا ·

تعـدد الإلهة إذن مستحيل شرعا وعقـلا ، وذلك لمـا يترتب عليه من فساد للكون وعـدم النظام فيه (٢٨) ·

---

(٢٨) نظرات فى العقيـدة الإسـلامية ص ٧٦ د· محمـد الانور حامد عيسى ١٩٨٦ ·

. **إذن فمهمة العقـــل الأولى هى التفكر والتدبر والتأمل ليصـــل بذلك إلى وحـــدانية الله وقـــدرته وعظمته ٠**

ومن هنـــا فقـــد ترك الوحـــى للعقـــل أمورا كثير فى مجـــالات متعـــددة ترك للعقـــل فى مجال العقيدة أن يهتدى إلى حقيقتين هامتين ، بل هـــا أعظم الحقـــائق فى الوجـــود ٠

الأولى : وجـــود الله ـــ تعالى ـــ ووحـــدانيته ، فكما أن وجـــود الله ـــ سبحانه ـــ تهـــدى إليـــه الفطرة السليمة ، يقتضيه أيضـــا النظر الصحيح ، والعقـــل الصريح ، وقـــد أقام القرآن الكريم الأدلـــة من آيات الأنفس والآفاق على وجـــود الله سبحانه وتعالى : « **إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليـــل والنهار لآيات لأولى الألبـــاب** »(٢٩) ٠

« **أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقـــون** »(٣٠) ٠

« **لـــو كان فيهما آلهـــة إلا الله لفسدنا فسبحان الله رب العرش عمـــا يصـــــفون** »(٣١) ٠

« **ما اتخـــذ الله من ولـــد وما كان معـــه من إلـــه إذن لذهب كـــل إلـــه بمـــا خلق ولعـــلا بعضهم على بعض** »(٣٢) ٠

أما الحقيقة الثانية : فهى ثبوت الوحى والرسالة ، ذلك أن العقـــل هـــو الذى يثبت إمكان ذلك ووقـــوعه بالفعل ، والعقـــل يميز بين الآيات

---

(٢٩) ســـورة آل عمـــران الآية ١٩٠ ٠
(٣٠) ســـورة الطـــول الآية ٣٥ ، ٣٦ ٠
(٣١) ســـورة الأنبيـــاء الآية ٢٢ ٠
(٣٢) ســـورة الأنبيـــاء الآية ٢٤ ٠

التى لا تظهر إلا على أيدى رسل الله حقا وبين مظاهر الخفه والشعوذة والسحر ، والعقل هو الذى يعرف وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول ، والعقل ينظر فى سيرة كل شخص يدعى الرسالة ، ويتأمل فى صفاته ، وأخلاقه ، وأقواله وأفعاله ، ومدخله ، ومخرجه ، وذلك ليعرف منها : من هو أهل لاصطفاء الله ، ومن ليس كذلك فيرفضه ويعرض عنه ٠

ومن هنا فقد احتكم القرآن الكريم فى إثبات صدق رسالة النبى — ﷺ — إلى العقول المفكرة وحدها فقال جل شأنه :

« قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وثلاث ورباع ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد »(٣٣) ٠

وقال سبحانه مخاطبا الرسول ﷺ **« قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون »**(٣٤) ٠

ترك الوحى أيضا العقل فى مجال التشريع القياس وإستنباط الأحكام ، وقواعد جلب المصالح ، ودرء المفاسد ، ورفع الحرج وتقدير الضرورات وغيرها ، ولذا فقد خلف لنا العقل الإسلامى ثروة فقهية لها مكانها الرفيع فى التراث العالمى ٠

وفى ميدان الأخلاق ترك الوحى العقل أن يصدر حكمه على كثير من الأعمال التى يلتبس فيها الخير بالشر ، ويشتبه الحلال بالحرام ٠٠٠

---

(٣٣) سورة سبأ الآية ٤٦ ٠

(٣٤) سورة يونس الآية ١٦ ٠

ترك الوحى للعقل أن يحـــول فى آفاق الكون وأن يكتشف من ظواهر الكون ما شـــاء ، كما ترك لـــه أن يبتكر ويخترع فى وســـائل الحيـــاة ما شاء تحت مظلة الحـــق والعـــدل ، وأن يستفيد من تجارب الآخرين ، وينتفع بتراث السابقين **« فاعتبروا يا أولى الأبصار »(٣٥) « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بهـــا أو آذان يسمعون بهـــا فإنهـــا لا تعمى الأبصـــار ولكـــن تعمى القلـــوب التى فى الصـــــدور »(٣٦) « ائتـــونى بكتاب من قبل هـــذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين »(٣٧) « فاسألوا أهـــل الذكر إن كنتم لا تعلمـــون »(٣٨) ٠**

فالقرآن لم يجحـــد الفكر الإنسانى ، ولم يشل من حركته ، وإنمـــا كان لـــه هاديا ومعنيا (٣٩) ٠

حـــدود الفـــكر الإنســـانى :

ولكن على العقل الإنسانى أن يكون مؤدبا مـــع خالقه ، تأدب إيمـــان وخشية وتوحيد ، فليس من خصائصه استجلاء الغيب ، ولا تقصى ما بعـــد الموت من سمعيات فيتجاوز حـــدوده وإمكانياته التى وهبها الله — تعـــالى — إياه ، ويشتد غروره ، مثلمـــا أسس « هيجـــل » نظرية « العقـــل المطلق » ؟ وآخرون حاولوا تضخيم مهمـــة العقل إلى الحـــد الذى يتجاوز فيه حـــدوده وإمكانياته فاقحموه فى مجاهل الغيب ٠

---

(٣٥) ســـورة الحشر الآية ٢ ٠
(٣٦) ســـورة الحـــج الآية ٤٦ ٠
(٣٧) ســـورة الأحقـــاف الآية ٤ ٠
(٣٨) ســـورة الأنبيـــاء الآية ٧ ٠
(٣٩) الخصائص العـــامة للإســـلام ص ٦١ — ٦٦ بتصرف شـــديد ٠

إن الغيب هـو ما حجبه الله عن قـدرة الإنسان ، وأطلعه على بعض منه بالوحى ، متى الساعة ؟ متى وأين يموت الإنسان ؟ ماذا سيحدث غدا ؟ ما تحمل كل إنثى قبل تكوين الجنين ؟ ماذا بعد الموت ... ؟ كلها قضايا ليست من اختصاصات العقل(٤٠) ٠

ونود أن نشير هنا إلى ما توصل إليه العلم الحديث أخيراً بالنسبة لنوع الجنين اذكر أم أنثى ، وذلك بعد أن خرج من علم الله — تعالى — إلى العلم الدنيوى أى بعد خلقه وتكوينه ، لكن هل فى استطاعة العلم أن يقول لنا شيئا عن الجنين قبل أن يخلق فى رحم الأم ثم إن معنى ما فى الأرحام ليس — كما يظن البعض — مسألة الذكورة والأنوثة ، لكن معناها أوسع بكثير ، ذلك أن الله — تعالى — يعلم من هو أبو المولود ؟ ومن هى أمه قبل أن يتزوجا ؟ يعلم هل هو شقى أم سعيد ؟ طويل أم قصير ؟ ما هو لونه ؟ صحيح أم مريض ؟ ما هى الأمراض التى سيتعرض لها ؟ ماذا سيفعل ؟ ما هى الأحداث التى سوف تقع له ؟ ماذا سيعمل ؟ أى المهن سيحترف ؟ أى البلاد التى سوف يسافر إليها ؟ سيتزوج من ؟ ما هو رزقه هل سيرزق بأولاد أم لا ؟ ... أسئلة لا نهاية لها ، تبين وتوضح أن كلمة ما فى الأرحام واسعة جدا ، وهذا يدل على أن كلمة « ما فى الأرحام » تشمل شريط حياة ذلك الذى لم يخلق بعد فى رحم أمه ، وأين هذا كله من الذكورة والأنوثة فقط(٤١) ٠

---

(٤٠) التوحيد وواقعنا المعاصر ص ٢٠٦ ٠

(٤١) الغيب ص ٨٨ — ٨٩ لفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى مؤسسة أخبار اليوم ١٩٩٠ ٠

إذن فيجب علينا أن نأخذ الغيب من رب الغيب ، رب كل شيء القادر على كل شيء ، العالم بكل شيء ...

والله — سبحانه — الذى خلقنا ، وخلق كل شيء ، منحنا القدرة فى فطرتنا وعقولنا أن نستوعب ما يبلغنا من إنباء الغيب ، غير أن هذه القدرة — التى وهبنا الله إياها — قد تضطرب أو تتوقف بسبب الحجاب الكثيف من الآثام والمعاصى والفساد والشرور ، كل هذا يضع الران على قلب الإنسان ، والغشاوة على بصره ، والوقر فى اذنه ، لكن العمل الصالح والتقرب إلى الله يجلو هذه الطاقات كلها ، فيزيل الران والغشاوة والوقر ،وينطلق الإيمان يجلو قلب الإنسان وبصره وسمعه ، فيستقبل ويعى ويؤمن ويصدق(٤٢) .

كما يجب على العقل ألا يخوض فى معرفة الذات الآلهية ، ذلك أن حقيقة الذات الآلهية لا يمكن للعقل معرفتها ، ولا يستطيع إدراك كنهها ، فلا يحيط بها الفكر البشرى ، مهما بلغ من الفطنة والذكاء ، وكيف والإنسان عاجز عن معرفة نفسه ، التى لا تزال من أعقد المشاكل وهو عاجز أيضا عن معرفة حقيقة الضوء وهو من أظهر الأشياء وأوضحها، وهو أيضا عاجز عن معرفة حقيقة المادة ، وحقيقة الذرات التى تتألف منها ، وهى أقرب شيء إلى الإنسان .

يقول العلامة الفلكى (كاميل فلامريون) :

« نرانا نفكر ، ولكن ما هو الفكر ؟ لا يستطيع أحد أن يجيب

---

(٤٢) التوحيد ص ٢١٤ .

على هـذا الســؤال ، ونرانا نمشى ، ولكن ما هـو العمـل العضلى ؟ لا يعرف أحـد ذلك ، أرى أن ارادتى قـوة غير مادية ، وأن جميـع خصائص نفسى غير مادية أيضا ، ومـع ذلك فمتى أردت أن أرفع ذراعى، أرى أن إرادتى تحرك مادتى ، فكيف يحـدث ذلك ، وما هـو الوسيط الذى يتوسط القـوى العقلية فى إنتاج نتيجة مادية ؟ ... بل قل لى : كيف ينقـل العصب البصرى صـور الأشياء إلى العقـل ؟ وقـل لى : كيف يدرك العقـل هـذا ؟ وأين مسـتقره ؟ وما هى طبيعـة العمـل المخـى ؟ »(٤٣) ٠

إذا كان هـذا هـو موقف العقل من النفس والضـوء والمـادة ، أشياء منظورة وغير منظورة لا يعرف كنهها ، وهـو عاجز عن إدراك حقيقة الوجـود المـادى الذى يعيش فيـه ، فكيف يتطلع إلى معرفة البـارى جـل شـأنه ٠

إن الذات الإلهية أكبر من أن تدرك أو تحـد ، بل إنها أكبر وأعظم من كل ما نتصور أو نتخيل ، ولمـا لم يكن هناك بد فقـد أسعفنا القرآن الكريم بالقـدر الضرورى الذى يمكن أن يسد حاجتنا فى هـذا المقـام بمفهوم يليق بجـلال الله وكمالـه(٤٤) ٠

ولقـد سئل الإمام الغزالى — رحمه الله — عن معنى قوله عز وجل « الرحمن على العرش إستوى » فقـال :

---

(٤٣) العقـائد الإسـلامية ص ٣٣ ٠

(٤٤) المرجـع السـابق ص ٣٤ ٠

قـل لمـن يفهم عنى ما أقـول

قصر القـول فـذا شرح يطـول

ثم سـر غـامض من دونـه

قصرت والله أعنـاق الفحـول

أين منـك العقـل والفهـم إذا

غلب النـوم فقـل لى يا جهول

وكـذا الأنفـاس هـل تحصرها

لا . ولا تدرى متى عنـك تزول

أين منـك العقـل والفهـم إذا

غلب النـوم فقـل لى يا جهول

أنت أكـل الخـبز لا تعـرفه

كيف يجرى منك أم كيف تبول ؟

فـإذا كانـت طـواياك التى

بين جنبيـك كـذا فيها ضـلول

كيف تدرى من على العرش إستوى

لا تقل كيف استوى كيف النزول ؟

كيف يحـكى الرب أم كيف يرى

فلعمـرى ليس ذا إلا فضـول

فهـو لا أيـن ولا كيـف لـه

وهـو رب الكيف والكيف يحـول

جـل ذاتـا وصـفاتا وسـما

وتعالى قـدره عمـا تقول(٤٥)

فإن قال قائل : كيف يمنـع الإنسان من التفكر فى ذات الله وصفاته ، ولا يمنـع من التفـكر فى المـوت وما بعـده وفى البرزخ وفى أمـور الآخرة مـع أنها أيضا ظـواهر غيبية ؟

يجاب على ذلك : أن هـذه الظواهر وإن كانت تخفى على المؤمن فى خصائصها ، إلا أنها — على كل حال — هى من مخلوقات الله ، كما أن لهـا تشابها ومثالا فى الدنيا ، وعلى سـبيل المثال من يتعرف على أسرار النـوم وما يتخلله من رؤى مبشرة وأحـلام مزعجـه يستطيع أن يتخيل ما يحـدث فى القبر من نعيم أو عـذاب ٠

يمـوت الإنسان حين ينـام ، ثم يبعثـه الله إذا استيقظ « **وهـو الذى يتوفاكم بالليـل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثـكم فيـه ليقضى أجـل مسمى ثم إليـه مرجعكم ثم ينبئكم بمـا كنتم تعملون** »(٤٦) ٠

ومن هـذا المنطلق تحـدث العلمـاء فى هـذه الأمور وتعمقـوا فيها ، فتدبروا أمور الموت والآخرة ، ومن هـؤلاء الحارث المحاسبى ، والذى الف كتابا أسماه « التـوهم » هـذ االكتاب يوقظ القارىء ويثيره فى نفس الوقت ، إذ أنه يصف الغيبيات بأسلوب دقيـق مؤثر ، وكأن الإنسان يعيش وسـط هـذه الأحـداث العظام بادئا بوصـف نزع الموت

(٤٥) الإمام الغزالى وعلاقـة اليقين بالعقل ص ٣٨ ، ٣٩ د٠ محمـد إبراهيم الفيـومى — دار الفكر العربى ٠

(٤٦) سـورة الأنعام الآية ٦٠ ويراجع : التفكر ص ٧١ ٠

وكربه وسكراته ، ثم معاينة وجــه ملك الموت وما يحمله من بشرى بالثواب والعقاب ، ثم يصف الجلوس لسؤال الملكين ، وانفراج القبر عن الجنــة والنــار ، ثم يصف الحشر ، والعرض على الله ، وإنشقاق السماء ، وحر الشمس ، وفيضان العرق ، وشــدة الكرب ، وطلب الخلائق الشفاعة من الأنبياء ومن سيدنا محمــد — ﷺ — ، ثم يصف المرور على الصراط ، وعــذاب جهنم ، وإستغاثة أهلهــا .

وينتقل بعــد ذلك فى وصف الجنــة وما أعــده الله — سبحانه — لأهلها من النعيم ، واجتماع الولدان والأهــل ، والحــور العين والخيام والفرش والأرائك ، والاستبرق والديباج .... ولذلك يقول الدكتور أحمد أمين عن هــذا الكتاب .

« ... نحــا فيه منحى طريفــا يدل عليه اسمه ، فلم يقتصر على ما ورد من الأخبــار فى الخــوف والرجاء كما فعــل غيره ، بل استعمل توهمه — وبعبارة أخرى خياله — فى وصــف شعور أهــل الجنة وأهــل النار وما يلقــون من : سعادة وشقاء وعــذاب ، وأسلس لخياله القيــادة فتخيل ما تخيل ، وصور ما صور .

فهى لوحــة جميلة لفنان أجاد ألوانها ... وفصل مواقفها ، وصقل لغتها حتى يؤثر بالحقيقة التى تتضمنها فى نفــوس القارئين والسامعين أكبر الأثر وأبلغــه (٤٧) .

ولذلك نرى المحاسبى يتحــدث عن الموت والبعث فيقول :

---

(٤٧) مقــدمة كتاب التوهم للحارث المحاسبى ص ٤ ، ٥ ، دار التراث العربى ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ — الطبعة الثانية .

« فتوهم نفسك وقــد صرعت للموت صرعة لا تقــوم منها إلا على الحشر إلى ربك ، فتوهم نفسك فى نزع الموت وكربه وغصصه وسكراته وهمــه وقلقــه ، قــد بدأ الملك يجــذب روحــك من قــدمك فوجــدت ألم جــذبه من أسفل قــدميك ، ثم تدراك الجــذب ، واستحث النزع ، وجــذبت الروح من جميع بدنك ، فنشطت من أســفلك متصــاعدة إلى أعــــلاك ٠

حتى إذا بلغ منك الكرب منتهاه ، وعمت آلام الموت جميع جسمك ، وقلبــك وجــل محزون مرتقب منتظر للبشرى من الله — عز وجــل — بالغضب أو الرضا ، وقــد علمت أنه لا محيص لك دون أن تسمع إحــدى البشريين من الملك الموكل بقبض روحــك ، فبينما أنت فى كربك وغمومك وألم الموت بسكراته وشــدة حزنك لارتقابك إحــدى البشريين من ربك ، إذ نظرت إلى صفحة وجــه الملك بأحسن الصورة أو بأقبحها ، ونظرت إليــه مادا يداه إلى فيــك ليخرج روحــك من بدنك ، فذلت نفسك لمــا عاينت ذلك وعاينت وجه ملك الموت ، وتعلق قلبك بمــاذا يفاجئك ؟ ٠٠٠

« ٠٠٠٠ حتى إذا تكاملت عــدة الموتى ، وخلت من سكانها الأرض والسماء فصاروا خامدين بعــد حركاتهم ، فلا حس يسمع ، ولا شــخص يرى ، وقــد بقى الجبــار الأعلى كمــا لم يزل أزليــا واحــدا منفردا بعظمته وجلاله ، ثم لم يفجــأ روحك إلا بنداء المنادى لكل الخلائق معك للعرض على الله — عز وجــل — بالذل والصغار منك ومنهم ٠

فتوهم كيف وقــع الصوت فى مسامعك وعقلك ، وتفهم بعقلك بأنك تدعى إلى العرض على الملك الأعلى ، فطــار فؤادك وشاب رأسك للنداء ،

لأنهـا صيحة واحـدة بالعـرض على ذى الجـلال والإكرام والعظمة والكبرياء ، فبينما أنت فزع للصـوت إذ سمعت بانفراج الأرض عن رأسك، فوثبت مغبرا من قرنك إلى قـدمك بغبار قبرك ، قائمـا على قـدميك ، شاخصا ببصرك نحـو النداء ، وقـد ثار الخلائق كلهم معك ثورة واحدة وهم مغبرون من غبار الأرض التى طال فيها بلاؤهم ....

فتوهم أصوات الخلائق وهم ينادون بأجمعهم ، فتفرد كل واحـد منهم بنفسه ينادى : نفسى نفسى ، فلا تسمع إلا قـول نفسى نفسى ، فياهول ذلك وانت تنـادى معهم بالشغل بنفسك والاهتمام بخلاصها من عـذاب ربك وعقـابه ....

فتوهم ممرك على الجسر بشدة الخوف وضعف البدن ...

فتوهم نفسك إن لم يعف عنـك إن زلت رجلك على الصراط فقلت فى نفسك مـع ذلك ذهبت أبدا ، هـذا الذى كنت أحاذر وأخـاف ، وطار عقـلك ، ثم زلت الأخرى فتنكست هامتك ، وارتفعت عن الصراط رجلاك فلم تشعر إلا والكلوب قـد دخل فى جلدك ولحمك ، فجـذبت به وبادرت إليـك النار ثائرة غضبانه لغضب مولاها ... فتوهم نفسك وقـد طال فيها مكثـك وألح العـذاب فبلغت غاية الكرب ، واشتد بك العطش فتذكرت الشراب فى الدنيا ، ففزعت إلى الجحيم ...

ثم يطير إلى الجنـة ونعيمها مصورا ذلك المؤمـن الذى نجـا ، وذهب عنه الحزن ، ودخل الجنة فيقول :

« ... وقـد وافيت باب الجنـة بغبـار قبرك ، وحـر المقـام ووهج تعب ما مر بك ، فنظرت إلى العين التى أعـدها الله لأوليائه ...

فتوهم نظرك إلى حسن الإناء وإلى حسن الشراب وأنت مسرور بمعرفتك إنك إنما تشرب هذا الشراب لتطهر جوفك من كل غل وجسدك ناعم أبدا ، حتى إذا وضعت الإناء على فيك ، ثم شربته وجدت طعم شراب لم تذق مثله ... فيابرد طهارة صدرك ، ويا روح ذلك على فؤادك ، حتى إذا استكملت طهارة القلب والبدن واستكمل أحباء الله ذلك معك ، والله مطلع يراك ويراهم ، أقر مولاك الجواد المتحنن خزان الجنة من الملائكة الذين لم يزالوا مطيعين خائفين منه مشفقين وجلين من عقابه إعظاما له وإجلالا وهيبة له وحذرا من نقمه ، وأمرهم أن يفتحوا باب جنته لأوليائه فإنحدروا من دارها وبادروا من ساحاتها وأتوا باب الجنة فمدوا أيديهم ليفتحوا أبوابها ، وإيقنت بذلك فطار قلبك سرورا ... فياسرور قلب المفتوح لهم باب جنة رب العالمين ... فتوهم حسن الأبواب ، وحسن السرر ، وحسن عرض القبه بحسن فرشها وحسن السرير وحسن قوائمه وارتفاعه وحسن الفرش فوقه ... فتوهم سرور قلبك بتحف ربك ولطفه إياك »(٤٨) .

بهذا التطواف يسجل الحارث المحاسبي تصوره الدقيق لأمور الآخرة ، وكلها أمور غيبية ، لكن دقة التصوير ، تجعل الإنسان يعيش في الموقف نفسه وكأنه يرى ذلك بعينه ، وهذا يورث في القلب اليقظة الدائمة ، ويبعده عن الغفلة والتسويف .

وقريب من هذا التصوير ما سجله الأستاذ سيد قطب في تفسير لسورة التكوير للآيات الأولى منها :

---

(٤٨) المرجع السابق ص ٣٠ — ٣٦ .

« إذا الشمس كورت ・ وإذا النجوم إنكدرت ・ وإذا الجبال سيرت ・ وإذا العشار عطلت ・ وإذا الوحــوش حشرت ・ وإذا البحــار سجرت ・ وإذا النفوس زوجت ・ وإذا المؤدة سئلت باى ذنب قتلت ・・・ » ・

هــذا هــو مشهد الانقلاب التام لكل معهود ، والثــورة الشاملة لكل موجود ، الانقلاب الذى يشمل الأجرام السماوية والارضية ، والوحــوش النافرة والانعام الاليفة ، ونفــوس البشر ، وأوضاع الامور ، حتى ينكشف كل مستور ويعــلم كل مجهــول ، وتقف النفــوس أمام ما أحضرت من الرصيد والزاد فى موقف الفصل والحساب ، كل شىء من حولها عاصف ، وكل شىء من حــولها مقلوب ・

هــذه الأحــداث الكونية الضخام تشير بجملتها إلى هــذا الكون الذى نعهده ، الكون المنسق الجميل ، الموزون الحركة ، المضبوط النسبة ، المتين الصنعة ، المبنى بايد وإحكام ・ إن هــذا الكون سينفرط عقــــد نظامه ، وتتناثر أجزاؤه ، وتذهب عنــه صفاته هــذه التى يقوم بها ، وينتهى أجله المقــدر ، حيث تنتهى الخلائق إلى صورة أخرى من الكون ومن الحياة ومن الحقائق غير ما عهدت نهائيا فى هــذا الكون المعهود ・

وهــذا هــو ما تستهدف السورة إقراره فى المشاعر والقــلوب كى ينفصل من هــذه المظاهر الزائلة — مهمــا بدت لهــا ثابته — وتتصــل بالحقيقة الباقية ・・ حقيقة الله الذى لا يزول ولا يحــول ، حين يحــول كل شىء من الحوادث ويزول ، ولكى تنطلق من إســار المعهود المــألوف فى هــذا الكون المشهود ، إلى الحقيقــة المطلقــة التى لا تتقيــد بزمان

ولا مكان ولا رؤية ولا حس ، ولا مظهر من المظاهر التى تقيدها فى ظرف أو إطار محــدود ٠

وهذا هو الشعور العام الذى يتسرب إلى النفس وهى تطالع مشاهد هــذا الانقــلاب المرهــوب ٠

فاما حقيقة ما يجرى لكل هــذه الكائنات ، فعلمها عند الله ، وهى حقيقة اكبر من أن ندركها الآن بمشاعرنا وتصوراتنا المقيدة بمألوف حسنا وتفكيرنا ، وأكبر ما نعهــده من الانقلابات هــو أن ترجف بنــا الأرض فى زلزال مدمر ، أو يتفجر من باطنها جائح ، أو أن ينقض على الأرض شهاب صغير ، أو صاعقة ٠٠ وأشــد ما عرفته البشرية من طغيان المــاء كان هــو الطوفان ٠٠ كما أن أشــد ما رصــدته من الأحــداث الكونية كان هــو انفجارات جزئيــة فى الشمس على بعــد مئات المــلايين من الأميــــال ٠٠

وهــذه كلها بالقياس إلى ذلك الانقلاب الشامل الهــائل فى يــوم القيــامة ٠٠٠ تسليات أطفال ! فإذا لم يكن بدأن نعرف شــيئا عن حقيقة ما يجرى للكائنات فليس أمامنا إلا تقريبها فى عبارات ممــا نألف فى هــذه الحيــاة ٠

إن تكوير الشمس قــد يعنى برودتها ، وانطفاء شعلتها ، وإنكماش ألسنتها الملتهبة التى تمتد من جــوانبها كلها الآن إلى ألوف الأميال حولها فى الفضاء ، كما يتبدى هــذا من المراصــد فى وقت الكسوف وإستحالتها من الغازية المنطلقة بتأثير الحرارة الشديدة التى تبلغ ١٢٠٠٠ درجــة

والتى تحــول جميع المواد التى تتكون منها الشمس إلى غازات منطلقة ملتهبة ... واستحالتها من هــذه الحالة إلى حالة تجمد كقشرة الأرض وتكور لا السنة لــه ولا امتداد .

قــد يكون هــذا ، وقــد يكون غيره .. أما كيف يقــع والعوامل التى تسبب وقــوعه فعلم ذلك عند الله .

وانكدار النجوم قــد يكون معناه : انتثارها من هــذا النظام الذى يربطها ، وانطفاء شعلتها وإظلام ضوئها ، والله أعلم ما هى النجوم التى يصيبها هــذا الحادث وهــل هى طائفة من النجــوم القريبة منا ... مجموعتنا الشمسية مثلا ، أو مجرتنا هــذه التى تبلغ المــلايين من النجوم .. أم هى النجــوم جميعها والتى لا يعلم عــددها ومواضعها إلا الله ؟ فوراء ما نرى منها بمراصدنا مجرات وفضاءات لهــا لا نعرف لهــا عددا ولا نهاية ، فهناك نجــوم سيصيبها الإنكدار كما يقرر هــذا الخبر الصادق الذى لا يعلم حقيقته إلا الله .

وتسيير الجبال قــد يكون معناه نسفها وبسها وتذريتها فى الهواء ، كما جاء فى سورة أخرى **« ويســألونك عن الجبــال فقــل ينسفها ربى نسفا »**(٤٩) **« وبست الجبال بسا . فكانت هبــاء منبثا »**(٥٠) **« وسيرت الجبال فكانت سرابا »**(٥١) ... فكلها تشير إلى حــدث كهــذا يصيب الجبال ، فيذهب بثباتها ورسوخها وتماسكها واستقرارها ، وقــد يكون

---

(٤٩) ســورة طــه الآية ١٠٦ .

(٥٠) ســورة الواقعــة الآية ٥ ، ٦ .

(٥١) ســورة النبــأ الآية ٢٠ .

مبدأ ذلك الزلزال الذى يصيب الأرض ، والذى يقول عنه القرآن :
« **إذا زلزلت الأرض زلزالها ٠ وأخرجت الأرض أثقالها** »(٥٢) ٠

« وإذا الوحوش حشرت ٠٠ » فهذه الوحوش النافرة قد هالها الرعب والهول فحشرت وانزوت تتجمع من الهول وهى الشاردة فى الشعاب ، ونسيت مخاوفها بعضها من بعض ، كما نسيت فرائسها ، ومضت هائمة على وجوهها ، لا تأوى إلى جحورها أو بيوتها كما هى عادتها ، ولا تنطلق وراء فرائسها كما هو شأنها ٠ فالهول والرعب لا يدعان لهذه الوحوش بقية من طباعها وخصائصها فكيف بالناس فى ذلك الهول العصيب ؟ !

وأما تسجير البحار فقد يكون معناه ملؤها بالمياه ، وإما أن تجيئها هذه المياه من فيضانات كالتى يقال : إنها صاحبت مولد الأرض وبرودتها ٠٠ وإما بالزلازل والبراكين التى تزيل الحواجز بين البحار فيتدفق بعضها فى بعض ٠٠ وإما أن يكون معناه التهابها وانفجارها كما قال فى موضع آخر « **وإذا البحار فجرت** »(٥٣) فتفجير عناصرها وانفصال الأيدروجين عن الأكسوجين فيها ، أو تفجير ذراتها على نحو ما يقع فى تفجير الذرة ، وهو أشد هولا ، أو على أى نحو آخر ، وحين يقع هذا فإن نيرانا هائلة لا يتصور مداها تنطلق من البحار ، فإن تفجير قدر محدود من الذرات فى القنبلة الذرية أو الأيدروجينية يحدث هذا الهول الذى عرفته الدنيا ، فإذا انفجرت

---

(٥٢) سورة الزلزلة الآية ١ ، ٢ ٠
(٥٣) سورة الإنفطار الآية ٣ ٠

ذرات البحار على هـذا النحـو أو نحـو آخر ، فإن الادراك البشرى يعجز عن تصـورها هـذا الهول ، وتصور جهنم الهائلة التى تنطـلق من هـذه البحار الواسـعة ٠

وتزويج النفـوس يحتمل أن يكون هـو جمع الأرواح بأجسادها بعـد إعادة إنشائها ، ويحتمـل أن يكون ضـم كل جمـاعة من الأرواح المتجانسة فى مجموعة كما قال فى موضع آخر « **وكنتم أزوجا ثلاثة** »(٥٤) أى صنوفا ثلاثة هم المقربون وأصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ، أو فى غير ذلك من التشكيلات المتجانسة »(٥٥) ٠

هـذه سياحة مـع الفكر الإنسانى فى مجال الغيبيـات ، تستثير القارىء ، وتأخـذ بمجامع قلبـة ، وتنقله إلى عالم آخر عالم الخلود والفكر الإنسانى حـين يطـوف فى عـالم الغيب يجعـل الوحى رائده وهـاديه ٠

الإنسـان والإيمـان :

لا تجـد النفس الإنسانية سـكونها وهـدوؤها ونجاتها ورضاها إلا بالإيمان والرضى ، والإحساس بنعمة الله إنمـا يتحقق بالإيمـان والبعد عن اليأس والاضطراب ، ذلك أن الإيمـان ضرورة تحتمها الحياة النفسية لبنى الإنسان ، فإذا ضاقت نفس الإنسان فمـا عليـه إلا أن يلجـأ إلى الله وحـده فهـو سبحانه الذى يكشف الضر ويجيب المضطر وما من عسر

---

(٥٤) سـورة الواقعـة الآية ٧ ٠

(٥٥) فى ظلال القرآن ص ٣٨٣٧ ج ٦ سيد قطب ٠ دار الشروق ٠

إلا ويعقبه يسر ، وما من ضائقة إلا ويعقبها فرج (٥٦) .

ومن هنـا : فإن اليأس لا مكان لـه على الاطـلاق فى أساسيات العقيدة لدى الإنسان المسلم ، لأن اليأس معناه الشك فى قـدرة الله ، بل هـو يعادل الـكفر قال تعالى : **« إنه لا ييـأس من روح الله إلا القـوم الـكافرون »** (٥٧) .

ولذلك نجـد أن اليأس متلازم مـع الكفر ومن لا إيمـان لـه بوفرة ، لأن الإنسان الكافر قطع الصـلة بينه وبين رب الكون ، ولا عجب حين نرى إحـدى المؤسسات البريطانية تصدر كتابا خاصا للراغبين فى الانتحار ، وهـذه المؤسسة يطلق عليها اسـم « الخروج من الحيـاة » والكتاب الذى تصدره هـذه المؤسسة يحتوى على أساليب عديدة للانتحار وقائمـة بأسماء العقاقير الطبية الخاصـة بهـذا الأمر (٥٨) .

وعلى الجانب الآخر نجـد أن الإيمـان والأمـل متلازمين لـدى الإنسان المسلم ، فالإيمـان من أهم معانيه : الاعتقـاد بقـوة عليا تدبر هـذا الكون ، والاعتقاد بقوة غير محصورة ورحمة لا تتناهى ، وكـرم لا حـد لـه ، والاعتقاد بإلـه قـدير رحيم ، يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويقبل التوبة ، إلـه يبسط يده بالليـل ليتـوب مسىء النهـار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل ، إلـه يفرح بتوبة العبد

---

(٥٦) راجـع العقيدة الإسـلامية ص ٥٤ د. محمد سيد أحمـد المسير وآخـرون .

(٥٧) سـورة يوسـف الآية ٨٧ .

(٥٨) العقيدة الإسـلامية ص ٥٥ ، ٥٦ .

أشـد من فرحـة الضال إذا وجـد ، والغائب إذا وفـد ، والظمـآن إذا ورد ٠ إلـه يدعـو المعرض عنه من قريب ، ويتلقى المقبل من بعيد فيقـول :

« أنا عند ظـن عبدى بى وأنا معـه إذا ذكرنى ، إن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليـه ذراعـا ، وإن تقرب إلى ذراعـا تقربت إليه باعا ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولـة »(٥٩) ٠

إلـه يجعل من كل ضيق فرجا ، ومن كل هم مخرجا ، يتجه إليـه المظلوم آملا فى النصر ، ويتجه إليـه المحروم سـائلا منه أن يرزقـه ويعطيه ، ويتجه إليـه المكروب سائلا منه الفرج ، ويتجه إليـه المريض طالبـا منـه الشـفاء ٠

طلب سيدنا إبراهيم — عليه السلام — الولـد وهـو شيخ كبير — **« رب هب لى من الصـالحين »**(٦٠) فاستجاب الله لـه ، وبعث إليـه المـلائكة يبشرونه **« انا نبشرك بغلام عليم قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحـق فلا تكن من القانطين ٠ قال ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالين »**(٦١) ٠

وهـذا هـو سيدنا يعقوب تطـول غيبة ولـده ، ثم يفجـع بحجز شقيقه من بعـده فى حادثة صـواع الملك ، إلا أن اليأس لم يتسرب إلى

---

(٥٩) رواه البخـارى ٠

(٦٠) سـورة الصـافات الآية ١٠٠ ٠

(٦١) سـورة الحجـر الآية ٥٣ — ٥٦ ٠

فــؤاده ، بل قال « **فصبر جميل عسى الله أن يأتينى بهم جميعا** »(٦٢)

ثم قال بروح يحــدوها الأمل ، وتعززها الثقــة الــكاملة بالله « **يابنى اذهبــوا فتحسسوا من يوســف وأخيــه ولا تيأســوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القــوم الكافرون** »(٦٣) ٠

إن الإيمــان هــو الذى يؤثر فى كل ما يريده الإنسان ، وهــو الذى يجعله سيد هــذا الكــون ، وهــو الذى يحقــق لــه الســعادة والطمأنينة ولا تتحقق ســكينة النفس وهــدوؤها ورضــاها ونجاتها من الحيرة وإليــك إلا بالإيمان والرضى واليقين(٦٤) ٠

غــاية الإنســان :

الإنسان لم يخلق عبثا ، ولم يترك ســدى ، وإنمــا خلقــه الله لحكمة وغاية ، إنه لم يخلق ليكون عنصرا من عناصر الــكون ، ويتمتع كما تتمتع الأنعــام ، ولكنه خلق ليعرف الله — سبحانه — ويعبده ، خلق لحمــل الأمانة ، أمانة التكليف والمسئولية ، فيصهره الابتلاء ، وتصقله التكاليف ، وبهــذا ينضج ويعــد لحياة الخلود والبقاء ٠

وشتان بين من يعيش لنفســه ، ومن يعيش لربه ، وبين من يعيش لدنيــا محــدودة ، وبين من يعيش لوجــود غير محــدود بزمان ولا مكان ٠

ومن هنــا : تظهر لنــا النظرة المــادية إلى الإنسان ، التى لم

---

(٦٢) ســورة يوســف الآية ٨٣ ٠
(٦٣) ســورة يوســف الآية ٨٧ ٠
(٦٤) الإيمــان والحيــاة ص ٦١ وما بعــدها ٠

تجعل للإنسان غاية ، وهى تنكر أن يكون الإنسان قــد خلق قصــدا ، فليس للإنسان رسالة ســوى الكــد والكــدح وراء العيش والوصول إلى الرفاهية ، فإذا فنى العمر ، فقــد إنتهى كل شىء للإنسان .

هــذه هى النظرة المــادية التى تجعل الإنسان يدور حــول نفسه فقط كل همــه شهواته ، ومتطلبات جسده (الجزء الحيوانى فيه) .

وبهــذا يتضخم الجزء الحيوانى فى الإنسان على حساب أجــزاء أخرى تنكمش وتذبل وتضمــر .

ونمــو الجانب الحيوانى فى الإنسان يفضى فى نهاية الأمر إلى دمار الإنسان وهــلاكه ، قال تعالى :

« واتل عليهم نبــأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعــه الشيطان فكان من الغاوين . ولــو شئنا لرفعنــاه بهــا ولكنه أخلــد إلى الأرض واتبــع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القــوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعــلهم يتفكرون ســاء مثلا القــوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون »(٦٥) .

إن القرآن الكريم يلفت الأنظار إلى أن الله — سبحانه — لم يخلق الإنسان من غير غاية سامية ، ولا هــدف عال ، فإن ذلك يتنافى مــع كمالــه وحكمته ، فالله — سبحانه — لم يخلق الإنسان بيــده وينفخ فيه من روحــه ، ويفضله على الملائكة دون هــدف أو غاية قال تعالى :

« أفحسبتم أنمــا خلقنــاكم عبثا وأنكم إلينــا لا ترجعون . فتعالى

---

(٦٥) ســورة الأعراف الآية ١٧٥ — ١٧٧ وينظر الإيمــان والحيــاة ٧٣ — ٧٥ بتصرف .

الله الملك الحـــق لا إلـــه إلا هـــو رب العرش الكريم »(٦٦) ٠

ويقـــول جـــل شـــانه :

« ايحسب الإنسان ان يترك ســـدى ٠ الم يك نطفة من منى يمنى ٠ ثم كان علقـــة فخلق فسوى ٠ فجعـــل منه الزوجين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر على ان يحيى الموتى »(٦٧) ٠

* * *

(٦٦) ســـورة المؤمنـــون الآية ١١٥ ، ١١٦ ٠

(٦٧) ســـورة القيـــامة ٣٦ ـــ ٤٠ ويراجـــع العقائد الإســـلامية ص ٢٢٧ ســـيد ســـابق ٠

الفصل السادس

الحياة فى العقيدة الإسلامية



الحيـــــــاة

حقيقـــة الحيـــاة :

الحياة فى الإســلام تشمل هـــذه الفترة المشهودة والحياة الآخرى الأبدية التى لا يعلم مداها إلا الله ، هـــذا بالنسبة للزمان ، أما بالنسبة للمكان فإن الحياة أيضـــا تمتد فتشمل هـــذه البسيطة التى نعيش عليها .

وتضيف إليها جنـــة عرضها السموات والأرض للطائعين ، ونارا تسع الكثرة من جميع الاجيـــال التى عمرت الأرض ملايين السنين ، وتمتد أيضا لتشمل هـــذا الوجـــود المشهود إلى غيب لا يعلمه إلا الله .

إذن فهـــذه الحيـــاة التى نحياها ليست هى نهاية مطاف الإنسان ، فهناك الحيـــاة الآخرى ، التى تحـــدث عنهـــا القرآن كثيرا وسماها **« الـــدار الآخـــرة »** وذلك فى مقـــابل **« الدنيـــا »** .

ومهما بلغت الحياة من جمـــال وزينـــة ومتـــاع فهى إلى فنـــاء ، يقـــول تعـــالى :

« إنمـــا مثل الحياة الدنيـــا كمـــاء أنزلنـــاه من السماء فاختلـــط به نبـــات الأرض ممـــا يأكل النـــاس والأنعام حتى إذا أخـــذت الأرض زخرفها وازينت وظـــن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصـــيدا كـــأن لم تغـــن بالأمس كذلك نفصـــل الآيات لقـــوم يتفـــكرون »(١) .

---

(١) ســـورة يونس الآية ٢٤ .

ويقـــول جـــل شـــأنه :

« إنمـــا هـــذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هى دار القرار »(٢) ٠

يقـــول ابن كثير :

« إنمـــا هـــذه الحياة الدنيا متاع » أى قليلة زائلة فانية عن قريب تذهب وتضمحل ، « وإن الآخرة هي دار القرار » : أى الدار التى لا زوال لهـــا ولا انتقـــال منهـــا ولا ظعـــن عنهـــا إلى غيرها ، بل إما نعـــيم وإما جحيم »(٣) ٠

ومن هنـــا يقـــول أحـــد الحكمـــاء :

خلـــق النـــاس للبقـــاء فضـــلت
أمـــة يحســـــبونهم للنفـــــاد
إنمـــا ينقـــلون مـــن دار أعمـــال
إلى دار شـــقوة أو رشـــاد(٤)

تعـــلق الإنســـان بالحيـــاة :

الناس جميعا ـــ ما عـــدا القليل منهم ـــ يتعلقون بالحياة ، راغبون فيهـــا إلى غير نهـــاية ، وحب البقـــاء أمر طبعى فى كل حى ، وهـــو فى الإنسان طبيعة وإرادة تدفعـــه إلى حفظ نوعـــه ، والإبقـــاء على ذاته أطـــول عمر ممكن ، وحب الحياة فوق ذلك إرادة تخلقت فى الإنسان مع اتصـــاله بالحياة ، واختلاطـــه بالأحيـــاء ٠

---

(٢) ســـورة غافـــر الآية ٢٩ ٠
(٣) مختصر تفسير ابن كثير ٢٤٥/٣ ط الحلبى ٠
(٤) عقيـــدة المســـلم ص ٢٣٣ ٠

لكن الإنسان مهما امتد به العمر ، وطـال به الأجـل ، فإن يده قاصرة عن أن تنال كل ما يشتهى ويريد ، وإن الحياة لتضن عليـه فى تحقيق رغبـاته ، من أجـل هـذا ، كان الحرص الشديد على الحيـاة والإستزادة منها ، وقـد كشف القرآن الكريم عن تلك الإرادة الصارخـة فى الإنسان إلى حبـه للحياة فقال سبحانه فى شأن اليهود :

« ولتجـدنهم أحرص الناس على حيـاة ومن الذين أشركوا يود أحـدهم لو يعمر ألف سنة وما هـو بمزحزحه من العـذاب أن يعمر والله بصـير بمـا يعمـلون »(٥) .

ولئن كان السياق فى الآية خاصـا باليهود ، فإن هـذا السـياق لم يجعل الحرص على الحيـاة من شأن اليهود وحـدهم ، وإن جعلهم أشـد حرصا ، فالحرص على الحياة مشترك بين الناس جميعـا إلا أن اليهود إنفردوا عن النـاس جميعا فى شـدة الحرص على الحيـاة ، وفى كلمة « حيـاة » وقـد أخـذت مكانها فى الآية إشـارة معجزة على أن الحياة التى يحرص عليها النـاس بصفة عامة ، واليهود بصفة خاصة — هى فى حقيقتها حيـاة تافهة مجرد حياة يتحرك فيها الجسد بدون إدراك ولا وجـدان ، فهـى أشـبه بحيـاة الحيـوان لا حس فيهـا ولا مشـاعر(٦) .

---

(٥) سـورة البقـرة الآية ٩٦ .

(٦) الإنسان فى القرآن الكريم من البـداية إلى النهاية ص ٢٢٣ — ٢٢٦ ط دار الفكر العربى ١٩٧٩ .

الغـــاية من الحيـــاة :

الإنسان العاقـــل فى الحياة ينبغى لـــه الا يضع لحياته غاية يريدها ويطمح إليهـــا إلا الفوز والنجاة فى الآخرة .

هنـــاك أسئلة تدور فى ذهن الإنسان ما هـــذه الحياة ؟ ما غايتها ؟ ماذا سيكون بعـــدها ؟ ...

إن الله ـــ سبحانه ـــ شاءت إرادته أن يخلق على هـــذه الأرض خليفة ليعمرها ويظهر فيها قـــدراته واستعداداته الفطرية التى وهبهـــا الله لـــه .

وينطلق الإنسان فى الحياة فيبنى ويعمر ، ويتمتع بمباهج الحياة ، ثم يفاجئه الموت ، تاركا وراءه كل ما جمع على هـــذه الأرض دون أن ينـــال منه إلا القليل ، فهل لهـــذا يعمل الإنسان ؟

لقـــد كشف القرآن الكريم عن هـــذه الحقيقة فى كثير من الآيات مبينا أن الدنيا متاعها قليـــل ، والثواء فيها قليـــل ، يقـــول تعالى : **« قـــل متاع الدنيـــا قليل »**(٧) ويقول جـــل شانه : **« اعلمـــوا أنمـــا الحيـــاة الدنيا لعب ولهـــو وزينة وتفـــاخر بينـــكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثـــل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطـــاما »**(٨) ويقـــول سبحانه : **« واضرب لهم مثل الحيـــاة الدنيـــا كمـــاء انزلناه من السماء فاختلط به نبـــات الأرض فاصبح هشيما تذروه**

---

(٧) ســـورة النســـاء الآية ٧٦ .
(٨) ســـورة الحـــديد الآية ٢٠ .

الرياح وكان الله على كل شىء مقتـــدرا »(٩) ٠

هــذا هــو حــديث القرآن الكريم عن الدنيـــا ، وهــذا هــو واقـــع الحياة المشهود للنـــاس جميعا المؤمنون بالله واليـــوم الآخـــر ، أو الذين لا يؤمنون بالله واليـــوم الآخر ، غير أن هنـــاك فارق بين نظرة المؤمنين بالله واليـــوم الآخر إلى هــذه الحياة ، وإلى تعاملهم معها ، وبين الفريق الآخر أهـــل الضلال الذين لا يؤمنـــون بالله اليـــوم الآخر وموقفهم من الدنيـــا ، ذلك أن الذين لا يؤمنون بالآخرة ويجعلون الحياة الدنيـــا هى المستقر والمصير يضعون انفسهم فى ســـجن ضيق ، يقضون فيـــه مدة حياتهم ، ثم تطـــويهم الأرض إلى العــدم ــ كما يتصورون ــ وعلى هـــذا التصـــور الزائف يعيشون ويمـــوتون ، فليس هناك شـــقاء بعـــد هـــذا الشقاء ، ولا بلاء بعـــد هـــذا البلاء ٠

أهـــذه حياة يجب أن يحياها إنسان ، يقضى عمره لهثـــا وراء سراب وهـــو يرى الحيـــاة تفر منه كما تفر الفتاة اللعـــوب من وجـــه شيخ فان مفلس ٠

إن الذين تنكبوا الطريق ، وضلوا عن السبيل ولم يؤمنوا بالآخرة ، هم فى شـــقاء دائم ، وقلق مستمر ، يعيشون فى فزع مجنون من شـــبح الموت الملازم لهم ، فى صحوهم ونومهم ، وهم لذلك فى سعار لالتهام كل لـــذة ونشـــوة ٠

---

(٩) ســـورة الـــكهف الآية ٤٥ ٠

أما أولئك الذين يؤمنون بالله واليـــوم الآخر ، فهم على يقين تام لا يساوره شـــك بأن هـــذه الحياة الدنيا ليست هى كل الحياة ، وإنمـــا هى طريق إلى حياة باقيـــة وخالدة ، ولذلك فإنهم يقبلون على ربهم فى شـــوق وحب ، ولا يفزعون للموت ، ولا يفرون منه ، بل هم يقبـــلون عليـــه راغبين فيه ، إنهم يجـــدون فى الموت وصـــولا إلى تلك الحيـــاة الطيبة فى الآخرة ، ومن هنا : فإنهم يعـــدون أنفسهم لهـــذا اللقـــاء ، يزودون أنفسهم بالعمـــل الصالح والكلام الطيب ، كمـــا أنهم يجـــدون الطمأنينة التامة فى حياتهم ، فلا يفزعون من شـــبح الموت ، الذى يفزع غيرهم ممـــن لا يؤمنـــون بالله ، ولـــذا فإنهم يقطعون رحـــلة الحيـــاة الآخرة ، فيغرسون فى دنياهم أطيب المغارس ، ويجنون أطيب الثمرات ، يقـــول تعـــالى :

« **من عمـــل صالحا من ذكر أو أنثى فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** »(١٠) ويقـــول سبحانه : « **فآتاهم الله ثواب الدنيـــا وحسن ثواب الآخرة** »(١١) والمؤمن بالله واليـــوم الآخر يمـــلأ يديه منهما جميعا يقـــول تعالى : « **وعـــد الله الذين آمنوا منـــكم الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى إرتضى لهم وليبدلنهم من بعـــد خـــوفهم أمنا يعبـــدوننى لا يشركون بى شـــيئا** »(١٢) .

---

(١٠) ســـورة النحـــل الآية ٩٧ .

(١١) ســـورة آل عمـــران الآية ١٤٨ .

(١٢) ســـورة النـــور الآية ٥٥ .

ويقـــول سبحانه : **« ولقـد كتبنا فى الزبور من بعـد الذكـر أن الأرض يرثهـا عبـادى الصالحـون »**(١٣) ٠

فالمؤمنون بالله هم الوارثون للأرض ، وهم الخلفـاء لله — تعالى — عليها ، وما ذلك إلا لأنهم قـد أقاموا حيـاتهم فيها على الإيمـان بالله واليـوم الآخر ، هـذا الإيمـان الذى هـو عماد حياتهم ، فإذا فاتهم شىء من متاع هـذه الدنيا ، مدوا أبصارهم وآمالهم إلى الحيـاة الآخرة ، وما ينتظرهم فيها من النعيم المقـيم ، وهـذا هـو ما يجعـل للحيـاة قيمـة(١٤) ٠

وليس هنـاك من هـدف أسمى لدى المؤمن من تحقيق الرسـالة التى جاء إلى الكون من أجلها ، ألا وهى تحقيق معنى العبادة ، والعمل الإنسانى كلـه يكون عبادة لله ومحققا لهـا ، إذا كان ذلك وفق المنهج الإلهى ، فيتم بذلك إفراد الله — سبحانه — بالألوهية والاعتراف لـه بالعبودية ، وبهـذا يكون كل عمـل عبادة ، ذلك أن العبادة فى الإسلام ليست محصـورة فى العبـادات فقط ، ولكنهـا تتنـاول كـل حيـاة الإنسان العملية أيضا ، وإذا كانت الغاية من الحياة على العموم هى عبادة الله فيجب أن ننظر إلى هـذه الحياة فى مجموعها على أنهـا تبعـة متعـددة النواحى ، ويجب أن نأتى الأعمـال كلها على أنها عبادات ٠

وما أسـعد أن يكون الإنسان عبدا لله ، فهـذا هـو منتهى ما يطمع

---

(١٣) سـورة الأنبيـاء الآية ١٠٥ ٠

(١٤) الإنسان فى القرآن الكريم ص ٢٣١ ٠

فيه .. عبدا مخلصا لله ، يا ترى كيف به لـو احس بالانس بالله ؟ ، ولمس حب الله لـه ، كيف يكون حاله ؟ وكيف تكون أيامه ؟ إنه الإنسان السـعيد حقـا في الحيـاة .

إن الحيـاة الهادئة الرغيدة هي رغبـة لدى كل إنسان ، وقـد تمـر بالإنسان لحظات صعبة في حيـاته ، ولكن بعـد ساعات طـويلة تعـود السعادة مـرة أخرى ، والايام كفيـلة بحجب الآثار ، وإزالـة البصمات ، وأيا ما كان شـكل الحياة فهي بالنسبة للإنسان متاع كما تقـول الآية القرآنية « **ولـكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين** »(١٥) وهـو إنمـا يتناسب وعمر هـذه الحياة ، أما المتاع الآخر ، فلابد وان يتناسب مـع الحيـاة الآخرة ، التي ليس لهـا نهـاية ، فكان الإنسـان إنمـا خلق في الدنيا ليعيش في متاع ، لكنـه متاع إلى حين ، ثم ينتقل منـه إلى متاع أكبر ، وسـعادة اشمل ، ومن رحمة إلى رحمة أوسع ...

فهـذه الحياة إذن طريق إلى الحياة الأبدية ، إن الدنيا ليست هي الغـاية ولكن الغـاية هي الآخرة ، والآخرة لا سـبيل إلى وصـفها إلا بالمقارنة مـع الدنيا ، فالإنسان حينما يرى طائرا صغيرا جميلا ، ويرى عنـاية الله ترعاه ، يسـعد كثيرا لرؤية هـذا المنظر ، حينمـا يرى — مثلا — وردة جميلة تخرج من الأرض وهي تتمايل لتتفتح عن أريجها ، يجـد سعادة غامرة في هـذا المنظر الخلاب ، وإذ رأى شمسا تطـل في استحياء عند الشروق ، ثم تودع في استئذان عند الغروب ، يقف متاملا

---

(١٥) سـورة البقـرة الآية ٣٦ .

هــذا الجمال الكونى ، وإذا تأمل وتدبر فى كثير من المخلوقات يجــد سعادة غامرة ، جارفــة فياضة ؛ فياترى كم سيكون قــدر ســعادته فى الآخرة بعــد أن يرى الكمال فى الحيــاة الآخرة ، إنه ســعد فى الدنيا على قــدرها ، وفى الآخرة على عظم شــأنها ، إن الغاية هى إســعاد الإنسان فى الدنيــا والآخرة ، ولكن على الإنسان أن يتدبر جيدا ويفطن إلى السعادة الحقيقية وأين تكون ؟(١٦) ٠

قيمــة الزمــان :

إن الحيــاة بمقياس البشر ساعات من الزمن ، وهــذه الساعات هى عمر الإنسان ، والإنسان المؤمن لــه إحساس خاص بقيمة الوقت ، لأنه يعلم أنه مسئول أمام الله يوم القيامة عن هذا العمر ، يقول — ﷺ — : « لا تزول قــدما عبد يوم حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيم أفناه ؟ وعن شــبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين إكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمــل فيه ؟ »(١٧) ٠

وكل مفقود عسى أن يسترجع ، إلا الوقت ، فإذا ضــاع لم يكن هنــاك أمل فى التعلق بعودته ، ومن هنا : كان الوقت من أنفس ما يملكه الإنسان وكان على الإنسان العاقــل أن يستقبل أيامه استقبال الثروة الغالية التى لا يفرط فيها ، بل يحافظ عليها ، ويعض عليها بالنواجــذ ٠

(١٦) راجــع كتاب : الرحمن الرحيم ص ٤ — ٥٢ عبد الرازق نوفــل — المكتب المصرى للنشر ١٩٨١ ٠

(١٧) رواه الترمــذى ٠

والنـــاس مهما اختلفوا فلا يختلفون على أن رحلتهم لهـــا بداية ولها نهاية ، والواقـــع المشهود يبين أن مآل هـــذه الدنيا إلى الفناء ، ومرجع العبـــاد جميعا إلى ربهم ، فلابد من يوم تنقطع فيـــه الأنفاس وتقف دقات القلب ، ويعجز الطب أمام النهاية المحتومة للإنسان ، وبعـــدها يستأنف المرأ حيـــاة جـــديدة ٠

إن الأمر إذن يحتـــاج إلى وقفـــة مـــع النفس ، ذلك أن الحيـــاة والتعلق بزخارفها يفسح الآمال للناس ، فيغفلون عن مصيرهم الأبدى ، وفى طريق الحيـــاة الممتد يجرى البشر فى أنفـــاس لاهثـــة ، وأقـــدام مسرعة مخـــدوعين بهـــذه الحياة وما فيها ، بل إن الغرور ليخيل للإنسان أنه سيبقى إلى الأبد ، فإذا جاء الموت دهش لمقـــدمه ، وكأنه حـــدث غريب ، لكن الدهشة لا تدفع اليقين ، ومن هنـــا يقول — ﷺ — « نعمتان مغبون فيهما كثير من النـــاس : الصحة والفراغ » (١٨) ٠

وقـــد عقـــد الإمام الغزالى تمهيدا فى كتابه الاقتصاد فى الاعتقاد ، مبينا فيـــه أهمية الوقت فى حياة الإنسان ، ومسئوليته عنه فقال :

« اعلم أن صرف الهمـــة إلى ما ليس بمهم ، وتضييع الزمان بمـــا عنه بد هـــو غاية الضلال ، ونهاية الخسران ، ســـواء كان المنصرف إليه بالهمـــة من العلوم أو من الأعمال ، فنعـــوذ بالله من علم لا ينفع ٠

وأهم الأمور لكافـــة الخلق نيـــل السعادة الأبدية واجتناب الشقاوة الدائمـــة ، وقـــد ورد الأنبياء ، وأخبروا الخلق بأن لله — تعالى —

---

(١٨) رواه البخارى ومسلم ٠ وينظر : خلق المسلم ص ٢٧٤ وما بعـــدها للشيخ محمد الغزالى ط دار الكتب الحـــديثة ٠

على عباده حقـــوقا ووظائف فى افعالهم واقـــوالهم وعقائدهم ، وأن من لم ينطق بالصـــدق لسانه ولم تتزين بالعـــدل جوارحه ، فمصيره إلى النـــار ، وعاقبته للبـــوار ...»(١٩) .

وفى كتـــاب إحيـــاء علوم الدين يقـــول :

« النـــاس إما منهمك وإما تائب مبتدى ، أو عارف منته إما المنهمك فلا يذكر الموت ، وإن ذكره فيذكره للتاسف على دنياه ، ويشتغل بمذمته ، وهـــذا يزيده ذكر الموت من الله بعـــدا .

وأما التائب فإنه يكثر من ذكر الموت لينبعث به من قلبـــه الخـــوف والخشية فيفى بتمـــام التوبة ، وربمـــا يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة ، وقبـــل إصلاح الزاد وهـــو معـــذور فى كراهة الموت ، ولا يدخـــل هـــذا تحـــت قـــوله — ﷺ — « من كره لقـــاء الله كره الله لقـــاءه »(٢٠) فإن هـــذا ليس يكره الموت ولقـــاء الله وإنمـــا يخاف فوات لقـــاء الله لقصوره وتقصيره ، وهو كالذى يتأخر عن لقـــاء الحبيب مشتغلا بالاستعداد للقـــائه على وجـــه يرضاه ، فلا يعـــد كارها للقائه ... وأما العـــارف فإنه يذكر المـــوت دائمـــا ، لأنه موعـــد للقـــائه لحبيبه ، والمحب لا ينسى — قط — موعد لقاء الحبيب ... »(٢١) .

إن أصناف النـــاس لا تخرج عن ذلك التقسيم الذى أشـــار إليه الإمام

---

(١٩) الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٥١ شرح د. إبراهيم عبد الشافى إبراهيم ١٩٩٣ .
(٢٠) متفـــق عليـــه .
(٢١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ٤/٣٣٤ .

الغزالى ، وهــو تقسيم دقيــق على كل حال ، لكن بعض النــاس قــد يظن أن هناك معارضة بين حــديث « من أحب لقــاء الله أحب الله لقاءه » وبين ما ورد عن النبى — ﷺ — من النهى عن تمنى الموت .

والحقيقة غير ذلك فالحــديث الذى فيه نهى عن تمنى الموت إنمــا يحــذر من أن يتمنى الإنسان الموت وهــو ساخط على الدنيا بسبب ما فيها من بلاء ونكبات وأمراض ، أما أن يكون الإنسان متمنيا للموت خــوفا من فتنة الدنيا فإن بعض العلمــاء قــد أجازوا ذلك واستشهدوا على ذلك بمــا ذكر من أن أبا هــريرة — رضى الله عنــه — قــد تمنى الموت فى مرضــه ، وذلك رغبة منه — رضى الله عنه — فى الفرار بدنيه »(٢٢) .

على أى حال : فإنه من الواجب على العاقــل أن يغتنم عمــره لأن هــذا العمر هــو رأس مالــه الضخم ، فالزمن يطوى الآجال ويفنى الحضارات ، وفى هــذا فرصــة للإيقاظ والاعتبار والوقوف مع النفس ، وكما أن الزمن يستغرق التكاليف التى كلف بها العباد ، فهو يستوعب أيضا الأقضــية التى يرسلها الله على النــاس من خير أو شر ، وهى أقضية تفيض بالعبر والعظات « يقلب الله الليــل والنهــار إن فى ذلك لعــبرة لأولى الأبصار »(٢٣) .

والناس — أحيانا ينظرون إلى الأحــداث . ويغفلون عن مرسلها ،

---

(٢٢) فتح البــارى « شرح صــحيح البخــارى » لابن حجر العسقلانى ٧٤/١٣ .

(٢٣) ســورة النــور الآية ٤٤ ويراجع : خلق المسلم للشيخ محمد الغزالى ص ٢٧٤ — ٢٨١ .

ويذوقون السراء والضراء ، ويجهلون من يذيقهم طعومها ، فإذا ضاقوا ذرعا بأمر من الأمور لعنوا الزمان وما جاء به ، وهذا فى حقيقة الأمر جهل بالله ، وغفلة عن أقداره فى عباده ، ومن هنا يقول — ﷺ — ٠

« قال الله عز وجل : يؤذينى ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر بيدى الأمر ، أقلب الليل والنهار »(٢٤) ٠

وهذا يعنى أن الزمان لا يفعل شيئا بالناس — كما يظنون وإنما يسوق ذلك رب الزمان والمكان ، والحق سبحانه لا يسوق الأحوال المختلفة للناس إلا بحكم لا يتدبرها إلا العالمون ، والذين يزدادون بالله إيمانا ويقينا « **يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون** »(٢٥) ٠

ومن أجل الاتعاظ بالزمان يجب دراسة تاريخ الأمم ، كيف تقوم وكيف تنهار ، وكيف تتقلب بين إزدهار وإنحدار والله — سبحانه — يأمر الناس إلى الإلتفات إلى هذه الأطوار المتعاقبة ، وأن يكون لهم وعى ثابت يبصرهم بالانتقاع بها « **قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ٠ هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين** »(٢٦) « **أو لم يسروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق** »(٢٧) ٠

---

(٢٤) أبو داود ٠
(٢٥) سورة الرعد الآية ٢ ٠
(٢٦) سورة آل عمران الآية ١٣٧ ، ١٣٨ ٠
(٢٧) سورة غافر الآية ٢١ ، ويراجع : خلق المسلم ص ٢٨٣ ، ٢٨٤ ٠

سر الحيـاة :

مهمـا إكتشف الإنسان من أسرار فى هـذه الحياة ، ومهمـا وصل العلم إلى حقائق مذهلة فى شتى المجالات ، فإن هـذه الاكتشافات وتلك الحقائق ضئيلة جـدا بالنسبة لمـا فى هـذا الكـون من أسرار وأسرار لا يعلمها إلا الله ، وصـدق الله حين قال :

« ولكن أكثر النـاس لا يعلمون • يعلمون ظاهرا من الحيـاة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلـون »(۲۸) •

ولذلك فإن العلم لم يحـاول أن يبحث كيـف كان الأمر قبـل هذا الوجـود • ولا كيف خلقت وحـداته ، ولن يحاول العـلم أن يتصـور التتابع الفعلى والتسلسل الزمنى لا فى هيئته ، ولا فى مدته ، ولا عـن حقيقة الزمن فى بدايتـه ، لن يحـاول ذلك ، فهـذا فـوق قـدرته والإنسان وهـو وحـدة من وحـدات هـذا الكون لا يعلم كذلك أين كان قبـل أن يخلق على الأرض ، فهـو قـد خلق من عـدم ، إذ لم يكن قبل خلقه شـيئا مذكورا **« هـل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شـيئا مذكـورا »(۲۹) •**

والحقائق التى وصـل إليها العلم بالنسبة للإنسان ، فيها من الأسرار ما يجهلها الإنسان ، فإن تلقيح الحيوان المنـوى الذكرى للبويضـة فى الأنثى ، أمر يستعصى على العقـل أن يتصوره ويستوعبه رغم أنه يتابعه داخـل رحم الأم ، بل ونقـله خارج الرحم ، إذ أنه يجهل وسـيظل

---

(۲۸) سـورة الروم الآية ٦ ، ۷ •
(۲۹) سـورة الإنسـان الآية ۱ •

يجهل كيف تتخلق هذه الحيوانات ، وهذه البويضات ، وما هى العوامل التى ينتج عنها التزاوج « **سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون** »(٣٠) ٠

والشىء المبهم والغامض إلى أبعد الحدود ذلكم هو الروح ، السر الإلهى ، الذى لا يعلمه إلا الله ، ولم يطلع عليه أحد سواه ولم يعط الإنسان الوسائل التى توصله إلى معرفة هذا السر ، ذلك أن علم الإنسان محدود ، بل أنه لم يدرك حقيقة المادة ، ولا الكون المحسوس المحيط به ، فكيف يمكنه أن يتطلع إلى إدراك سر من أسرار الله كالروح(٣١) ٠

ولعل هذا الغموض الذى يكتنف هذا السر الإلهى ، الذى هو الروح أغرى الماديين فى العصور الحديثة أن يسقطوها من الحساب ، لأن كل ما لا تراه الحواس فى نظر هؤلاء غير موجود ، وطالما أن الروح غير مرئية ، فهى إذن شىء لا وجود له فى نظرهم ٠

وقد رد عليهم « ألدوس هكسلى » فى هذا الأمر — رغم أنه لا يؤمن بالدين — قائلا : « إنه لم يعد لنا مناص من الاعتراف بأن بعض البشر مزود بالقدرة على استشفاف المجهول بطريقة خارجة عن نطاق الحواس ، وإن جهلنا بالطريقة التى يتم بها هذا الاستشفاف لا يبرر

---

(٣٠) سورة يس الآية ٣٦ ، وينظر كتاب أولياء الله أهل البركات أهل الكرامات ص ١٤ ، ١٥ عبد الرازق نوفل ط ١ مطابع الأخبار التجارية ٠

(٣١) راجع العقائد الإسلامية ص ١٩٥ ٠

إنكارنا لــه فإنه لا يزيد على جهلنا بالطريقة التى تتم بهــا عملية الإدراك وعملية التذكر . من منــا يستطيع أن يعرف كيــف تتم معجزة الإدراك ؟ أو التذكر ؟ كذلك لا يعلم كيف يتم الاستشفاف ، ولكنه رغم ذلك حقيقة علميــة »(٣٢) .

إن « هكسلي » في الحقيقة يصــل إلى نصف الطريق ، حين يقــرر أن هنــاك طاقــة مجهولة فى الإنسان ، ثم يبين أن جهــل الإنسان بهذه الطاقة لا يعنى أبدا أنهــا غير موجودة ، وهى حقيقة علميــة ثابتة ، والأهم من هــذا كله تقرير « هكسلى » الذى يبين فيــه أننا اعترفنا من قبــل بوجــود طاقات بشرية أخرى رغم أننــا نجهل كنهها تمام الجهل ، وذلك كعملية الإدراك والتذكر .

فالرجل يقصر القــدرة على الاستشفاف ، ثم يقصرها على بعض النــاس ، ولا يجعلها طاقــة بشرية أصيلة ، وهــذا الاعتراف من رجــل لا يؤمن بالعقيدة يعــد — فى حقيقة الأمر — تقــدما كبيرا نحــو الفهم الصحيح للإنسان ، ذلك الفهم الصحيح الذى قررته العقيدة منذ أقــدم الأزمان .

الروح — إذن — طاقــة مجهــولة ، سر غامض ، محجوبة عــن الإدراك ، لكنها مــع ذلك حقيقة(٣٣) .

---

(٣٢) منهج التربية الإســلامية ٣٨/١ محمــد قطب ط ١٤ دار الشروق ١٩٩٣ .

(٣٣) المرجــع الســابق ص ٣٨ ، ٣٩ .

أنها مجهولة فى كنهها ، مبهمة غامضة ، لكن نتائجها واضحة وليست مجهولة ، وليست محجوبة ، لو حاولنا نجن أن نعرف - مثلا - عملية الإدراك فلن نجد إلا اللفظة ذاتها ، ولو حاولنا أيضا أن نعرف عملية التذكر ، فلن نجد إلا اللفظة ذاتها ، ولكننا سنقول عن الروح : إنها الطاقة التى يتصل بها الإنسان بالمجهول وبالغيب المحجوب عن الحواس ، فالاستشفاف عملية من عمليات الروح ، التنبوء عملية من عمليات الروح ، الاستشعار عن بعد (التلباثى) عملية من عمليات الروح ، إنها عمليات جليلة باهرة ، بل ومعجزة ، تجعل الإنسان يقف مبهورا وحائرا أمام هذا السر الإلهى (٣٤) .

كل هذا عمليات جانبية أو نقول : ثانوية ، أما الوظيفة الكبرى لهذا السر فهى الاتصال بالله ، ولكن كيف تم هذا الاتصال ؟ لا ندرى ؟ تماما كما لا نستطيع أن ندرك كيف يتم التذكر والإدراك والاستشفاف والحلم ، لكنه يتم على أى حال ، نحن نعلم ان الروح مهتدية إلى الله بفطرتها ، وهنا تأتى مهمة العقيدة ألا وهى توجيه الفطرة ومساندتها ومساعدتها فى هذا الإهتداء الكامن فى كيانها - وإطلاق الروح من أسرها لكى ترى خالقها (٣٥) .

إن آفة الفكر المادى أنه سخر العقول للشهوات ، وأخرس نداء الروح ، وأطلق نداء الطين ، وحاول - جاهدا - أن يجحد هذه

---

(٣٤) نفسه ص ٣٩ .
(٣٥) نفسه ص ٤١ .

النفخة الإلهية ، هــذا كلــه شد الإنسان إلى أســفل .

إن هــذه النفخة الإلهية التى سرت فى هــذا الكيــان الإنسانى تحتاج إلى بذل الجهــد لكى يسمو الإنسان ويرتفــع عن صنوف الخلق الأخرى ، فمن النــاس من يقــدر هــذه النفخة فيرتفع ، ويجعل الحياة تزدان بالمعرفة ، ومنهم من تغلب عليه نزعة الحمأ المسنون فيجعل الحياة تسود بالشهوات والإنحطــاط إلى اسفل(٣٦) .

ولا نعجب إذا كنا نجــد فى عصرنا هــذا سمة بارزة فى اشباع الهــوى ، واشترضاء الغرائز .

الحيــاة والمــوت :

العقيدة الإســلامية تصحح التصور عن الحيــاة والموت وأســبابهما الظاهرة وترد الأمر فيهما إلى القــدرة الإلهية المدبرة لهــذا الكون .

ولا يجــوز أن يعــد الموت إلا انتقالا من مكان إلى مكان ، لا ينقص فيــه الإدراك الإنسانى شيئا ، بل قــد يتضح ويزيد ، وبنــاء على هــذا الفهم لا يتوجس المؤمن خيفة من المــوت ، فالمــوت ليس ختــاما لمعنى الحياة ، إذ لــو كان كذلك لكانت أمنية للفساق والطغاة ، لأنهم أخــذوا حظوظهم ، وقضوا مآربهم على هــذه البسيطة ، وعن هــذا المنزع قال أحــد الشــعراء :

---

(٣٦) انظر : الجانب العاطفى فى الإسلام ص ٩٩ ، ١٠٠ للشيخ محمــد الغزالى ـــ دار الكتب الحــديثة .

فلــــو انـــا إذا متنـــا تركنـــا
لـكان المـوت راحـة كـل حى
ولكـــن ذا متنــــا بعثنـــا
ونســــأل عــــن كـــل شـىء

إن الموت ابتـداء لحياة أخرى ، تعقب هـذا الموت وهـذا هـو الذى جعـل الناس يقفون طـويلا يفكرون فى هـذه القضية ٠

إن القرآن الكريم يقرر أن وراء هـذه الحياة حياة أخرى تكشف عن جـوهر الإنسان فى الحيـاة الدنيـا وما غرس فيهـا من خير أو شر **« وإن الـدار الآخـرة لهـى الحيـوان لـو كانـوا يعلمـون »(٣٧)**

وفى التعبير بكلمـة « الحيـوان » إشارة إلى أنها حياة غير هـذه الحياة الدنيا ، حياة كاملة ، يجـد المرء فيها وجـوده كلـه ، بدون أوهام ، ولا أحـلام ، ولا خـداع من شهوة أو هـوى(٣٨) ٠

إن النـاس بعـد أن يولـدوا ، ويعيشوا حيـاتهم — راضـين أو ساخطين يتمسكون بهـذه الحيـاة ، ويتشبثون بهـا ويتمنون الخلود فيها ، حتى ولـو كانوا على أسـوأ حال ٠

وهنـا يجىء ذكر الموت ، الذى يفزع منـه كثير من النـاس لأنهم لا يودون فراق هـذه الحيـاة ، ولا يريدون التحـول عنهـا ، بل إنه مصـدر إزعاج وقلق لكل سليم ومريض ، وكل شـاب شيخ ، ومن أجـل

---

(٣٧) سـورة العنـكبوت الآية ٦٤ ٠
(٣٨) الإنسان فى القرآن الكريم ص ٢٦٦ ، والتصور الإسلامى ص ٦٧ ٠

هـذا كرهـوا الموت وتعلقوا بالحيـاة، كما يقـول أبو العلاء المعرى :

ودنيـانا التى عشـقت واشـقت

كذلك العشق ــ معروفا ــ شـقاء

سـالناها البقـاء على اذاهـا

فقالت عنـكم خطـر البقـاء

وليس غريبـا أن نجـد تصورات غريبة تجمعت حـول قضـية الموت ، عميقة الجـذور ، قـديمة قـدم الحياة الإنسانية فحيث كانت حيـاة كان الموت واقفـا إزاءها ، وما ولـدت الحياة وليدا إلا نسبته إلى الموت ، كما ينسب الولـد إلى ابيـه :

إلا كل حى هـالك وابن هـالك

وذو نسب فى الهـالكين عريق

وهـذا هـو قـول الشاعر المـاجن أبو نواس ، الذى أسرف على نفسه ، وعاش لذاته الحاضرة ، لكن صـدمات الموت تذهب بخمـره ، فيصحو على دقات هـذا الطارق المفاجىء .

وقـد كان من أثر النظرات المتشائمة عن الموت أن تولدت تصورات ومذاهب ومعتقدات شتى ، أصبغت بهـا حياتهم ، وجرى عليها سلوكهم ، فبعضهم استخف بالحياة ، وبعضهم فضـل الانتحار والخروج من الحياة ، وهـذا ما نشهده الآن فى المجتمعات الغربية ، حيث تنتشر الوجـودية وغيرها من المذاهب الإلحـادية الإباحيـة .

وهـذه المنازع المتشائمة ليست فى الحقيقة وليـدة هـذا العصر ، بل هى قـديمة قـدم الإنسـان نفسـه ، ويبـدوا هـذا واضـحا فى

الفلسفة الهندية أيضا ، التى غلبت روح التشاؤم عليها حتى قال بوذا (الزعيم الروحى للهند) ومؤسس الديانة البوذية ٠

« إن الولادة : هى أم الشرور جميعا ، ومع ذلك فالولادة ماضية فى طريقها ، لا تقف عند حد ، إنها ماضية إلى الأبد »(٣٩) ٠

وسار فى هذا الطريق كثير من اتباع المسيحية فى أوربا وأمريكا ، فجعل ذلك كثيرا من فلاسفة الغرب ينظرون إلى الحياة نظرة يسودها الفتور والتشاؤم ، يستعجلون الموت للخلاص منها ، بل إن إحدى المؤسسات البريطانية فى لندن اعلنت عن إخراج كتاب خاص للراغبين فى الانتحار ، وهذه المؤسسة يطلق عليها اسم «الخروج من الحياة»(٤٠) كما سبق ان أوضحنا قبل ذلك ٠

وهذا هو الفيلسوف الملحد « فردريك نيتشه » يقول « إن الحياة عبء ثقيل وإن الإنسان إنما يوجد فى هذه الحياة ليعذب ٠٠٠ يجب أن يفرح بالمنية المنقذة من الحياة ، والمعيدة للعدم »(٤١) ٠

هكذا يرى الملاحدة الحياة ، عبء ثقيل يواجه الإنسان ، وأقذار وأوحال على حد قول « جان بول ساتر » زعيم الفلسفة الوجودية ٠

« إن الإنسان وجد فى هذا الوجود المضطرب المتناقض ، وهو ملقى فى « مزبلة » الحياة ، صائر إلى العدم ، وإذن فلكى يحقق وجوده يجب أن يكون حرا ، ولكى تتحقق له هذه الحرية يجب

---

(٣٩) المرجع السابق ص ٢٣٣ وما بعدها ٠
(٤٠) فى العقيدة الإسلامية والأخلاق ص ٥٥ ٠
(٤١) الإنسان فى القرآن الكريم ص ٢٥٨ ٠

إلا يقيد نفسه بالمجتمع ، وأن يعلل نفسه بالآمال الكواذب فيما بعد هذه الحياة . فلا دين ، ولا خلق ولا مبادىء ، وبهذا يتحرر الإنسان »(٤٢).

ومن ثم فإن العقيدة الإسلامية تصحح هذه المفاهيم الخاطئة وتجابه هذه الفلسفات الملحدة ، وترد الأمر فى قضية الحياة والموت إلى القدرة المدبرة ، وتبين أن الاعتقاد بالحياة بعد الموت يزود الإنسان بالطمأنينة ، إذ أنه يدرك أنه مسافر من عالم إلى عالم آخر ، وأنه فى رعاية رب رحيم ، كما أن هذه الحياة ليست سجنا مظلما ترتطم فيه آمال الإنسان بنهاية مغلقة .

يقول صاحب كتاب عقيدة المسلم :

« يعلم الناس جميعا أن الموت نهاية حاسمة لكل حى ، ومصير لابد أن ترده كل نفس ، ولكن أكثرهم يأخذ عن الموت فكرة غامضة ، ويكون له صورة مغلوطة مشوهة ، ينال الإنسان منها ما ينال الدواب النافقه ، تحت أكوام التراب ، أو الأنعام المهضومة فى بطون الآكلين، ثم لا شىء بعد ذلك .

وهذا ضلال بعيد .. فليس الموت فناء ولا شبه فناء ... ولئن كانت الروح تفارق الجسد إلى حين ، فإن ذلك لا يغير من حقيقة الإنسان شيئا .

فالجسد كالثوب ، يكتسى الإنسان به ويعرى عنه ، ولا مدخل له فى جوهره .

---

(٤٢) الوجودية فلسفة الوهم الإنسانى ص ٨٢ د. محمد إبراهيم الفيومى ط مجمع البحوث الإسلامية ١٩٨٤ .

ولا يجــوز أن نعــد الموت إلا إنتقالا من مكان إلى مكان ، لا ينقص فيــه إدراك المرء لحقائق الوجــود شيئا ، ولا يخف إحساسه بهــا ، بل قــد يتضــح ويزيد .

ولــو فهمنا تلك الحقيقة لمــا اكترثنا للموت ، ولمــا تهيبنا الاقبال عليه ، ولمــا شعرنا بالتوجس من بوادره ومواطنه »(٤٣) .

إن المؤمن ينظر إلى هــذا المصير المحتوم على أنه حلقــة ضرورية للخلود الأبدى ، ذلك أن الإنسان لم يخلق للعــدم ، وإنمــا خلق للبقاء ، ومتاع الدنيــا أهــون عند المؤمن من أن يأسى على فراقه بالموت ، لأن الموت إنمــا هــو القنطرة إلى المتاع الدائم **« كل نفس ذائقــة الموت وإنمــا توفــون أجــوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النــار وادخــل الجنــة فقــد فــاز وما الحيــاة الدنيــا إلا متــــاع الغــرور »**(٤٤) **« قــل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا »**(٤٥) .

أن الحــق — سبحانه — لا يسلب نعمة أنعم بهــا على الإنســان إلا ويعطى نعمة أكبر منها ، فلا يسلب هــذه الحيــاة القصــيرة الضعيفة إلا ويعطى حياة أوسع وأجمل وأبقى ، لأنه الجواد الكريم(٤٦) .

ما بعــد الحيــاة :

لا يكاد الإنسان يترك هــذه الحياة حتى يبــدأ حسابه ، ويظهر

---

(٤٣) عقيــدة المســلم ص ٢٤٢ .
(٤٤) ســورة آل عمــران الآية ١٨٤ .
(٤٥) ســورة النســاء الآية ٧٧ .
(٤٦) الإيمــان والحيــاة ص ١٥٤ .

مصيره ، ويدخـل فى طور آخر ألا وهـو « عـالم البرزخ » وحيـاة البرزخ لهـا قوانين خاصـة لا يعلمها إلا الله – سبـحانه وتعـالى – فمـا يحـدث فى هـذه الحياة أمر من الأمور السمعية ، التى لا دخـل فيهـا للعقـل .

وذلك العـالم البرزخى هـو الفاصـل بين الدنيا والآخرة ، ومكانه القـبر ، وهـو كل مكان يستقر فيه الجسد بعـد مفارقة الروح ، ولـو كان هـذا الاستقرار فى قيعان البحار والمحيطات ، ولـو كان فى جوف الوحوش ، ولـو أحرق وذرى فى الرياح .

والعـذاب فى القـبر ممـكن عقـلا ، لأن الفاعـل هـو الله – سبحانه وتعالى – ، وهو القادر على كل شىء .

وما يقـال من أن الوحـوش قـد تفترس الإنسان ، وهـذا يعنى انعـدام القـبر – فمردود ، ذلك أن المقاييس التى نقيس بها الأشياء ، لا يخضع لهـا عالم الغيب ، وشمول القـدرة الإلهية تجعل بطون السباع قبـورا ، وتجعل ما نراه قـد احترق قابلا للسؤال وقادرا على الجواب ، ونحن فى الفضاء لا نرى شيئا ، والحقيقة أن هنـاك آلافا من الأجهزة تبث صورا وأصواتا ، وحين نقـوم بفتح الجهاز نرى صورا تتحـرك ، ونسمع أصواتا مفهومه ، وهـذا مع عـدم رؤيتنا لأى شىء فى الفضـاء الخارجى ، فكيف بواهب العـلم وخالق الإنسان ، أيعجز جـل شـأنه عن جعـل المحترق حقيقة مجسمة تتلقى النعيم أو العـذاب(٤٧) .

---

(٤٧) راجـع : نظرات فى العقيدة الإسـلامية ص ٢٢٢ .

وإذا كان العقل يحكم بإمكان العــذاب أو النعيم للميت فى قبره ، فإن القرآن الكريم والسنة النبوية ينصان على ذلك ، ومن هـــذه النصوص ما يلى :

١ — يقــول الله تعالى فى شأن آل فرعون : « **النــار يعرضــون عليهــا غــدوا وعشيا ويوم تقــوم الساعة ادخلــوا آل فرعــون أشــد العــذاب** »(٤٨) العطف بالواو هنا يقتضى المغايرة أى أن عرضهم على النـــار فى وقت غير ادخالهم فيها يوم القيامة والعرض فى الغـــدو والعشى لا يكون إلا فى الدنيا ، وهـــذا يعنى أيضـــا أن هـــذا العرض إنمـــا يكون فى القـــبر ٠

٢ — يقول تعالى : « **ممــا خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا نارا** »(٤٩) والعطف بالفـــاء يقتضى الترتيب والتعقيب ، وهـــذا يعنى أن إدخالهم النـــار بعـــد الإغراق مباشرة ، وإذا كانت القيامة لم تقم بعـــد ، فهم حينئذ فى نار الدنيـــا ٠

٣ — قـــوله — ﷺ — : « تنزهـــوا من البـــول فإن عامة عـــذاب القـــبر منـــه »(٥٠) ٠

٤ — روى عن أنس — رضى الله عنه — أن النبى — ﷺ — قال « لـــولا أن تدافنوا لدعـــوت الله أن يسمعكم من عـــذاب القبر »(٥١) ٠

---

(٤٨) ســـورة غافـــر الآية ٤٦ ٠
(٤٩) ســـورة نـــوح الآية ٢٥ ٠
(٥٠) رواه الإمام أحمـــد فى مسنده ٠
(٥١) رواه مســـلم ٠

٥ — وروى أنه — ﷺ — مر بقبرين جديدين فقال : « إنهما ليعذبان وما يعذبان فى بكبيرة ، أما أحدهما : فكان لا يستنزه من البول والآخر كان يمشى بالنميمة » (٥٢) .

والأدلة على عذاب القبر ونعيمه كثيرة ، وكلها تتضافر على إثبات أن قبل الجنة والنار تحفل بالبشرى ، أو تطفح بالإنذار .

وهذا وصف مفصل لمقدمات اليوم الآخر :

عن البراء بن عازب — رضى الله عنه — قال :

« خرجنا مع رسول النبى — ﷺ — فى جنازة رجل من الأنصار ، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد ، فجلس رسول الله — ﷺ — مستقبل القبله ، وجلسنا حوله وكان على رؤوسنا الطير وفى يده عود ينكت فى الأرض ، فجعل ينظر إلى السماء ، وينظر إلى الأرض ، وجعل يرفع بصره ويخفضه ثلاثا ، فقال : استعيذوا بالله من عذاب القبر ، مرتين أو ثلاثا ، ثم قال « اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر (ثلاثا » .

ثم قال : إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة ، نزل إليه ملائكة من السماء ، بيض الوجوه ، كان وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجىء ملك الموت — عليه السلام — حتى يجلس عند رأسه فيقول :

---

(٥٢) نيل الأوطار للشوكانى ، يراجع : نظرات فى العقيدة الإسلامية ص ٢٣٥ وما بعدها .

أيتهـا النفس الطيبة (وفى رواية المطمئنة) اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كمـا تسيل القطرة من السـقاء ، فيأخـذها ، فـإذا أخـذها لم يدعـوها فى يده طرفـة عين ، حتى يأخـذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحـة مسك وجـدت على وجـه الأرض ، قال : فيصعدون بهـا ، فلا يمرون بهـا — يعنى على ملأ من المـلائكة — إلا قالـوا : ما هـذه الروح الطيبة ؟ فيقولون : فلان بن فـلان ، بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا ، حتى ينتهوا بهـا إلى السماء ، فيستفتحون لـه ، فيفتح لـه ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها ، حتى ينتهى بهـا إلى السماء السابعة ، فيقول الله عز وجـل :

« اكتبوا كتـاب عبدى فى عليين ، وأعيـدوه إلى الأرض فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه ، فيقـولان : من ربك ؟ فيقول : ربى الله ، فيقولان ما دينـك ؟ فيقول : دينى الإسـلام .

فيقولان : ما هـذا الرجل الذى بعث فيـكم فيقول : هـو رسول الله ، فيقولان : ما يدريك ؟ فيقول ، قرأت كتاب الله ، وآمنت به وصدقته .

فينادى مناد من السماء : أن قـد صـدق عبدى ، فافرشـوه من الجنـة وافتحوا لـه بابا إلى الجنـة .

قال : فيأتيه من روحها وطيبها ، ويفسح لـه فى قبره مد بصره .

قال : ويأتيه رجـل حسن الوجه ، حسن الثيـاب ، طيب الريح فيقول : أبشر بالذى يسرك ، هـذا يومك الذى كنت توعـد .

فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجـــه الحسن يجىء بالخير ٠

فيقول : أنا عبـــدك الصـــالح ٠

فيقول : رب اقم الساعة ، رب اقم الساعة : حتى ارجـــع إلى أهلى ومـــالى ٠

وإن العبـــد الكافر إذا كان فى إنقطـــاع من الآخرة وإقبـــال من الدنيـــا ، نزل إليـــه ملائكة سود الوجوه المسوح ، فيجلسون منـــه مد البصر ، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأســـه فيقول أيتها النفس الخبيثة ، أخرجى إلى ســـخط من الله وغضب ٠

فتفرق فى جسده ، فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبـــلول ، فيأخـــذها ٠

فإذا أخـــذها لم يدعوها فى يده طرفـــة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ، ويخرج منهـــا كانتن جيفـــة وجـــدت على وجـــه الأرض فيصعدون بها ، فلا يمرون بهـــا على ملأ من الملائكة إلا قالـــوا : ما هذه الروح الخبيثـــة ٠

فيقولون : فلان ابن فلان ، بأقبح أسمائه التى كان يسمى بهـــا فى الدنيا ، حتى ينتهوا بهـــا إلى السماء الدنيا ، فيستفتح لـــه ، فلا يفتح لـــه ٠

ثم قرأ رســـول الله — ﷺ — :

« لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنـــة حتى يلج الجمـــل فى ســـم الخيـــاط »(٥٣) ٠

---

(٥٣) ســـورة الأعـــراف الآية ٤٠ ٠

فيقول الله ــ عز وجــل ــ : اكتبوا كتــابه فى ســجين ، فى الأرض السفلى ، ثم تطرح روحــه طرحا ، ثم قرأ :

« ومن يشرك بالله فكانمــا خر من السماء فتخطفه الطــير أو تهوى به الريح فى مكان ســحيق »(٥٤) ٠

فتعاد روحــه فى جسده ، ويأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان لــه من ربك ؟ فيقول : هــاه هــاه لا أدرى ٠

قال : فيقولان : ما دينــك ؟ فيقول : هــاه هــاه لا أدرى ٠

فيقــولان لــه : ما هــذا الرجــل الذى بعث فيــكم ، فيقــول : هــاه هــاه لا أدرى ٠

وينادى مناد من السماء : أن كذب فافرشــوه من النار ، وافتحــوا لــه بابا إلى النــار ٠

فيأتيه من حــرها وسمومها ، ويضيق عليــه قــبره حتى تختلف أضــــلاعه ٠

ويأتيه رجــل قبيح الوجــه ، قبيح الثياب ، منتن الريح ٠

فيقول : أبشر بالذى يسوؤك ، هــذا يومك الذى كنت توعــد ٠

فيقول : من أنت ؟ فوجهك الوجــه القبيح يجىء بالشر ٠

فيقول : أنا عملك الخبيث ، فيقول : رب لا تقم الساعة »(٥٥) ٠

وروى الإمام البخارى عن ســعيد عن قتــاده عن أنس ، أن رسول الله ــ ﷺ ــ قــال :

---

(٥٤) ســورة الحــج الآية ٣١ ٠

(٥٥) رواه الإمام أحمـــد فى مسنده ، وابن ماجــه ، وابو داود ، والحـــاكم ٠

« إن العبد إذا وضع فى قبره وتولى عنه أصحابه ، أنه ليسمع قرع نعالهم ، فيأتيه ملكان ، فيقعدانه ، فيقولان له : ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد - ﷺ - ، فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبد الله ورسوله .

فيقول له : أنظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة ، فيراهما جميعا »(٥٦) .

ونحن إزاء هذا الأمر لا ندرى شيئا عن كنه الجزاء فى القبور ولا ندرى أيضا حدود ما يصيب الأبدان والأرواح من هذا الجزاء ، غير أننا نؤمن ونوقن بهذا الجزاء ، أما كيفية وقوعه وتفاصيله ، فهذا أمر من الأمور التى يجب علينا إلا نخوض فيها ، ذلك أن أمر المادة كأمر الروح غريب ، وما يتجلى للناس من أسرار فى هذه الحياة ، يجعلنا نزداد يقينا بما جاء به الوحى ، غير أننا نكل الدقائق فى هذه الأمور للمستقبل حتى لا يكون الكلام فى هذه المسائل رجما بالغيب(٥٧) .

والله - سبحانه - قد أودع فى هذا الكون من الأسرار التى كشفها لنا ما يقرب من عقولنا قضايا الغيب التى لا نهاية لها(٥٨) .

والإنسان حين ينظر إلى حياته ، يجد أن ما يعرفه هو أقل القليل وأن ما غاب عنه هو الكثير ، وحتى إذا ما أضفنا إلى معارفنا

---

(٥٦) رواه الإمام أحمد فى مسنده .

(٥٧) يراجع : عقيدة المسلم ص ٢٤٠ .

(٥٨) الحياة والموت ص ١٠٥ الشيخ محمد متولى الشعراوى ، ط أخبار اليوم ١٩٩١ .

ما نشاهده فى التليفزيون أو غيره من الأجهزة التى تنقل إلينا الأحـــداث البعيدة بالصورة والصوت ، فإن هـــذا الذى نعرفه منها على كثرته هـــو أقـــل القليل بالنسبة لمـــا يحـــدث فى الدنيا ، فمثلا قـــد يكون الإنسان فى مكان ويجلس مـــع أشخاص ، ويكونوا مشهورين لنـــا ، لكن ما فى أذهانهم وعقـــلهم وصـــدورهم يغيب عنـــا ٠

وهـــذه الأبصار لم تر الأشـــعة فـــوق البنفسجية والأشـــعة تحت الحمراء ولم تدرك العقول حقيقة المغناطيسية أو الجاذبية ، مع أنها تدرك آثار ذلك كلـــه ، فهل فى إمكان العقـــل الإنسانى أن يكيف عالم البرزخ ؟

ان عالم البرزخ ، لا مجال فيـــه للحس ، لأن الحس مجال ضـــيق ومحـــدود ، وهـــذه القضايا لا تخضع للحس ولا للتجربة الحسية التى تأتى بهـــا الحـــواس(٥٩) ٠

ومن هنـــا نستطيع أن نقول : إن وســـائل المعرفة لا تسعفنا فى مثل هـــذه القضايا ، ويجب علينا أن نأخـــذها من الخبر الصادق ٠

إن أقرب شيء إلى الإنسان هـــو نفسه التى بين جنبيه ، ومـــع ذلك فهـــو أجهل الناس بهـــا ، فإذا كان هـــذا هـــو موقفه من أقرب شيء إليـــه ، فكيف ببـــاقى أسرار الدنيـــا ، وصـــدق الله العظيم إذ يقـــول **« وما أوتيتم من العلم إلا قليـــلا »**(٦٠) ٠

---

(٥٩) العقيدة الإســـلامية والأخـــلاق ص ٢٣٦ ويراجع : كتابا حقـــائق وحـــديث عن الروح للشيخ عبد الحميد كشك ٠

(٦٠) ســـورة الإسراء الآية ٨٥ ٠

الثبـات والتطـور فى الحيـاة :

استولت فكرة التطـور على أذهان الناس حتى اصطـدمت بالدين (عقيدة وشريعة) ولا تمـر ساعة من نهار إلا ويذكر فيها لفظ التطور ، ولا يوجـد عمل إلا ودخلت فيـه فكرة التطور .

وقـد اصطدمت فكرة التطور بمفهوم الدين فى الغرب ، وقام صراع عنيف منذ عصر النهضـة الذى قام على أسـاس لا دينى ، وكانت النهاية ابعـاد الدن وتنحيته عن مجالات الحيـاة ، ولم يبـق لـه إلا النـذر اليسر فى دنيا النـاس ، يشبعون ميلهم الشخصى بالذهاب إلى الكنيسة ، وفتر الصراع فى القرنين الثامن عشر والتاسـع عشر ، لأن الدين فى ذلك الوقت ـــ لم تعـد لـه قـدرة على الصراع .

أما بالنسبة لبلاد الشرق الإسـلامى فإن الصراع ما زال مستمرا وقائما بين الدين والتطور ، والدين لـه قبضته فى نفـوس الجماهير عقيدة وفكرا وسـلوكا ، والتطور لم يصـل إلى مداه بعـد ، ومن ثم فما زالت المعـركة قائمـة (٦١) .

والحقيقة التى نود توضيحها هنـا ، هى أن هناك جـوانب ثابته فى الحيـاة لا تغيير فيها ولا تبديل ، وهنـاك جوانب متطورة (صور متطـور وجـوهر ثابت) .

فالعقـل البشرى يتطور وينمو على الدوام ، وتجـد لـه التصورات والخبرات ، ومـع هـذا التطور ، فإنه لا يقفز وحـده خارج الكيـان

---

(٦١) التطور والثبات فى حيـاة البشرية ص ٦٥ ، محمـد قطب ـــ دار الشروق ط ٩ ١٩٩٣ .

الإنسانى ، ويتطور وحـــده ، لكنه ينمو ويتطور داخـــل الكيان الإنسانى الكلى ، وكذلك نتاج الإنسان العلمى والمـــادى يخضع لهـــذا التطور ·

وكل شيء فى الحياة يسير على هـــذه القاعـــدة ، فلو أخـــذنا على سبيل المثال رغبـــة الإنسان فى السكن نجـــدها رغبـــة فطرية يحققهـــا الإنسان حسب ظروفه ، وتتغير حسب الإمكانات المـــادية المتاحـــة لدى الإنسان ، وتتطور حسب قـــدراته العلمية والعقلية والفنية ، فهى تظـــل فى خطها الأصيل وتتطور فى إطار معين ، وهكذا أمور الحيـــاة الأخرى تتطور وتتغير ، بينما يظـــل الأصـــل ثابتا لا يتغير ولا يتطور(٦٢) ·

وعلى الجانب الآخـــر نجـــد أن هنـــاك حقـــائق ثابتة لا تتغير ولا تتطور ، فقضية الربوبية والخلق من القضايا الرئيسية والحقائق الأزلية لا ســـبيل إلى تغييرها ، فإلى الله — سبحانه — ينسب الخلق كلـــه ، لا خالق إلا هو فى السموات والأرض ، هـــذه هى الحقيقة العلمية التى منها تنشأ كل حقائق الوجـــود الأخرى ·

وما دام هـــو الإلـــه الخالق ، فمقتضى الألوهية أن يقـــوم العبـــاد لعبـــادته **« وما خلقت الجـــن والإنس إلا ليعبدون »**(٦٣) ·

والعبادة فى الإســـلام لفظ شامل لكل مناحى الحيـــاة ، وليست شـــعائر محصورة ومحـــدودة ، إنها كل شيء ، فالعباد مخلوقون لهـــذه المهمة ، وكل عملهم فى الحياة المفروض أنه عبادة ومن هنا يلتقى العمل بالشعائر التعبدية فيمتزجا ، ويصيران شيئا واحـــدا فى الإسلام ، وما دام

---

(٦٢) التصـــور الإســـلامى ص ٦٨ ·
(٦٣) ســـورة الذرايات الآية ٥٦ ·

أن الإلــه واحــد فمقتضى هــذه الواحــدنية هــو : إفراده سبحانه بالعبادة ، فلا يعبد غيره فى الأرض ، ولا يقتصر التوحيد على عــدم الركــوع والسجود لأحــد غير الله فقط ، بل يجب ألا يحب الإنسان إلا الله ولا يبغض إلا لله ، يأكل ويشرب ويلبس لله ، يملك ويقاتل لله ····

تلك هى أبرز القضايا الثابته ، التى يجب إلا تتغير بتغير الزمان والمــكان ·

والإســلام يقيم نظامه على حقيقتين هامتين : حقيقة وجــود الخالق وحقيقة توجــه الفطــرة الإنسانية إليــه ، والعقيدة فى الإســلام تلبى فطرة الإنسان المتوجهــة إلى الله ·

والعقيدة ايضا تنظم حياة الإنسان ، بمقتضى عبوديته لله ، ومن هنا فإن التشريع والتنظيم كلــه فى الحياة يجب أن يكون مستمدا من هــذه العقيدة ، وهى من جهة اخرى تجعل التشريع متمشيا مع الفطرة الإنسانية فى الثبات والتغير على السواء ، ومن ثم تلتقى العقيدة بالفطرة ·

إن العقيدة فى الله أمر ثابت ، وذلك لثبات الحقيقة التى تستمد منها إلا وهى وجــود الخالق ووجــود المخلوق ، هى ثابته فى جميع الأطوار التاريخية لم يطرأ عليها تغيير أو تبديل ، إنها دعــوة واحــدة على مدار التاريخ يقــول تعالى :

« وإلى عاد اخاهم هــودا قال يا قــوم اعبدوا الله ما لــكم من إلــه غــــيره »(٦٤) ·

---

(٦٤) ســورة الأعــراف(الآية ٦٥ ·

« وإلى ثمـود أخاهم صالحـا قال يا قـوم اعبدوا الله ما لـكم من إلـه غـيره »(٦٥) ·

« وإلى مدين أخاهم شـعيبا قال يا قـوم اعبدوا الله ما لـكم من إلـه غـيره »(٦٦) ·

دعـوة لا تتغير ولا تتبدل ·

أما الزعم الغربى بتطـور العقيدة فى الله ، فهو زعم باطـل يوحى إيحاء خبيثا مؤداه : أن العقيدة أمر بشرى ، ابتدعـه البشر فى عصر الجهالة ، ولابد من تغييره فى عصر النـور ·

والحقيقة أن الذى تطور لم يكن هـو العقيدة فى الله ، وإنمـا هو انحراف العقيدة فى الله ، حيث عبدت الأوثان ، وعبد الطوطم ، وعبدت الطبيعة ، كانت البشرية فى كل ذلك تنحرف عن العقيدة الصحيحة فى الله ، تتطـور فى كـل مـرة مـع تطـور التصـورات البشرية ، والتشابكات الاجتماعية والاقتصادية ··· ولم تكن فى شىء من ذلك تتبـع دين الله(٦٧) ·

ومن هنـا فإن تطور التصورات المنحرفة فى العقيدة يفقـد الدلالـة التى الصقها به علم الاجتماع الغربى ، فليس ذلك دليلا على أن الدين قـد اخترعه البشر ، وليس دليـلا على أن العقيدة فى الله عنصر متطور ، يأتى عليـه وقت يزول من النفوس بحكم التطور ، بل إن تلك الإنحرافات

---

(٦٥) سـورة الأعـراف الآية ٧٣ ·
(٦٦) سـورة الأعـراف الآية ٨٥ ·
(٦٧) التطـور والثبـات ص ١٨٥ ، ١٨٦ ·

المتطورة تعطى دلالة عكسية لما يقوله علم الاجتماع الغربى ، فهى تعطى دلالة واضحة على ثبات العقيدة ، ففى الأجيال كلها ، وعلى كافة المستويات توجد عقيدة فى الله تهتدى أو تضل ، غير أنها تأخذ صورا شتى ، فهى عنصر من العناصر الثابتة فى الكيان الإنسانى ، وما أثبتته الفطرة منذ القدم لا يمكن أن يلغيه الواقع المنحرف ممن فسدت فطرتهم(٦٨) .

إن تطبيق فكرة تطور على الدين تؤدى إلى ما ذهب إليه «فويرباخ» من الإعتراف بأن الدين من صنع الإنسان نفسه ، والقول بأن فكرة « الله » مثل أعلى وضعه الناس لأنفسهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

إن هذه الأفكار الباطلة تنطبق على الأديان الوضعية التى اخترعها البشر ، أما الدين الذى هدى الله إليه الإنسانية منذ آدم — عليه السلام — فلا يقبل هذه النظرية على أى حال من الأحوال(٦٩) .

إن الله — سبحانه — خلق الإنسان ، وأهبطه إلى الأرض ، وأعانه على السير فى الحياة ، وتعهده بإرسال الرسل على فترات مختلفة على مدى التاريخ ، وظلت رسل الله تترى تذكر البشرية ، وتوجهها إلى طريق الخير حتى انتهى المطاف بإرسال سيدنا محمد — ﷺ — فكانت رسالته فجر التمام ومسك الختام ومكملة لدين الله الذى جاء به رسل الله من قبل ، وفى ذلك الوقت كانت البشرية قد وصلت إلى تمام

(٦٨) المرجع السابق ص ١٨٧ .

(٦٩) الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة ص ٦٢ ، ٦٣ د. يحيى هاشم فرغلى — ط دار المعارف .

نضجها ، فكان الدين الخاتم وهـــو الإسلام ، الذى أكمـــل الله به الدين ، وكانت شريعته هى الشريعة الخالــدة الصالحة لكل زمان و مكان ٠

وهكذا كانت ضرورة ملحة لهــذا الدين بعــد ضياع معالم الرسالات السماوية التى أرسلها الله ـــ تعالى ـــ لعباده ، فجــاء شاملا لكل مناحى الحيــاة ، وملبيا لـــكل حاجات الإنسان (٧٠) ٠

وعقــائد الإسلام ثابتة لا تغيير فيها ولا تبديل ، وكذلك توجيهاته وتنظيماته للحيــاة البشرية ثابته ، لانها تقــوم على جوانب ثابتة فى كيــان الإنسان ، لا تتغير بتغير الأوضاع السياسية والاقتصادية والعلمية ٠

ان الإســلام هــو كلمة الله النهائية للبشر جميعا **« اليــوم أكملت لــكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لــكم الإســلام دينا »**(٧١) ٠

حيــاة الخــلود :

من المعلوم أن للدنيــا نهاية مقررة ـــ كما سبق أن أوضحنا ـــ تتشق بعــدها السماء ، وتفيض البحار ، وتنسف الجبــال ، ويهــلك الحرث والنسل وتطــوى صفحات هــذا الكون من بدء الخلق إلى نهايته ٠

ولسوف يأتى الوقت ـــ الذى لا يعــلمه إلا الله ـــ ينتهى فيــه كل شىء ، هــو موعــد الساعة ، والتى صرح القرآن الكريم أنه لا يعــلمها أحــد من الخلق **« يسألونك عن الساعة أيان مرساها قــل إنمــا علمها**

---

(٧٠) العقيدة الدينية ص ١٣ وما بعــدها د٠ محمود حمدى زقزوق ٠

(٧١) ســورة المــائدة الآية ٣ ويراجــع : التطــور والثبــات ص ٢٢٩ وما بعــدها ٠

عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هــو ثقلت فى السموات والأرض لا تاتيكم إلا بغتــه »(٧٢) ٠

« يسالك النـــاس عن الساعة قــل إنمـــا علمها عند الله وما يدريك لعــل الساعة تكون قريبــا »(٧٣) ٠

« إليــه يرد علم الساعة »(٧٤) ٠

وإذا كان الله — عز وجــل — قــد استأثر بعلم الساعة ، فقــد شاءت إرادته سبحانه أن تكون هنـــاك دلائل وعلامات تدل على نهـــاية هـــذا الـــكون ٠

يقـــول الشيخ محمـــد الغزالى ٠٠

« وعندى أن المبرر الأول لوجـــود الحيـــاة وبقائها هـــو وجـــود اناس — قلو أو كثروا — يعرفون ربهم ويؤدون واجبه حقـــا ٠

فإذا خلت الدنيـــا من هـــؤلاء ، وبدأن مثلهم لن يتمخض عنـــه المجتمع البشرى فى طـــو ل البلاد وعرضها ، فمعنى ذلك أن الدنيا أفلست وحقت عليها الكلمة ، وأن فض هـــذا السوق أصبح محتوما ٠

وعلامات الساعة التى ذكرها القرآن الكريم ، وأفاضت فيها السنة تشير إلى هـــذا فى جـــلاء ٠

إن الرسل الكرام بذلوا جهود الجبـــابرة فى محاربة الجاهليـــة ، وقيادة الناس إلى الله ، وقـــد استجابت لهم أمة من النـــاس ، ومشت حيفا

---

(٧٢) ســـورة الأعـــراف الآية ١٨٧ ٠
(٧٣) ســـورة الأحـــزاب الآية ٦٣ ٠
(٧٤) ســـورة فصـــلت الآية ٤٧ ٠

من الدهر تحت لوائهم ، وستظل تمشى إلى ما شـاء الله ٠

فإذا انكمشت أمتهم ، ونكس لواؤهم ، وطمست شرائعهم ، وهـان على النـاس أمرهم ، وقامت الحضـارات المختلفـة على إنكار وحيهم وإقصاء هديهم ، ثم شاع الفساد ، واستبيحت الحرمات ، وغلقت المعابد ، ونسى الله – جـل وعـلا – وماج الناس بعضهم فى بعض ، يومئـذ يستحصد هـذا العمران كلـه ، ويقترب للناس حسابهم ٠

أجـل ٠٠ قـد تقـدم البشرية خطـوات رحيبـة إلى الأمام فى ميادين العلم ، حتى لتسخر كل شىء لخـدمة الإنسان وترفيه عيشه ، بيدأن الإنسان عندما يصـل إلى هـذه الدرجـة من الارتقـاء المـادى يكون قـد وصل إلى الحضيض من الناحية الأدبية ، سيطغى ويقتل ويعربد ، ويتـأله ٠

« حتى إذا أخـذت الأرض زخرفها وازينت وظـن أهلهـا أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليـلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغـن بالأمس »(٧٥) ٠

وهـذا الكلام الذى ذكرناه يتفق مـع ما جاء فى السنة فى قوله – ﷺ – « من أشراط السـاعة أن يرفـع العـلم ، ويظهر الجهـل ، ويفشو الزنا ، ويشرب الخمر ، ويذهب الرجال وتبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحـد »(٧٦) ٠

---

(٧٥) سـورة يونس الآية ٢٤ – عقيدة المسلم ص ٢٢٤ ٠
(٧٦) مسـلم – كتـاب العـلم ٠

وهنـــاك علامات كبرى للساعة منها :

١ — شيوع الكفر والإلحـــاد ، يقول — ﷺ — « لا تقـــوم الساعة على أحـــد يقـــول : الله . الله »(٧٧) .

٢ — طلوع الشمس من مغربها ، يقول — ﷺ — « إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها ... »(٧٨) .

٣ — خروج دابة تكلم الناس قال تعـــالى : **« وإذا وقـــع القـــول عليهم اخرجنـــا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن النـــاس كانوا بآيتنـــا لا يوقنـــون »**(٧٩) .

٤ — خروج المسيح الدجال ، ذلك الرجـــل الذى يدعى الألوهيـــة ويستدرج النـــاس ويغـــويهم ، فعن أنس بن مالك — رضى الله عنـــه — قال : قال رســـول الله — ﷺ — : « ما من نبى إلا أنذر قـــومه الأعـــور الدجـــال .. »(٨٠) .

٥ — خروج يأجـــوج ومأجـــوج ، وهم أمة فاســـدة ، يمـــلأون الأرض فسادا ، ويروعـــون النـــاس قال تعالى :

« حتى إذا فتحـــت يأجـــوج ومأجـــوج وهـــم من كـــل حـــدب ينســـلون »(٨١) .

---

(٧٧) مســـلم .
(٧٨) مســـلم .
(٧٩) ســـورة النمـــل الآية ٨٢ .
(٨٠) البخـــارى ومســـلم .
(٨١) ســـورة الأنبيـــاء الآية ٩٧ .

٦ ــ نزول عيسى بن مريم يحكم ويدعــو إلى شريعة الإسلام ويبطــل العقائد النصرانية المحرمة ، فقــد روى عن أبى هريرة رضى الله عنــه قال : قال رســول الله ــ ﷺ ــ :

« والذى نفسى بيده ليوشــكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عــدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضــع الجزية ويفيض المــال حتى لا يقبله أحــد ، حتى تكون السجده خير من الدنيا وما فيها »(٨٢) ٠

ولعــل هناك خصوصية فى نزول المسيح عيسى ابن مريم من بين الأنبياء ذلك أن الخرافات التى تعلقت به كثيرة جــدا ، ملأت الأرجاء ، وقامت باسمها دو لقــوية ، وادعى قــوم ــ كــذبا وبهتانا ــ ألوهيته وهــو ليس إلا عبدا لله ، فليكذب الرجل ــ نفسه ــ ما أشاع الخلق عنه هــذه الأباطيــل والترهات ، وإذا كانت الحياة ــ فى حــد ذاتها ــ وحــدة متماسكة فنزول المسيح فى آخر الزمان كاف فى الدلالــة على هذا الأمر ، بعــد ضــلال طــويل(٨٣) ٠

وعلى أى حال : فهناك علامات كثرة : صغرى وكبرى تسبق الختام الطــويل لهــذه الحياة ، وتمهــد لحياة الخلــود ، فينفخ فى الصــور فيصعق من فى السموات والأرض إلا من شــاء الله ، وتمضى مدة لا يعلمها إلا الله فينفخ فيــه أخرى ، فتعود الحياة لكل ميت ويبعث النــاس من قبــورهم ينظــرون ٠

---

(٨٢) مســلم ٠
(٨٣) عقيــدة المســلم ص ٢٤٤ ٠

« ونفخ فى الصــــور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شـــاء الله ثم نفخ فيـــه أخرى فإذا هم قيـــام ينظرون »(٨٤) ٠

البشر كلهم يبعثون من لدن آدم وإلى آخر واحـــد من ذريته ، من مات منهم على الفراش ، ومن غرق فى البحر ، ومن أكلـــه السبع ، ومن سقط من طائرة ، ومن أحرق ٠٠٠ يعيدهم الله — سبحانه — الذى أوجـــدهم من العـــدم ، ويجمعهم جمعا ، ويساقون إلى أرض المحشر ، ويحكم الله فى عباده **« ونضـــع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بهـــا وكفى بنا حاسبين »**(٨٥) ٠

وعندئذ يتحقق العـــدل المطلق ولأول مرة فى الوجـــود :

« اليـــوم تجزى كل نفس بمـــا كسبت لا ظلم اليـــوم إن الله سريع الحســـــاب »(٨٦) ٠

« ويوم يحشر أعـــــداء الله إلى النـــار فهم يوزعـــون حتى إذا ما جاءوهم شهد عليهم سمعهم وأبصـــارهم وجلودهم بمـــا كانوا يعملون ٠ وقالـــوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالـــوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة وإليـــه ترجعون ٠ وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصـــاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا ممـــا

---

(٨٤) ســـورة الزمـــر الآية ٦٨ ٠

(٨٥) ســـورة الأنبيـــاء الآية ٤٧ ٠

(٨٦) ســـورة غافـــر الآية ١٧ ٠

كنتم تعملون . وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتهم من الخاسرين »(٨٧) .

« ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا . وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم ألن نجعل لكم موعدا . ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا »(٨٨) .

وبعد أن يتم الحساب والميزان ، وتنتهى هذه الأحداث الجسام ، يعرف الناس جميعا نهايتهم الأبدية ، ومثواهم الأخير ، وتنكشف نتائج العباد ، فالناس إما إلى جنة وإما إلى النار .

وقد دل الكتاب والسنة على خلود أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار فالجنة والنار لا تفنيان ولا تبيدان (٨٩) .

فعن خلود أهل الجنة يقول تعالى : **« وأما الذين سعودا ففى الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ »(٩٠) .**

ويقول سبحانه : **« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم**

---

(٨٧) سورة فصلت الآية ١٩ — ٢٣ .
(٨٨) سورة الكهف الآية ٤٧ — ٤٩ .
(٨٩) شرح البيجورى على الجوهرة ص ٢٢١ .
(٩٠) سورة هود الآية ١٠٨ .

جنات الفردوس نزلا • خالـــدين فيها لا يبعون عنها حـــولا »(٩١) •

ويقول تباركت أسماؤه : « **ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود** »(٩٢) •

وعن نعيمها يقول سبحانه : « **مثل الجنة التى وعـــد المتقون تجرى من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها** »(٩٣) ، ويقـــول تعالى : « **لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين** »(٩٤) ، وعلى لسان أهـــل الجنـــة « **إن هـــذا لرزقنـــا مالـــه من نفـــاد** »(٩٥) •

أما بالنسبة لخلود أهـــل النار فيقول تعالى : « **إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها** »(٩٦) ويقـــول جـــل جلاله : « **وما هم بخارجين من النار** » ويقول « **لهم عـــذاب مقيم** »(٩٧) ويقول « **ذلك جزاء أعـــداء الله النار لهم فيها دار الخلد** »(٩٨) •

وقـــد ورد فى السنة الصحيحة قـــول الرســـول — ﷺ — : « إذا صار أهـــل الجنة إلى الجنة وأهـــل النار إلى النار ، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ، ثم يذبح ، ثم ينادى مناد : يا أهـــل الجنة : لا موت ، يا أهـــل النار : لا موت ، فيزداد أهـــل الجنة فرحا إلى فرحهم

---

(٩١) ســـورة الكهـــف الآية ١٠٨ •
(٩٢) ســـورة ق الآية ٣٤ •
(٩٣) ســـورة الرعـــد الآية ٣٥ •
(٩٤) ســـورة الحجـــر الآية ٤٨ •
(٩٥) ســـورة ص الآية ٥٤ •
(٩٦) ســـورة البينة الآية ٦ •
(٩٧) ســـورة المـــائدة الآية ٣٧ •
(٩٨) ســـورة فصـــلت الآية ٢٧ •

ويزداد أهــل النار حزنا إلى حزنهم »(٩٩) .

إن الآخرة هى دار الخلــد والبقاء والقرار .

بين العاجــل والآجــل :

قــد يسال ســائل : : وماذا لو وقــع الجزاء بين الناس فى هــذه الحيــاة (أى الحيــاة الدنيــا) فيجازى المحسن بإحسانه ، ويجازى المسىء بإساته ، والله — سبحانه — قادر على كل شىء ، وهو — سبحانه — قادر على أن يسوى حساب النــاس فى هــذه الدنيا ، وفى هــذا راحة للناس ، حيث يزداد المحسن فى إحسانه ، ويقلع المسىء عن إســاءته ، ماذا لــو حــدث هــذا ؟

وهنــا ياتى ســؤال مهم ، بل فى غاية الأهمية : على أى وجــه يكون الحساب ؟

أيكون هــذا الحساب بأن يصير الفقير غنيا ، والسقيم صحيحا ، والمقتول يعــود ليقتص من قاتله ...

أى حياة تكون على هــذا النحــو ؟ إن حياة كهــذه لا يصلح فيها شــأن الناس ، ويتحرك فيها وجــودهم ، فإذا كان الجزاء يقــع فوريا والثواب يقــع نقــدا وعاجلا ، فمما لا شــك فيه أن أى إنسان فى هــذه الحياة لا يتردد على الإطلاق فى عمل الخير ، ذلك أنه يرى أن ما يغرسه يجنى ثمــرته فى نفس اليــوم(١٠٠) .

---

(٩٩) متفــق عليــه .

(١٠٠) الإنسان فى القرآن الكريم ص ٣٩٥ وما بعــدها .

والإنسان الذى يقــدم على الشر ، وهــو يشاهد العقاب أمامه وفى نفس اللحظة التى هــو متلبس فيها بالعمل هــل يقــدم على الشر وهل يفكر الظـــالم فى الظـــلم ؟ وهــل يفكر أحــد فى إرتكاب جريمة ما ، وهــو يشاهد عين الأمن تراقبـــه ؟ فإن ارتكب مقــكرا أمسكت به يد الحارس ، وسيق إلى الحساب ، حتى يلقى جزاءه ٠

وإذا وجــد المحسن نتيجة إحسانه حاضره ماذا يحــدث ؟

مما لا شك فيه أنه يتحول من إنسان محسن ، يعرف فضل الإحسان لذاته ، إلى تاجر يبيع الدرهم بالدراهم ، فلا يصــل شىء إلى وجــدانه أو عــواطفه ، لأنه لا يرى الخير خيرا ، ولا الفضيلة فضيلة ، سـوف يتحول فى نهاية الأمر إلى حيوان شرس ، لا هم لــه إلا بطنه ، وإشباع رغباته ، فلا وجــدان ، ولا شعور ٠ ونفس الأمر بالنسبة للمسىء القاتل أو السارق أو المعتدى ٠٠٠ يجــد عقــوبة فورية عاجلة ، فلا يقدم على المنكر ، هــذا من ناحية ومن ناحية أخرى لا يتولد فى نفسه الوازع الذى يجعل منه رقيبــا على نفسه ، فيستعلى بها عن المعــاصى ٠

وإذا كان العقاب فــوريا كيــف يتعــلم الإنسان الخــوف من الله ومراقبته فى السر والعلن **« قــل إن تخفــوا ما فى صـــدوركم أو تبــدوه يعلمــه الله ويعــلم ما فى الســموات وما فى الأرض والله على كل شىء قـــدير »**(١٠١) ٠

---

(١٠١) ســورة آل عمــران الآية ٢٩ ٠

« إن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء »(١٠٢) ٠

« إنهـــا رقابة الله تأخـــذ على النفس أقطـــارها ، وتلاحقها فى خطواتها وحركاتها ، وتتعقبها فى سرها وجهرها ، وفى باطنها وظاهرها رقابة الله ، التى لا تدعها لحظـــة واحـــدة من المولد إلى الممـــات ، إلى البعث ، إلى الحشر ، إلى الحساب ، وهى رقابة شـــديدة دقيقة رهيبة ٠٠ والرقابة الكاملة الرهيبة مضروبة على وساس القلب ، كما هى مضروبة على حركة الجوارح ، ولا حجاب ولا ستار دون هـــذه الرقابة النافـــذة المطلعة على السر والنجوى اطلاعها على العمل والحركة فى كل وقت وفى كل حـــــال ٠

إن هـــذه المراقبـــة تروع النفس روعـــة المفاجأة ، وتهز النفس هـــزا ، وترجها رجا ، وتثير فيها رعشة الخـــوف ، ورجفة الصـــحو من الغفلة على الأمر المهـــول الرهيب ٠٠٠ »(١٠٣) ٠

إن الله — سبحانه — يريد أن يغرس فينا هـــذا الباعث الدائم ، حتى نظـــل على صـــلة دائمـــة به لا تنقطع ، والناس لهم زلات وهفوات من الممكن أن تجـــر عليهم الويل والثبور ، لأنها محاداة لله واستهانة بحقه ، فلو أن المعصية تلقى جزاءها العـــدل على عجـــل لخسف بهـــذه الأرض « ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة »(١٠٤) ٠

والله — سبحانه — هـــو الصبور ، وقـــد شاءت إرادته أن يمنـــح

(١٠٢) ســـورة آل عمـــران الآية ٥ ٠
(١٠٣) اليوم الآخر فى ظـــلال القرآن ص ٢٢٥ ، ٢٢٦ ٠
(١٠٤) ســـورة فاطـــر الآية ٤٥ ٠

المذنبين والخطـائين فرصـة واسـعة كى يعـود إليـه ويعتذروا لربهم **« ولكن يؤخرهم إلى أجـل مسمى »**(١٠٥) ٠

والخـوف من الله — تعالى — عاطفـة إن دلت على شىء فإنمـا تدل على شرف النفس ، وامتلاك الزمام فى الساعات الحرجة ، ودليـل على أن القلب يقظ دائمـا ، ولـذا جـاء فى حـديث السـبعة الذين يظلهم الله فى ظـله ، يوم لا ظـل إلا ظـله :

« ... ورجـل دعتـه امرأة ذات منصب وجمال ، فقال : إنى أخـاف الله »(١٠٦) ٠

ومن هنا نجـد أن الخـوف من الله يعـد أساسا هاما فى بنـاء الشخصية المؤمنة ٠

هـل كان من الممكن أن يوجـد هـذا الخوف لـو أن الثـواب والعقـاب كانا فى العاجـل ؟

إن الحيـاة الدنيا دار اختبار ، وهى دار ممـر لا مقر ، والآخرة عند الله أزكى وأبقى ، والمشكلة التى يجب حلها هى تصـور النـاس للحيـاتين(١٠٧) ٠

والحيـاة الدنيا لا تخلو من الشر والأشرار ، لأنها إذا خلت من ذلك لن تكون حياة الناس ، ولا دنيا البشر ، وكيف يعرف الإحسان والمحسنين إلا فى مقابلة الشر وأهله يقـول تعالى : **« وجعلنا بعضكم لبعض فتنـة**

(١٠٥) سـورة فاطـر الآية ٤٥ ٠
(١٠٦) البخـارى ٠
(١٠٧) يراجـع الجانب العاطفى فى الإسـلام ص ٢٥٤ — ٢٦٧ ٠

أتصبرون وكان ربك بصيرا »(١٠٨) ، والصبر هنـا يكون فى انتظـار الجزاء بعـد هـذه الحياة ، ولن يتحقق هـذا إلا بإيمـان قـوى وثقة بالله — عز وجـل — « **وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم** »(١٠٩) .

وهـذا لا يمنع أن يكون هناك ثواب وعقاب فى الأجـل (أى فى الحيـاة الدنيـا) فالمحسن يلقى جزاء الحسنة ، والمسىء يلقى جـزاء السيئة وقـد يحـدث العكس ، فما أكثر من يصنعون الخير ، ولا يجنون منه إلا الشر ، وما أكثر من يزرعون الشرور ويجنون الخير ، نرى هـذا كثيرا فى دنيـا النـاس .

من هنـا : كان لابد من موقف يتضح فيه ميزان العـدل ، فيكون للخير حسابه ، وللشر حسابه ، وهـذا لا يكون فى هـذه الحياة وإنمـا يكون فى الحياة الباقية الدائمـة(١١٠) .

وهنـا أيضا يأتى دور العقيدة ، فالإنسان الذى يعيش بلا عقيدة بالحياة الآخرة يعيش فى عـذاب نفسى مرير ، لا أمل لـه ولا رجاء ، ولا عـوض عما يفقده فى هـذه الحياة ، والحياة مواقف واختبارات ، لا يمكن أى يقـوى عليها الإنسان إلا إذا كان فى نفسه رجاء فى الآخرة ، وثوابها للمحسن ، وعقـابها للمسىء .

---

(١٠٨) سـورة الفرقـان الآية ٤٥ .

(١٠٩) سـورة فصلت الآية ٣٤ ، ويراجع : الإنسان فى القرآن الكريم ص ٣٩٧ .

(١١٠) المرجـع السـابق ص ٣٤٢ .

فالاعتقاد بالآخرة وما فيها نعمة يفيضها الإيمان على القلب ، وهذا الاعتقاد ضرورى لاكتمال الشعور بأن وراء هذه الحياة حكمة وأن الخير الذى تدعو إليه الرسالات هو غاية الحياة ، ومن ثم فلابد أن يلقى الإنسان جزاءه ، فإن لم يلقه عاجلا فى هذه الحياة فجزاؤه مضمون فى الحياة الآخرة ، التى تصل فيه الحياة البشرية إلى الكمال المقدر لها (١١١) .

* * *

(١١١) اليوم الآخر فى ظلال القرآن ص ١٦ — ٢٨ .

الخاتمـــــــة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والصـــلاة والسلام على خاتم النبيين ، ســـيدنا محمد وعلى آلـــه وصحبه ومن اهتـــدى بهـــداه .

وبعـــــد

فالحمـــد لله ــ سبحانه ــ الذى أعاننى على كتـــابه هـــذه السطور عن صـــلة العقيدة الإســـلامية بالعالم والإنسان والحياة وبعـــد هـــذا العرض المتواضـــع يتضح لنـــا ما يلى :

١ ــ أن الإسلام جاء بعقيدة التوحيد الناصعة ، المبرأة من كل شائبـــة وهذه العقيدة هى التى تمثل الأساس الأول فى البناء الإسلامى .

٢ ــ العقيدة التى أنزلهـــا الله واحـــدة لا تتغير ولا تتبـــدل بتبـــدل الزمان أو المكان ، ولا تتغير بتغير الأفراد أو الجماعات قـــال تعـــالى :

« شرع لـــكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينـــا إليـــك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقـــوا فيـــه »(١) .

٣ ــ العقيدة السليمة والصـــحيحة لا توجـــد إلا فى الإســـلام ، لأن رسالته محفوظة ، تكفل الله ــ عز وجـــل ــ بحفظها ، قـــال تعـــالى :

« إنا نحـــن نزلنا الذكر وإنا لـــه لحافظون »(٢) .

---

(١) ســـورة الشورى الآية ١٣ .

(٢) ســـورة الحجـــر الآية ٩ .

يقـــول أحـــد الباحثين :

« العقيدة الإســـلامية ضرورية للإنسان ، ضرورة المـــاء والهواء ، إذ هو بدون هذه العقيدة ضائع تافه يفقـــد ذاته ووجـــوده .. والعقيدة الإســـلامية وحـــــدها هى التى تجيب عن التساؤلات الخالـــدة التى شـــغلت ولا تزال تشغل الفـــكر الإنسانى ، بل تحـــيره ، من أين جئت ؟ ومن أين جـــاء هـــذا الكـــون ؟ ومن الموجـــد ؟ ما صـــفاته ، وما أسماؤه ؟ لمـــاذا أوجـــدنا وأوجـــد الكون ؟ وما دورنا فى هـــذا الكون ؟ وما علاقتنا بالخالق الذى خلقنـــا ... ؟(٣) .

٤ — العقيدة الإســـلامية فيه لا غموض فيها ولا ألغاز ولا التواء . بل هى واضحة وضـــوح الشمس فى كبـــد السماء وهـــذا الوضوح والصفاء يقـــابله الغمـــوض والتعقيـــد فى العقـــائد الأخرى ، أبرزها المسيحية ، تلك العقيدة التى لم يتبين لاتباعها حتى الآن حقيقة المسيح ، حتى أن المجامـــع الكنسية قـــد عقـــدت مرارا لتبحث طبيعـــة المســـيح هـــل هـــو إلـــه ؟ م ابن إلـــه ؟ أم بشر حـــل فيـــه الإلـــه ؟ أم جزء من أقانيم ثلاثة (أب ، وابن ، وروح قـــدس) .

ولذلك يطلب القائمـــون على هـــذه العقيدة إلغـــاء العقـــل ، والتسليم لكل ما يقـــال تسليما مطلقا لا نقـــاش فيـــه ولا جـــدال

---

(٣) العقيدة جوهرها وآفاتها ص ٣٤ وهـــو ناقـــل عن كتاب العقيـــدة فى الله د . عمـــر الأشـــقر .

معه ، فأين هـــذا من العقيدة الإسلامية التى يقوم منهجها على العقـــل والنظر والفهم والتفكير ...

٥ — لكى تستقيم العقيدة وتتحقق لابد من أسس تقـــوم عليها وهى :

(أ) الإيمـــان بالله — تعالى — والتصـــديق به ربا وإلها ومعرفة أسمائه وصفاته ، وأنه — تعالى — « ليس كمثله شىء وهـــو السميع البصير » ، وهـــذا الإيمان هـــو غـــذاء القلب والروح .

(ب) الإيمـــان بالمـــلائكة ، والاستئناس بهم ، وأنهم وســـيلة لمعرفة عظمة الله — سبحانه — وقـــدرته .

(جـ) الإيمـــان بالكتب المنزلة على أنبياء الله — سبحانه — تأييدا لهم ، وبلاغـــا للعبـــاد ، حتى تقـــوم الحجة ، وتبطـــل المحجـــة .

(د) الإيمـــان بالرســـل وسيلة إلى معرفة شرائع الله تعالى ، وكيفية أداء العبادة كما أراد الله — سبحانه .

(هـ) الإيمـــان باليوم الآخر ، لأنه يبين المعرفة بمصير هـــذا الوجـــود ، وعلى ضوء تلك المعرفة يمكن للإنسان أن يحدد الهـــدف والغاية من هـــذه الحياة ، فإذا فقـــد الإنســـان هـــذه المعرفة فسوف يعيش بلا هـــدف ولا غاية ...

(و) الإيمـــان بالقـــدر الذى يسير عليه نظام الكون فى الخلق والتدبير ، وهـــو وسيلة إلى ترك الحزن ، والبعـــد عن القلق والاضطراب ...

٦ — العقيدة الإســـلامية توضـــح النظام الإلهى فى الخلق والتدبير ،

وان كل شىء خاضــع لقــدرته — تعالى — وإرادته ابتداء من أصغر شىء فى هــذا الكون إلى أكبر شىء فيه .

٧ — إن العلم لا يتعــارض مــع الإيمــان ، وما الحــد الملاحــدة إلا لعــدم تعمقهم فى العلم حتى النهاية ، وإنمــا اعتمدوا على الأسباب الظاهرة دون محــاولة الوصول إلى سر الأشياء ، ولذلك فإنهم يعترفون بجهلهم — صراحة — عندما يدخلون فى حظيرة الإيمــان .

من هنــا يقــول عالم الطبيعــة « أوليفــروندل » ... فالفهم الحقيقى للعلوم يدعــو إلى زيادة الإيمــان بالله .

٨ — وضحت العقيدة الإســلامية الغاية من خلق الإنسان فى الكون ، فهو لم يخلق عبثا ، ولم يترك ســدى ، بل خلقــه الله لمهمــة وغــاية تتمثل فى : معرفة الله — عــز وجــل — الخــلافة فى الارض ، العبادة ، حمل الأمانة ، الاستعداد لدار الخلود ...

٩ — خرافة نظرية النشوء والارتقاء ، وأنها مجرد فرض باطل لا دليل عليه ، وقــد أكدت البراهين العلمية بطلانها ، لأنها تتعارض مع علم الأجنــة والتشريح والجيولوجيا والحفريات ...

١٠ — طبيعة الحيــاة الإنسانية أن يلتقى فيهــا طريق الدنيــا وطريق الآخرة ، وأن يكون الطريق إلى صلاح الآخرة هــو نفسه الطريق إلى صلاح الدنيــا وفى العقيدة الإســلامية يتناسق العمل للدنيا والآخــرة .

١١ — صاحب العقيدة من أعمق الناس إحساسا بقيمة الزمن ، يخشى أن ينصرم الوقت من بين يديه دون أن يقـدم عمـلا يبتغى به وجه الله — عز وجـل ·

١٢ — التصورات المتشائمة عن الموت نشأت — أساسا — من معتقـدات ومذاهب بعيدة كل البعـد عن الإسـلام وهـذه النزعات ليست وليـدة العصر ، وإنمـا هى قـديمة قـدم الإنسان ·

١٣ — تخضع حركة الحياة للتغير والتطـور فى أى مجال من المجالات ، اما قضايا العقيدة فمن شأنها الثبات والدوام والاستقرار (٤) ·

٤ — انظر المراجـع الآتيـة :

— الخصائص العامة للإسـلام د· يوسف القرضاوى ·
— العقـائد الإسلامية · الشيخ سيد سـابق ·
— الإنسان فى القرآن الكريم · عبد الكريم الخطيب ·
— العقيدة بجوهرها وآفاتها · محمد عبد الله الخطيب ·
— السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية د· مصطفى حلمى·
— الله يتجلى فى عصر العلم لنخبة من العلمـاء ·
— التصور الإسلامى للكون والحياة والإنسان · عثمان ضميرية ·
— العلم يدعـو للإيمـان — كريسى موريسون ·
— الإنسان بين المـادية والإسلام — محمد قطب ·
— عقيدة المؤمن — ابو بكر الجزائرى ·
— الله فى العقيدة الإسـلامية — أحمد بهجت ·

أهم المصادر والمراجع

١ ــ القرآن الكريم ٠

٢ ــ « الله جل جلاله » ــ سعيد حوى ــ ط ٣ ــ دار الطباعة الحديثة ١٩٧٨ ٠

٣ ــ « الله يتجلى فى عصر العلم » لنخبة من العلماء ــ ترجمة د٠ جمال الدين الفندى ــ ط الحلبى ٠

٤ ــ الاقتصاد فى الاعتقاد للإمام محمد بن محمد الغزالى ط صبيح ــ مصر ٠

٥ ــ الإيمان والحياة د٠ يوسف القرضاوى ــ مكتبة وهبة ١٤٠٩ هـ ــ ١٩٩٠ م ٠

٦ ــ الإيمان بالله جل جلاله فى ضوء العلم والعقل ٠ محمد رشدى القادرى ــ ط ١ ــ بيروت ــ ١٩٩٢ ٠

٧ ــ الإيمان ــ حقيقته ــ أركانه ــ نواقصه ٠ د٠ محمد نعيم ياسين ــ دار التوزيع والنشر الإسلامية ــ مصر ٠

٨ ــ الإمام الغزالى وعلاقة اليقين بالعقل د٠ محمد إبراهيم الفيومى ــ دار الفكر العربى ــ القاهرة ٠

٩ ــ الإنسان فى القرآن الكريم من البداية إلى النهاية ــ عبد الكريم الخطيب ــ دار الفكر العربى ــ ١٩٧٩ ٠

١٠ ــ إحياء علوم الدين للإمام الغزالى ــ ط الحلبى ــ مصر ٠

١١ ــ أولياء الله أهل البركات أهل الكرامات ــ عبد الرزاق نوفل مطابع الأخبار ٠

١٢ — اضـواء على العقيـدة الإسـلامية وبعض المذاهب المعاصرة — د. سلطان على سلطان — ط المنار — مصر .

١٣ — الإسلام يتحـدى — وحيد الدين خان — ط المختـار الإسلامى ١٩٧٩ .

١٤ — الإسـلام والاتجاهات العلمية المعاصرة — د. يحيى هاشم فرغلى — ط دار المعـارف — مصر .

١٥ — التوحيد وواقعنا المعاصر — د. عـدنان رضـا النحوى ط ٢ — دار النحوى للنشر والتوزيع — الرياض ١٤١٣ هـ — ١٩٩٣ م .

١٦ — التفسير الوسـيط للقرآن الكريم — د. محمـد سـيد طنطاوى ط ٣ — مطبعة السعادة ١٩٨٥ .

١٧ — التعريفات للشريف الجرجانى — ط الحلبى — مصر .

١٨ — التفكر من المشاهدة إلى الشهود (دراسـة نفسية إسـلامية) د. مالك البدرى — دار الوفاء للطباعة والنشر ١٩٩٠ م .

١٩ — التصور الإسلامى للكون والحيـاة والإنسان — عثمان جمعـة ضميرية — دار الكلمـة الطيبة — ط ٢ ١٩٨٥ .

٢٠ — التطور والثبات فى حيـاة البشرية — محمـد قطب — دار الشروق ط ٩ ١٩٩٣ .

٢١ — « التـوهم » للحارث المحاسبى — ط ٢ — دار التراث العربى ١٤٠٠ هـ — ١٩٨٠ م .

٢٢ — تهافت الفلاسفة للإمام الغزالى — تحقيق د. سليمان دنيـا — ط دار المعـارف — مصر .

٢٣ — تفسير المنـــار — محمد رشيد رضـــا .

٢٤ — الجانب العاطفي في الإســـلام — محمد الغزالي — ط دار الكتب الحـــديثة — مصر .

٢٥ — الحيـــاة والموت — الشيخ محمد متولي الشعراوي — ط أخبـــار اليـــوم ١٩٩١ .

٢٦ — الحكمة في مخلوقات الله للإمام الغزالي — دار إحيـــاء الفكر — بيروت .

٢٧ — جـــولية كلية أصول الدين بالقاهرة — العـــدد السادس .

٢٨ — حاشية الشيخ محمد عبده على شرح العقائد العضدية — المطابع الخيرية — مصر .

٢٩ — الخصائص العـــامة للإســـلام — د. يوسف القرضاوي — مؤسسة الرســـالة — مصر ط ٧ ١٩٨٩ .

٣٠ — دراسات في علم العقيدة الإسلامية — أحمـــد على المـــلا — ط ١ — دمشق — ١٤٠٦ هـ — ١٩٨٦ م .

٣١ — دراسات في العقيدة الإســـلامية د. عـــوض الله جاد حجازى — دار الطبـــاعة المحمدية — ١٩٩٢ م .

٣٢ — دراسات في الفلسفة الحـــديثة د. محمود حمدى زقزوق — دار الطباعة المحمدية ١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م .

٣٣ — دراســـة علمية في المسائل العقـــدية د. آمنة نصير ط ٢ ١٩٨٩ .

٣٤ — دراســـات في العقيدة الإســـلامية د. أحمد أحمد أبو السعادات — ط ١ — النهضة العربية — مصر ١٤٠٣ هـ — ١٩٨٣ م .

٣٥ — الدار القرار فى البيان القرآنى — د٠ حامد صـادق قنبى — دار اصـلاح — السعودية ٠

٣٦ — « الرحمن الرحيم » عبد الرازق نوفـل — المكتب المصرى للنشر — ١٩٨١ ٠

٣٧ — عقيدة المؤمن — أبو بكر الجزائرى — ط دار إحياء الكتب العربية (عيسى الحلبى) القـاهرة ٠

٣٨ — العقيدة فى ضـوء القرآن الكريم د٠ صـلاح عبد العليم — مكتبة الأزهر ١٤٠٢ هـ — ١٩٨٢ م ٠

٣٩ — عقيدة الوحـدانية د٠ محمد خليـل هراس — مكتبة ابن تيمية — ١٤٠٧ هـ ٠

٤٠ — العقـائد الإسلامية — نديم المـلاح — مطبعة دار الايتـام — القـدس ٠

٤١ — العقـائد الإسلامية — سيد سابق — دار الفتح للاعلام العربى — ١٤١٢ هـ — ١٩٩٢ م ٠

٤٢ — عقيدة المسلم — محمد الغزالى — دار الدعـوة مصر ٠

٤٣ — العقيدة الإسلامية والأخلاق د٠ محى الدين أحمد الصافى وآخرون مطبعة جامعة الأزهر ١٩٩٤ ٠

٤٤ — العقيدة — جوهرها وآفاتها — محمد عبد الله الخطيب — دار المنـار الحـديثة — مصر — ١٩٨٩ ٠

٤٥ — العقيدة وأثرها فى بنـاء الجيل د٠ عبد الله عـزام دار الإسراء للنشر والتوزيع — عمـان ٠

٤٦ — عقيدتنا — د٠ محمد ربيــع الجوهرى — دار الطباعة المحمدية — ط ١ — ١٩٨٥ ٠

٤٧ — فى علم الكلام د٠ أحمد محمود صبحى — دار الثقافــة الجامعية — الاســكندرية — ١٩٧٨ ٠

٤٨ — فى ظــلال القرآن — سيد قطب — دار الشروق — مصر ٠

٤٩ — القرآن دواء فيــه وقاية وشفاء — عبد الرازق نوفل — مؤسسة أخبــار اليــوم ٠

٥٠ — قضية الألوهيــة بين الفلسفة والدين — عبد الكريم الخطيب — دار الكتــاب العربى — ١٩٦٢ ٠

٥١ — قضــية التوفيــق بين الدين والفلسفة عنــد مفــكرى الإســلام د٠ محيى دين أحمد الصافى — مكتبة الأزهر ٠

٥٢ — كيف نفهم الإسلام — محمد الغزالى — دار الدعــوة — مصر ٠

٥٣ — « كيف ولمــاذا » عبد الرازق نوفــل — دار الكتاب العــربى — ١٩٨٨ ٠

٥٤ — لغــز الحياة — مصطفى محمود — دار النهضة العربية — مصر ٠

٥٥ — المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ط الحلبى ٠

٥٦ — محاضرات فى النصرانية — محمد أبو زهره — ط ٢ — دار الفكر العربى — مصر ٠

٥٧ — منطق أرسطو — تحقيق د٠ عبد الرحمن بدوى ٠

٥٨ — منهــج التربية الإســلامية — محمــد قطب — دار الشروق — ١٩٩٣ ٠

٥٩ — نظرات فى العقيدة الإسلامية د٠ محمد الأنور حامد عيسى
— ط ٢ — ١٩٨٦ ٠

٦٠ — هوامش على العقيدة النظامية — د٠ محمد عبد الفضيل القوصى
— دار الطباعة المحمدية — ١٩٨٤ م ٠

٦١ — الوجودية فلسفة الوهم الإنسانى — د٠ محمد إبراهيم الفيومى
— ط مجمع البحوث الإسلامية ١٩٨٤ م ٠

الفهـــــــارس

الموضــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية
١٩٩٥ / ٤٤٤٤
تحريرا فى ٢٠ / ٤ / ١٩٩٥